المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعــة أم القــرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

المضامين التربوية المستنبطة من سورة القلم وتطبيقاتها التربوية

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة

مقدم إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة

إعداد الطالب
عبدالرحمن سليمان بركات الدبيسي
الرقم الجامعي: ٤٢٦٨٨٠٨٣

إشـــــراف
د/ عبد الناصر سعيد عطايا
الأستاذ المشارك بقسم التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الدراسي الثاني لعام : ١٤٣١هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ (القلم: ١ - ٤).

ملخص الدراسة

عنوان الدراسة : المضامين التربوية المستنبطة من سورة القلم وتطبيقاتها التربوية.

اسم الباحث : عبدالرحمن سليمان بركات الدبيسي.

أهداف الدراسة : تهدف هذه الدراسة بشكل عام إلى بيان المضامين التربوية المستنبطة من سورة القلم، الجانب العقدي والجانب التعبدي والجانب الأخلاقي والجانب الاجتماعي، ثم توضيح أبرز الأساليب التربوية المستنبطة منها.

منهج الدراسة : اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي والمنهج الاستنباطي.

فصول الدراسة: الفصل الأول : خطة الدراسة.

الفصل الثاني : التعريف بسورة القلم ومكانتها في القرآن الكريم وبيان أهم أحكامها.

الفصل الثالث : المضامين التربوية المستنبطة من السورة في الجانب العقدي والتعبدي.

الفصل الرابع : المضامين التربوية المستنبطة من السورة في الجانب الأخلاقي والجانب الاجتماعي.

الفصل الخامس: الأساليب التربوية المستنبطة من السورة.

الفصل السادس: التطبيقات التربوية للمضامين التربوية من خلال الأسرة.

خاتمة الدراسة : وتشمل أهم النتائج والتوصيات والمقترحات.

أهم نتائج الدراسة:

١- أن القرآن الكريم يحتوي على منهج عظيم للتربية الصحيحة التي في تفعيلها سعادة وصلاح للأفراد والمجتمعات في الدنيا والآخرة.

٢- أن سورة القلم احتوت على العديد من المضامين التربوية، التي تميزت بتعددها وشمولها، فقد احتوت على المضامين العقدية والتعبدية والأخلاقية والاجتماعية، وبعض الأساليب التربوية.

٣- إن توضيح حسن سيرة الرسول ﷺ وعظم أخلاقه هو المنهج الأمثل لدفاع عنه من أي تهمة يرميه بها أعداء الإسلام.

٤- أن تطبيق المضامين التربوية المستنبطة من سورة القلم في محيط الأسرة قولا وعملا يؤدي إلى نجاح الآباء والأمهات في العملية التربوية وتقويم السلوك.

أهم التوصيات :

١- تربية الأجيال على العقيدة السليمة الصافية، والتركيز في ذلك على مبدأ توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، لأنه أساس كل عبادة وسلوك وتربية وعلم وأخلاق.

٢- الاهتمام بالتربية الأخلاقية لدى النشء، فيجب حثهم على الأخلاق الفاضلة، وإبعادهم عن الأخلاق السيئة بكل الأساليب التربوية المتاحة.

٢- يجب على الأسرة أن تقوم بدورها التربوي على أكمل وجه وخاصة في تطبيق جميع المضامين الواردة في السورة.

المقترحات:

يقترح الباحث الاستمرار في دراسة جميع سور القرآن الكريم دراسة تربوية، واستنباط المضامين التربوية منها، ومن ثم العمل على تكوين موسوعة عن المضامين التربوية المستنبطة من سور القرآن الكريم وآثارها التربوية وتطبيقاتها من خلال المؤسسات التربوية.

Abstract

Title of Study: Educational purports extracted from Sura of Al Qalam and their educational applications.

Name of Researcher: Abdul Rahman Sulaiman Barakat Al Debaisi

Aims of Study: This study aims generally to demonstrate education purports extracted from sura of Al Qalam, and extracting the educational effects resulting from their applications, demonstrating the position of Al Qalam sura from the Holy Quran, and clarifying the most noticeable educational purports extracted from the sura in the belief side, worship side, moral side as well as social side, then clearing up the most noticeable educational methods extracted from them, then recognizing number of educational applications for these purports through the family.

Method of Study: The researcher relied in his study on descriptive method and deductive method.

Chapters of Study:

First Chapter: Plan of Study.

Second Chapter: Identifying sura of Al Qalam and its position in the Holy Quran.

Third Chapter: Educational purports extracted from it in the belief side and worship side.

Fourth Chapter: Educational purports extracted from it in the moral side and social side.

Fifth Chapter: Educational methods extracted from the sura.

Sixth Chapter: Educational applications for educational purports through the family.

Conclusion of Study: Including the most important results and recommendations and suggestions.

The Most Important Results of Study:

1- **The Holy Quran contains great method for correct education when it is applied will result in happiness and goodness for individuals and communities in the life and the afterlife.**
2- **The sura of Al Qalam contained several educational purports, which distinguished by multiplicity and comprehensiveness, and contained belief, worship, moral and social purports, and some educational methods.**
3- **Explanation of the goodness of the Prophet's Memoir peace be upon him and the greatness of his moral is the ideal method to defend him from any accusation by the enemies of Islam.**
4- **Application of educational purports extracted from Sura of Al Qalam in the environment of family by word and deed leads to success of fathers and mothers in educational process and behavior evaluation.**

Most Important Recommendations:

1- **Education of generations on clear and sound belief education, and concentration on the basis of monotheism and worship of Allah, for it is the base of every worship, behavior, education, knowledge and morality.**
2- **Caring about morals education for the youth, they should be urged for good morals, and keeping them away from bad morals by all available educational methods.**
3- **The family should perform its educational role perfectly, specially in applying all purports mentioned in the sura.**

Suggestions:

The researcher suggests to continue studying all suras of Holy Quran educationally, and to extract educational purports from them, and then work on to compose an encyclopedia

about educational purports which extracted from Holy Quran and their educational effects and their applications through educational foundations.

الإهداء

إلى والديّ ..... أمي وأبي

اللذين لهما الفضل بعد الله ـ جل وعلا ـ في تربيتي وتوجيهي أدعو الله

لهما بالتوفيق وبعمر مديد في طاعة الرحمن المجيد كما أسأله أن

يجزيهما على ما قدماه وأن يجعل ذلك في ميزان حسنتهما.

إلى زوجتي الغالية... رفيقة الدرب

والتي تفجر عطاؤها وصبرها وتحملها فترة دراستي وإعدادي لهذه

الرسالة متمنيا لها دوام الصحة والعافية.

إلى أبنائي الأحباء فلذات كبدي

والإهداء موصول إلى كل طالب علم

يجهد نفسه لإنارة بصائر الآخرين حبا وكرامة

والله أسأل التوفيق والسداد

شكر وتقدير

إن الحمد لله أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على ما وفقني إليه من إكمال هذا البحث وأسأله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه وأن ينفع به المسلمين، وبعد:

فانطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (سورة إبراهيم: ٧) . فإن الباحث بعد إتمام هذه الدراسة يتقدم بالشكر والاعتراف بالنعم لله عز وجلّ، فهو صاحب الفضل والمنّة والتوفيق، فله الحمد في الأولى والآخرة على ما أنعم به من نعمة الإسلام، ونعمة الصحة والعافية، ونعمة طلب العلم، وعلى نعمه الظاهرة والباطنة التي لا تحصى. وامتثالا لقول الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾(سورة الإسراء:٢٣). فإني أتقدم بخالص الشكر لوالديّ الكريمين الذَيْن ربياني صغيراً وأحسنا تأديبي وأرشداني إلى طلب العلم النافع وعوّداني على الصبر والتحلي بالخُلق الحسن، فلهما منّي جزيل الشكر والامتنان وأسأل الله العظيم أن يطيل في أعمارهما، وأن يوفقهما لما يحبه ويرضاه، وأن يحسن خاتمتهما إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ويسعدني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى كلية التربية وقسم التربية الإسلامية والمقارنة، وجميع أعضاء هيئة التدريس فيها، وأخص بالشكر رئيس قسمها السابق سعادة الدكتور/ نجم الدين عبدالغفور الأنديجاني، ورئيس القسم الحالي سعادة الدكتور/ نايف بن همام، ولكافة أعضاء القسم الذين كان لتوجيهاتهم السديدة أثر كبير في أتمام هذه الدراسة.

وأخص بالشكر والتقدير، وبالعرفان والامتنان، لأستاذي المشرف على الرسالة سعادة الدكتور/ عبدالناصر بن سعيد عطايا، الذي بذل وقته وجهده وعلمه في سبيل الإشراف على هذه الرسالة وكان معي منذ تسجيل موضوعها حتى نهايتها، كنَفني برعايته الأخوية، التي كان لها بالغ الأثر في نفسي، وقد كان نعم الموجه والمعلم، والمرشد والمشرف، يرشدني ويوجهني بتوجيهاته القيّمة ويسددني بملحوظاته الموضوعية التي كان لها الأثر الطيب في إنجاز هذه الرسالة على هذه الصورة. وأسأل الله تعالى أن

يجزل له الثواب ويكتب له الأجر، ويحفظه في دنياه ويغفر له في أخراه، ويكرمه بالجنة.

والشكر والعرفان إلى سعادة الاستاذ الدكتور/ حامد بن سالم الحربي وسعادة الاستاذ الدكتور/ السعيد محمود السعيد عثمان اللذان أشرفا على تحكيم خطة البحث.

والشكر موصول مرة أخرى لسعادة الاستاذ الدكتور/ السعيد محمود السعيد عثمان وسعادة الدكتور/ علي بن مصلح المطرفي، أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة وإبداء ملحوظاتهما القيّمة، والتي ستكون محل عناية الباحث بإذن الله تعالى. فجزاهم الله خيراً على ما بذلوه من جهد ووقت لقراءة هذه الرسالة.

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من تعاون معي من الأساتذة الكرام والزملاء الأفاضل وأمدني بالمراجع والمعلومات التي استندت إليها في كتابة هذه الرسالة. فجزاهم الله خير الجزاء.

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص الرسالة عربي	ب
ملخص الرسالة انجليزي	ج
الإهداء	د
الشكر والتقدير	ه
قائمة المحتويات	ز
الفصل الأول: خطة البحث	**١-١١**
مقدمة الدراسة.	٢
موضوع الدراسة.	٤
تساؤلات الدراسة .	٤
أهداف الدراسة.	٥
أهمية الدراسة .	٥
منهج الدراسة .	٦
مصطلحات الدراسة.	٧
الدراسات السابقة.	٨
الفصل الثاني: التعريف بسورة القلم	**١٢-٣٥**
المبحث الأول: سبب نزولها ومناسبتها لما قبلها.	١٥
المبحث الثاني: موضوع سورة القلم.	٢٠
المبحث الثالث: معاني الآيات في السورة وملامحها التربوية.	٢٣
الفصل الثالث: المضامين المستنبطة في الجوانب الإيمانية والتعبدية	**٣٦-٧٨**
المبحث الأول: التربية الإيمانية في سورة القلم	٣٧

المطلب الأول : معنى التربية الإيمانية وأهميتها	٣٨
المطلب الثاني: الإيمان باليوم الآخر	٤٤
المطلب الثالث: آثار التربية الإيمانية المستنبطة من السورة	٤٩
المبحث الثاني: التربية التعبدية في سورة القلم	٥٢
المطلب الأول : مفهوم العبادة وأهميتها	٥٣
المطلب الثاني: التقوى وأهميتها التربوية	٥٦
المطلب الثالث: مبدأ التوبة والرجوع إلى الله	٦٤
المطلب الرابع: الآثار التربوية التعبدية المستنبطة من السورة	٦٨
الفصل الرابع: المضامين المستنبطة في لجوانب الأخلاقية والاجتماعية	**١٣٨-٧٩**
المبحث الأول: المضامين التربوية في الجوانب الأخلاقية	٨٠
المطلب الأول : مفهوم الأخلاق وأهميتها	٨١
المطلب الثاني: الحث على بعض الأخلاق الفاضلة	٨٧
المطلب الثالث: النهي عن بعض الأخلاق السيئة	١١١
المبحث الثاني: المضامين في الجوانب الاجتماعية	١٢٤
المطلب الأول : مفهوم التربية الاجتماعية وأهميتها	١٢٥
المطلب الثاني: التربية الاجتماعية في سورة القلم	١٣١
الفصل الخامس الأساليب التربوية المستنبطة من سورة القلم	**١٩٠-١٣٩**
المبحث الأول: أسلوب التربية بالقدوة الحسنة	١٤٢
المبحث الثاني: أسلوب التربية بالقصة	١٥١
المبحث الثالث: أسلوب التربية بالترغيب والترهيب	١٦٧
المبحث الرابع: أسلوب التربية بالحوار	١٨٠
الفصل السادس: تطبيق المضامين الواردة في سورة القلم من خلال الأسرة	**٢١٩-١٩١**

المبحث الأول : التطبيقات التربوية للمضامين الإيمانية والتعبدية	١٩٥
المبحث الثاني: التطبيقات التربوية للمضامين الأخلاقية والاجتماعية	٢٠١
المبحث الثالث: التطبيقات التربوية للأساليب الواردة في السورة	٢١٤
الخاتمة	**٢٢٠-٢٢٩**
النتائج	٢٢٣
التوصيات	٢٢٦
المقترحات	٢٢٨
المصادر والمراجع	**٢٣٠-٢٤٥**

الفصل الأول

الفصل التمهيدي

- المقدمة.
- موضوع الدراسة.
- أسئلة الدراسة.
- أهداف الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- منهج الدراسة.
- حدود الدراسة.
- مصطلحات الدراسة.
- الدراسات السابقة.

المقدمة:

الحمد الله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسنا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسولهﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد: "فمن المعروف أنه لا يمكن لأي تربية أن تنطلق وتنبثق من فراغ، وإنما [تتبع] وتتوجه من خلال مصادر مرجعية تستمد منها أهدافها، وأفكارها ومعتقداتها. والأصول المرجعية للتربية الإسلامية هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وسيرة الصحابة ومنهجهم التربوي، وكذلك جهود علماء المسلمين"[1] في الماضي والحاضر.

يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإسراء: ٩). فبين سبحانه أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم الطرق وأوضحها وأثبتها يقيناً. وهذا القرآن العظيم الذي أنزله الله على النبي الخاتم محمد ﷺ وتعهد بحفظه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر: ٩) بتمامه كان الكمال، كمال التشريع وكمال البناء والتوجيه والتربية: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨) أنزله سبحانه وتعالى للعمل به بعد تدبره، فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ص: ٢٩) والتأمل والتدبر للكتاب الكريم ومحاولة فهم معانيه والتوصل إلى شيء من أسراره مطلب لكل عامل يبحث عن الطريقة التربوية المثلى، فالله مبدع الكون ومدبره وخالق الإنسان ومصوره، هو أعلم بما يصلحه ويحقق له سعادة الدنيا والآخرة.

ولذلك أنزل الله القران الكريم على محمد ﷺ ليبقى المعجزة الخالدة والنبع الذي لا ينضد حتى تكمن الفائدة منه في كل زمان وحين، وكلما تطور الإنسان في العلم وتقدم به الزمان وجد أنه خاضع أمام هذا الكتاب الكريم فهو يعلو ولا يعلى عليه، ونحن في هذا الزمان حيث كثرت الفتن وتعددت أسبابها بأشد الحاجة إلى الرجوع إلى كتاب الله حيث به العلاج النافع والملاذ الآمن من كل فتنة ومصيبة.

---

(١) خالد بن حامد الحازمي: أصول التربية الإسلامية، ط٢، دار الزمان، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ، ص ٢١٧.

فمن هذا الباب ينطلق الباحث في جانب يسير من آيات القران الحكيم وهي سورة القلم حيث وجد الباحث أنها تحتوي على مضامين تربوية كثيرة بحاجة إلى إظهارها وتبينها ، حتى يمكن الاستفادة منها.

ففي مطلع السورة يقسم الله بأدوات العلم وهي القلم والكتاب:﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ (القلم: ١) وجواب القسم تزكية لرسول ﷺ ودفاعا عنه قال تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ (القلم: ٢) وجوابه الثاني ترغيب له بالدعوة:﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣﴾ (القلم: ٣) والجواب الثالث مدح له وتعزيز لخلقه العظيم الذي هو عليه ﷺ حتى يكون قدوة حسنة للمؤمنين: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾ (القلم: ٤).

ثم ينهى الله عن مجموعة من الأخلاق السيئة لمقتها بأسلوب سلس وسهل إشارة للمؤمنين بالابتعاد عن هذه الصفات وتجنبها قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ (القلم: ١٠- ١٣).

ثم ضرب الله مثلا لكفار قريش بقصة أصحاب الجنة لعلهم يعتبرون ويتعظون ويرجعون عما هم فيه من الغي والظلال قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ۝١٧﴾ (القلم: ١٧)

ثم يحث الله المؤمنين على التقوى، ويرغبهم في بالثواب العظيم وجنات النعيم قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٣٤﴾ (القلم: ٣٤) ويرهب الكافرين ويخوفهم بالعقاب الأليم في أسلوب آخر لعلهم يرجعون عن ما هم فيه فقال: ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٤﴾ (القلم: ٤٤)

وفي نهاية السورة يوصى الله رسوله ﷺ بالصبر الجميل والذي عاقبته حميدة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ۝٤٨﴾ (القلم: ٤٨).

كل هذه المضامين التربوية التي وردة في السورة سوف يتناولها الباحث بشيء من التفصيل والتوضيح، عسى أن تكون فيها الفائدة بإذن الله تعالى والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

موضوع الدراسة:

موضوع الدراسة: المضامين التربوية المستنبطة من سورة القلم وتطبيقاتها التربوية.

لقد شمل القرآن الكريم جوانب الحياة كلها تنظيماً وتخطيطاً ومن هذه الجوانب الروحية والعقلية والجسمية والاجتماعية والتربوية ومع هذا القدر الكبير الذي يحتويه القرآن العظيم من الكنوز لا يزال الكثير منها مخبأ في ثناياه لا يعرفها الكثير من المختصين فضلاً عن العامة وذلك يرجع إلى تقصير الكثير من المختصين في البحث في هذه الجوانب ومحاولة تقليد الآخرين في مناهج حياتهم ومصادر تربيتهم.

وفي الجانب التربوي يرى الباحث أن سورة القلم قد احتوت على كثير من المضامين التربوية، والحاجة داعية إلى استعراض تفسير بعض آياتها واستنباط ما يمكن التوصل إليه من مضامين تربوية تساعد على غرس القيم الإسلامية وتوطد علاقة الناشئ بالقرآن الكريم والعمل به واتخاذه منهجاً في حياته العامة والتربوية خاصة.

وقد احتوت السورة على مضامين إيمانية مثل الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر ومضامين تعبدية مثل التوبة والرجوع إلى الله والتقوى والصبر الجميل ومضامين أخلاقية واجتماعية مثل حسن الخلق ولابتعاد عن الصفات السيئة والتكافل الاجتماعي وغيرها كما احتوت على بعض الأساليب التربوية التي معرفتها تفيد في عملية التربية كل هذه الموضوعات سوف يتناولها الباحث في دراسته بإذن الله تعالى.

أسئلة الدراسة:

تسعى الدراسة إلى الإجابة على السؤال الرئيسي التالي:

ما المضامين التربوية المستنبطة من سورة القلم وما تطبيقاتها التربوية؟

وانبثقت عن هذا التساؤل عدة تساؤلات هي: -

س ١: ما مكانة وأهمية سورة القلم في القرآن الكريم ؟

س٢: ما المضامين التربوية المستنبطة في الجوانب الإيمانية والتعبدية الواردة بالسورة؟

س٣: ما المضامين التربوية المستنبطة في النواحي الأخلاقية والاجتماعية الواردة في السورة؟

س٤: ما الأساليب التربوية المستنبطة من سورة القلم؟

س٥: ما التطبيقات التربوية للمضامين الواردة في سورة القلم؟

أهداف الدراسة:

"الهدف الأسمى للتربية الإسلامية هو غرس الاعتقاد الصحيح في نفس المسلم وتحويل هذا الاعتقاد إلى سلوك عملي يمارسه في حياته ظاهراً وباطناً قولاً وعملاً وذلك بعبادة الله والخضوع له وأن يكون الإنسان خليفة الله في الأرض لتعميرها فيحقق شريعة الله وطاعته.

ويهدف هذا البحث إلى إبراز المضامين التربوية المستنبطة من سورة القلم، ويتفرع عن هذا الهدف مجموعة من الأهداف وهي:

١. دراسة السورة دراسة موضوعية استنباطية.
٢. تبيان ما في السورة من مضامين متضمنة في الجوانب الإيمانية والتعبدية التي ذُكرت فيها وهي: الإيمان بالله تعالى، الإيمان برسالة محمد ﷺ، الإيمان باليوم الآخر، والتوبة والرجوع إلى الله، والتقوى.
٣. توضيح المضامين التربوية المستنبطة في الجانب الأخلاقي والاجتماعي التي ذكرت في ثناياها وهي: حسن الخلق، والصبر، وترك الأخلاق السيئة مثل الغيبة والنميمة والشح ومنع الخير والاعتداء بالإثم والحسد، والحث على التكافل الاجتماعي واختيار القرين الصالح.
٤. بيان أهم الأساليب التي وردة في سورة القلم مثل القدوة الحسنة وأسلوب القصة، وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب الحوار.
٥. استخلاص الآثار التربوية لكل مبدأ.
٦. بيان التطبيقات التربوية لهذه المضامين من خلال الأسرة.

أهمية البحث:

١. تنبثق أهمية الدراسة بأنها تتعلق بسورة من سور القران الكريم الذي جعله الله هدى لناس ونور وتبيان لكل شيء وهذه السورة هي سورة القلم التي تضمنت مضامين كثير لو طبقت لحققت سعادة الدارين للفرد والمجتمع.

٢. سورة القلم تحتوي على العدد من الأخلاق الفاضلة والتوجهات التربوية التي يمكن الاستفادة منها في تقديم التوجهات لمختلف المؤسسات مثل الأسرة من أباء وأبناء والمدرسة من معلمين عند تدريسهم لطلاب أو القائمين على وضع المناهج ومن مؤسسات اجتماعية.

٣. أن هذه الدراسة جديدة حيث لم يسبق تناول سورة القلم من هذه النواحي التربوية.

٤. كما تفيد الدراسة في إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة جديدة.

منهج الدراسة:

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج التالي: -

١- المنهج الوصفي: وهو (الجمع المتأني والدقيق للسجلات والوثائق المتوافرة ذات العلاقة بموضوع – مشكلة البحث. ومن ثم التحليل الشامل لمحتوياتها بهدف استنتاج ما يتصل بمشكلة البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث)[١]. ولعل هذا المنهج يكون أكثر اتساقًا في استنباط المضامين التربوية من سورة القلم، وتوضيح كيف يستفيد منها الفرد والمدرسة والمجتمع في التعامل اليومي.

٢- المنهج الاستنباطي: (وهو الذي يقوم فيه الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة)[٢]. واختيار هذا المنهج يفيد في إبراز مضامين تربوية من سورة القلم، وذلك بدراسة تفسير الآيات ودراسة أقوال العلماء فيها للتعرف على دلالاتها وجوانبها المختلفة، وكيف تستفيد المؤسسات التربوية، مؤيداً ذلك بالأدلة التفصيلية من الكتاب والسنة. واستخدامه في المضامين التربوية المتضمنة في السورة، واستنباط آثارها

---

(١)صالح بن حمد العساف: المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٣، ١٤٢٤هـ، ص ٢٠٦.

(٢) صالح عبد الرحمن فوده: المرشد في كتابة البحوث التربوية، دار المنار، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ، ص٤٣.

التربوية الناجمة عن هذه المضامين وتطبيقها. استناداً إلى العديد من كتب تفسير القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وشرحها، وتنظيمها، وتبويبها حسب المحاور الرئيسية التي احتوت عليها السورة الكريمة.

حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة، على استنباط المضامين التربوية التي احتوتها سورة القلم، وبيان التطبيقات التربوية لها من خلال الأسرة، وذلك في الجوانب التالية:

١. مضامين التربية الإيمانية والتعبدية والتربية الأخلاقية والاجتماعية.
٢. الأساليب التربوية المتضمنة في السورة.

مصطلحات الدراسة:

المضامين التربوية:

المضامين لغة: "ما في بطون الحوامل من كل شيء كأنهن تضمَّنَّه، قال أبو عبيد: هي ما في أصلاب الفحول، وهي جمع مضمون. ويقال: ضَمِنَ الشيء بمعنى تضمَّنه، ومنه قولهم: مضمون الكتاب كذا وكذا"[(١)]. و"(ضمَّنْتُ) الشيء كذا جعلته محتويًا عليه (فتضمَّنَهُ) أي فاشتمل عليه واحتواه"[(٢)].

والمضمون المحتوى، ومنه مضمون الكتاب: ما في طيه، ومضمون الكلام: فحواه وما يفهم منه، والجمع مضامين [(٣)].

أما المضامين التربوية في العملية التربوية فهي" كافة المغازي والأنماط والأفكار والقيم والممارسات التربوية التي تتم من خلال العلمية التربوية لتنشئة الأجيال المختلفة عليها، تحقيقاً للأهداف التربوية المرغوب فيها[(٤)].

والمراد بالمضامين التربوية في الدراسة: ما يمكن استنباطه من معانٍ ومجالات وأساليب تربوية اشتملت عليها واحتوتها آيات سورة القلم من منطوق الآيات أو مفهومها

---

(١) جمال الدين محمد بن منظور: لسان العرب، ج١٣، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ص٢٥٨.

(٢) أحمد بن محمد بن علي الفيومي، : المصباح المنير، ج٢، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م، ص٤٩٧

(٣) أنيس إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط ، ط٢، دار التراث العربي ،مصر ، ، ١٤٢٠هـ ، ص ١٠٩٢ .

(٤) أحمد سعيد الغامدي، : العلاقات الإنسانية في الفكر الإداري الإسلامي ومضامينها وتطبيقاتها التربوية (رسالة ماجستير غير منشورة- قسم الإدارة التربوية والتخطيط- كلية التربية جامعة أم القرى مكة المكرمة)١٤٠١هـ، ص ٤٠.

وأقوال المفسرين، والتي يمكن تطبيقها وفق خطوات إجرائية.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي للمعلومات من خلال قاعدة البيانات بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض والاتصال بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية واتحاد الجامعات العربية بالأردن كانت حصيلة الدراسات التالية:

أولا: دراسة مليحة بنت عبدالله الحارثي

بعنوان: تفسير سورة القلم

رسالة ماجستير غير منشورة: كلية التربية للبنات بجدة، قسم الدرسات الإسلامية ١٤٠٢هـ

هدف البحث:

تفسير آيات سورة القلم بالاعتماد على كتب المفسرين ودراسة السورة دراسة تحليلية وذكر أقوال المفسرين فيها والترجيح بينها.

منهج البحث: استخدمت الباحثة المنهج الاستنباطي والمنهج التحليلي للوصول إلى تفسير آيات السورة.

وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١. ترجيح أن سورة القلم مكية، وأنها ليست الثانية كما تقول الرويات ، بل أنها بعد الدعوة الجهرية.
٢. يكثر الاقسام بمخلوقات الله في القرآن، ولا بد من وجود ارتباط وعلاقة وثيقة بين المقسم به والمقسوم عليه لأن القران في أعلى طبقات البلاغة وأن الاقسام بالقلم إشارة إلى أهميته ولفت أنظار الناس إلى أن العلم هو أساس الدين وأساس دعوة محمد ﷺ.
٣. نفي الجنون عن الرسول ﷺ، يتبين منه انه اتهم به من أعداءه وليس ذلك قاصرا عليه وحده بل جميع المكذبين للرسل، قد اتهموا رسلهم بهذه التهمة الباطلة.
٤. معرفة الكفار بصدق محمد في دعوته ورجاحة عقلة، ولكن الذي أقعدهم عن الإيمان به الحقد والبغض والحسد، بما أنعم الله على رسوله الكريم وأعظمها

نعمة النبوة والمنزلة الرفيعة.

ثانيا: دراسة/ سعيد بن موسى بن عيدان العمري.

بعنوان: التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة.

كلية التربية: قسم التربية الإسلامية: جامعة أم القرى: ١٤٢٤هـ.

وقد هدف هذا البحث إلى التعرف على التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة. واستخدم الباحث المنهج الاستنباطي في استخراج هذه التوجيهات.

وتوصل الباحث إلى النتائج التالية:

١. إن توجيهات سورة المجادلة اتصفت بالتعدد والشمول لجوانب كثيرة عقدية وتعبدية واجتماعية وفكرية مما يدل على عظمة هذا الكتاب الفريد وبركته العميمة، فهو منهج تربوي كامل.
٢. إن استشعار المعية الإلهية له آثار تربوية كثيرة.
٣. رفع مكانة الموالاة والمعادة في الله حيث تعتبر أوثق عرى الإيمان.
٤. إن تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله يؤدي إلى تعظيم النبي ﷺ ومحبته وطاعته فيما أمر وانتهاء عما نهى عنه وزجر.
٥. إن الكفارات الشرعية تقوم على تقويم الغرائز والتحذير من ارتكاب المعاصي وتعمل على تزكية النفس.
٦. إن الحوار وسيلة تربوية لها بالغ الأهمية في علاج كثير من الأخطاء السلوكية والانحرافات الخلقية وعن طريقه أيضا يتم تعزيز السلوكيات الصحيحة.
٧. إن من مميزات الإسلام وخصائص تربيته الفريدة دعوته إلى العلم بمفهومه الواسع الشامل.

ثالثا: دراسة/ سعيد عبدالله الشهيل.

بعنوان: المضامين المستخلصة من آيات السؤال في القرآن الكريم.

كلية التربية: قسم التربية الإسلامية: جامعة أم القرى: ١٤٢٥هـ.

أهداف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهم المضامين التربوية المستنبطة من آيات السؤال في القران لكريم عن طريق تحقيق الأهداف التالية:

١- بيان معنى السؤال وأهميته في القران الكريم.

٢- الوقوف على جوانب السؤال في آيات الدراسة وأثرها التربوي.

٣- توضيح استثارة التفكير عند المتعلم كمضمون تربوي.

٤- تنبيه المتعلم إلى ضرورة المشاركة كمضمون تربوي.

٥- استخدام لغة الحوار كمضمون تربوي.

منهج البحث: استخدام الباحث المنهج الاستنباطي والمنهج التحليلي للوصول إلى ما احتوته آيات السؤال من مضامين تربوية.

ومن أهم النتائج:

١- أن آيات السؤال تشتمل على الكثير من المضامين التربوية المثيرة للفكر الإنساني.

٢- آن آيات السؤال اشتملت على مضامين تربوية تتناول جانب السلوك والتعامل بين الفرد والمجتمع.

٣- بينت الدراسة أهمية مشاركة المتعلم في العملية التعليمية ودور الحوار للمعلم والمتعلم وأن الأسئلة هي أفضل سبيل لمعرفة الفكرة ومناقشتها.

رابعا: دراسة إبراهيم عبد الشكور محمد بشناق.

بعنوان: بعض المضامين التربوية في سورة الحديد ١٤١٩هـ.

رسالة ماجستير غير منشورة: كلية التربية: قسم التربية الإسلامية والمقارنة: جامعة أم القرى: ١٤١٩هـ

هدف البحث إلى توضيح المضامين التربوية في سورة الحديد وإبرازها إلى حيز الوجود من حيث التمسك بالعقيدة والأخلاق والتفكر في عظمة الله الذي يحيط بخلقه.وتنشئة الفرد المسلم على تطبيق هذه المضامين في المدرسة والأسرة والمجتمع. واستخدم الباحث المنهج الوصفي والمنهج الاستنباطي.

وتوصل إلى النتائج التالية:

١. أظهرت الدراسة أن سورة الحديد بها الكثير من المضامين التربوية المتعلقة بالعقيدة والأخلاق والأفكار المحسوسة.

٢. إن تطبيق المضامين العقدية والأخلاقية عملاً وقولاً في حياة النشء يؤدي إلى نجاح العملية التربوية.

٣. إن التوجيهات التربوية للقرآن والسنة المطهرة تكون سبيلاً لتطوير المناهج وطرق التدريس.

٤. إن للقرآن الكريم أهمية عظيمة في الارتقاء والتطوير للأساليب التربوية المختلفة.

التعليق على الدراسات السابقة:

تتفق هذه الدراسة مع سابقاتها على ضرورة الاهتمام بالقرآن الكريم بدراسته واستنباط الجوانب التربوية المتضمنة فيه، وأنه المصدر الرئيس لكل ما يحتاجه المسلم.

وتوافق هذه الدراسة سابقاتها في كثير من المضامين التربوية التي تناولتها.

ولقد استفاد الباحث من الدراسات السابقة فيما يلي:

١. طريقة استنباط المضامين التربوية وكيفية توظيفها في الجوانب التربوية المختلفة.

٢. بعض المضامين المستنبطة من السورة وتطبيقاتها التربوية.

٣. الإطلاع على الكثير من المصادر والمراجع في مجال البحث.

اختلفت الدراسة الحالية عن سابقتها في كون الدراسة الأولى تناولت تفسير آيات سورة القلم ولم تتناول السورة من الناحية التربوية.

أما بقية الدراسات فقد تناولت المضامين التربوية المستنبطة من سوراً أخرى وهذه الدراسة اختصت بدراسة سورة القلم من الناحية التربوية.

الفصل الثاني
التعريف بسورة القلم

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : سبب نزول السورة ومناسبتها لما قبلها.

المبحث الثاني : الموضوعات التي اشتملت عليها سورة "القلم".

المبحث الثالث : معاني الآيات في السورة وملامحها التربوية.

الفصل الثاني
التعريف بسور القلم

تمهيد:

سورة القلم نزلت في أحلك الظروف بالنسبة للدعوة ووقت اشتداد عداء الكفار للمسلمين، وتكذيبهم لرسول ﷺ ولدعوته، وقد ألحقوا به وبالمؤمنين جميع أنواع الأذى، فرموه بتهمة الجنون والكذب، واشتدت الخطب عليه وعلى المؤمنين، والمعركة في أوجها وقد " كانت معركة كلامية في بدايتها ووقت جدل وخصام، ومحاولة للقضاء على الدعوة"[1] في مهدها.

وكان العنف والشدة والبلاء والمحنة والضيق النفسي من هؤلاء المشركين قد بلغ أوجه، فمن رحمة الله بنبيه والمؤمنين معه أنزل هذه السورة تسلى الرسول، وتدفع التهمة عنه، وتبشره بالنصر في المستقبل، "ويطمئن المستضعفين بأنه هو يتولى عنهم أعدائهم ويعفيهم من التفكير في أمر هؤلاء الأعداء الأقوياء الأغنياء"[2].

وتحذر الرسول ﷺ من مداهنة المشركين ومن طاعتهم لأنهم أصحاب مصالح، لا يعملون إلا من أجل تحقيق مصالحهم، ثم حذرت من الصفات التي هم عليها لتجنبها وعدم فعلها ،من كثرة الحلف والتنابز بالألقاب والغيبة والنميمة ومنع الخير والغلظة

---

[1] مليحة عبدالله الحارثي: تفسير سورة القلم رسالة ماجستير غير منشورة- قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية للبنات بجدة، ١٤٠٢، ص١.

[2] سيد قطب: في ظلال القران، ج٧، دار الشروق، بيروت،١٤١٢هـ، ص٢٨٢.

والكبر والاغترار بالمال والبنين، وذكرت بعقوبة من يفعل ذلك وأن الله قادر عليه.

كما ضرب لهم مثلا قصة أصحاب الجنة على عاقبة البطر ، تهديدا لكبراء قريش المغترين بأموالهم وأولادهم ممن لهم المال والبنون، والذين أذوى الرسول والذين أمنوا معه. كما حذرت كفار قريش من عدم شكر نعمة الله عليهم، وتصديق رسوله والإيمان به، وإلا سوف يحرمهم هذه النعمة.

كما طمأن الله المتقين الصابرين بأن جزاءهم عند الله جنات النعيم ولن يساوي بينهم وبين المجرمين في الأجر والحساب، قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (سورة القلم: ٣٦)

كما يحث الله رسوله والمؤمنين من بعد على التمسك بالصبر وأنه باب لجميع الفضائل، وأنه لا غنى عنه لأي أحد من البشر.

وفي ختام الصورة جاءت البشارة العظمى وهي عموم رسالته، وأنها ليست مقصورة على قريش إنما هي رسالة عالمية سوف تصل إلى جميع أنحاء العالم، وسوف تمتد عبر العصور حتى وصلت إلى وقتنا الحاضر قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (القلم: ٥٢). كما جاءت في ذلك آيات كثير تدل على عالمية رسالته عليه الصلاة والسلام وأن هذا الدين ليس مقصورا على كفار قريش أنما سوف يصل إلى جميع أصقاع الأرض ولا يدع بيت ألا دخله بعز عزيز أو بذل ذليل يقول تعالى في هذا : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ (سورة: ص: ٨٧ – ٨٨).

من هنا سوف يقوم الباحث بدراسة السورة من عدة مباحث:

المبحث الأول : سبب النزول ومناسبتها لما قبلها.

المبحث الثاني : الموضوعات التي اشتملت عليها سورة " القلم ".

المبحث الثالث : معاني الآيات في السورة وملامحها التربوية .

المبحث الأول

سبب النزول ومناسبتها لما قبلها

سوف يتناول الباحث هذا المبحث من عدة محاور وهي:

أولاً: وقت نزولها .

ثانياً: ترتيب نزولها.

ثالثاً: تسميتها.

رابعاً: سبب نزولها .

خامساً: مناسبتها لما قبلها.

ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: وقت نزولها:

سورة القلم معدودة في السور المكية التي نزلت قبل الهجرة وهو ماعليه جمهور المفسرين بل أن بعضهم حكى الإجماع على مكيتها "وهي مكية لا خلاف فيها بين احد من أهل التأويل"[1].

وذلك كما "أخرج النحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة ن وَٱلْقَلَمِ بمكة[2].

وقال الألوسي: هي من أوائل ما نزل من القرآن بمكة فقد نزلت على ما روى عن ابن عباس اقرأ باسم ربك ثم هذه ثم المزمل ثم المدثر[3].

إلا إن بعض العلماء ذكروا أن بعضها نزل بمكة والبعض في المدينة ذكره القرطبي عن الماوردي: "أن ابن عباس وقتادة قالا: أولُها مكي، إلى قوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى

---

[1] عبد الحق ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٥، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م، ص٣٤٤.

[2] جلال الدين السيوطي، ج٨، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٣م، ص ٢٣٩.

[3] شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، ج٢٨، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص٩٢.

ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾ ومن قوله: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ ﴾ إلى ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ مدني، ومن قوله: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿فَهُم يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ مكي، ومن قوله: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ مدني، ومن قوله: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ إلى آخر السورة مكي"[1].

وقال السخاوي: "أن المدني منها من قوله: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ ﴾ إلى قوله ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ومن قوله: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾"[2].

والذي يتبين أنها مكية جميعها، فلو نظرنا إلى سياق السورة لوجدنا أنها "منسجمة وسياقها يدل على أنها نزلت دفعة واحدة بمكة، فمطلع السورة وختامها يتحدثان عن أمر واحد وهو تطاول الكفار على الرسول ﷺ واتهامهم له بالجنون"[3].

وهذا حدث في بداية دعوته ﷺ مما يؤكد أن السورة كلها نزلت بمكة والله أعلم.

ثانياً: ترتيب نزولها:

اختلف العلماء في تحديد موقعها من النزول على عدة أقوال:

١- عدها بعضهم ثاني السور نزولا بعد سورة العلق[4].

٢- أنها الثالثة أو الرابعة لأن "ما عليه جمهور العلماء أن ثاني السور نزولا هي سورة المدثر فتكون هذه السورة هي الثالثة أو الرابعة بعد سورة المزمل"[5].

٣- أنها نزلت بعد الجهر بالدعوة أي بعد ثلاثة سنوات من بدأ الوحي يقول قطب "الراجح أنها نزلت بعد فترة من الدعوة العامة، التي جاءت بعد حوالي ثلاث سنوات من الدعوة الفردية"[6].

والذي يتبين أن سورة القلم من أوائل ما نزل من القران الكريم بمكة ولهذا النوع من السور موضوعاتها وملامحها التي تختلف مع السور المدنية، وذلك لأن موضوعاتها مثل

---

[1] محمد القرطبي، الجامع لأحكام القران، ج٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ، ص٢٢٢.

[2] علي بن محمد السخاوي، جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق الدكتور علي حسين البواب، ج١، مكة المكرمة، مكتبة التراث، ١٤٠٨هـ، ص٣٤.

[3] مليحة عبدالله، تفسير سورة القلم، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص ٣٢.

[4] محمد أيوب ابن الضريس، فضائل القران، دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٤٠٨هـ، ص٣٣.

[5] محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٩، الدار التونسية، ١٩٨٤م، ص٥٨.

[6] سيد قطب، في ظلال القران، مرجع سابق، ج٧ ص٢ .

موضوعات سورة العلق أول سورة نزلت من القران.

ثالثاً: تسميتها:

باستقراء كتب المفسرين وجدت ثلاث أسماء لسورة القلم وهي:

١- سميت في بعض التفاسير سورة (ن والقلم) على حكاية اللفظين الواقعين في أولها، أي سورة هذا اللفظ.

٢- سميت سورة (ن) "بالاقتصار على الحرف المفرد الذي افتتحت به مثل ما سميت سورة ص وسورة ق.

٣- وفي بعض المصاحف سميت سورة القلم"[١].

رابعاً: أسباب النزول:

من الملاحظ أن سورة القلم نزلت متفرقة كل مجموعة من الآيات نزلت لمناسبة معينة كما يلي:

١- ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم: ٤).

أسباب نزول الآية:

أخرج الواحدي بسنده عن عائشة قالت: ما كان أَحدٌ أحسنُ خلقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أَحد من أَصحابه ولا من أَهل بيته إلاَّ قال: لبيك فلذلك: أَنزل الله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[٢].

٢- ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ (القلم: ١٠ – ١٣).

أسباب نزول الآية:

يقول الواحدي: أَخرج ابن أَبي حاتم عن السدي في قوله: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة القلم) نزلت في الأَخنس بن شريق. وأَخرج ابن أَبي حاتم عن مجاهد قال: نزلت في الأَسود بن عبد يغوث، وأَخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: نزل على النبي ﷺ: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ فلم نعرفه حتى نزل عليه بعد ذلك: ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ

---

[١] محمد الطاهر عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج٢٩ ص٧٥.

[٢] علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧هـ ص ٢٤٧.

زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ فعرفناه له زنمة كزنمة الشاة[1]'. يقصد أنه الأسود بن عبد يغوث.

٣- ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (القلم: ١٧).

أسباب نزول الآية:

يقول السيوطي: أَخرج ابن أَبي حاتم عن ابن جريج، أَنّ أَبا جهل قال يوم بدر: خذوهم أَخذاً، فاربطوهم في الحبال، ولا تقتلوا منهم أَحداً فنزلت: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ يقول في قدرتهم عليهم كما اقتدر أَصحاب الجنّة على الجنّة[2].

٤- ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (القلم: ٣٥ - ٣٦):

سبب نزول الآية "كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها، فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المؤمنين قالوا: إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هي في الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا، وأقصى أمرهم أن يساوونا"[3].

٥- **قوله عز وجل: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (القلم: ٥١).**

نزلت حين أراد الكفار أن يعينوا رسول الله ﷺ فيصبوه بالعين، فنظر إليه قوم من قريش، فقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه، وكانت العين في بني أسد حتى أن كانت الناقة السمينة والبقرة السمينة تمر بأحدهم فيعينها ثم يقول: يا جارية خذي المكتل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه، فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر[4].

خامساً: مناسبتها لما قبلها

يقول الألوسي: "ومناسبتها لسورة الملك على ما قيل من جهة ختم تلك بالوعيد وافتتاح هذه به"[5] وذكر ابن حبان أن الله بعدما ذكر في سورة تبارك "أشياء من أحوال السعداء والأشقياء وذكر قدرته الباهرة وعلمه تعالى الواسع وأنه عز وجل لو شاء

---

[1] علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، مرجع سابق، ٢٤٧ .

[2] السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، دار الفكر، بيروت، ص٢٠٥.

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج١٨، ص٢٤٦.

[4] الواحدي، أسباب النزول، مرجع سابق ،ص٢٤٧ .

[5] شهاب الدين الألوسي: روح المعني، مرجع سابق، ج٢٨، ص ٩٢.

لخسف بهم الأرض أو لأرسل عليهم حاصباً وكان ما أخبر به سبحانه هو ما أوحى به إلى رسوله ﷺ فتلاه عليه الصلاة والسلام وكان الكفار ينسبونه في ذلك مرة إلى الشعر ومرة إلى السحر ومرة إلى الجنون فبدأ جل شأنه هذه السورة الكريمة ببراءته ﷺ مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون وتعظيم أجره على صبره على أذاهم وبالثناء على خلقه"[1].

يقول السيوطي في مناسبتها لما قبلها "لما ذكر سبحانه في آخر تبارك التهديد بتغوير الماء استظهر عليه في هذه السورة بإذهاب ثمر أصحاب البستان في ليلة يطاف عليها بطائف وهم نائمون فأصبحوا لم يجدوا له أثراً حتى ظنوا أنهم ضلوا الطريق وإذا كان هذا في الثمار وهي أجرام كثيفة فالماء الذي هو لطيف رقيق أقرب إلى الإذهاب ولهذا قال: ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠﴾ (القلم: ١٩ – ٢٠)، وقال هناك: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ (الملك: ٣٠) إشارة إلى أنه يسرى عليه في ليلة كما سرى على الثمرة في ليلة[2].

---

[1] محمد بن يوسف ابن حبان: البحر المحيط في علم التفسير، ج٨، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ، ص ٣٠٧ .

[2] جلال الدين السيوطي، أسرار ترتيب القران، تحقيق عبدالقادر احمد، ط٢، دار الاعتصام، جده، ١٣٩٨هـ، ص٢٠ .

المبحث الثاني

موضوع سورة "القلم"

بالرغم من أن بعض المفسرين قد شكك في كون السورة مكية بأجمعها، كما بينت سابقا إلا أن السورة من حيث موضوعها ومحتوى آياتها ينسجم انسجاما كاملا مع السور المكية، "لان المحور الأساسي فيها يدور حول مسألة نبوة رسول الإسلام ﷺ ومواجهة الأعداء الذين كانوا ينعتونه بالجنون وغيره، والتأكيد على الصبر والاستقامة وتحدي الصعاب، وإنذار وتهديد المخالفين لهذه الدعوة المباركة بالعذاب الأليم"[1].

وسوف يتحدث الباحث عن هذا المبحث من محورين:

الأول : الموضوعات التي احتوت عليها السورة

الثاني: أهداف السورة ومقاصدها:

أولاً: الموضوعات التي احتوت عليها السورة:

بشكل عام فإن السورة تتحدث عن صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأن ما جاء به الحق من عند الله وتحذر الكافرين من العناد والاستمرار بالكفر بالله وإذاء رسوله، وتطرقت في ذلك لعدة موضوعات من أهمها:

في بداية السورة يقسم الباري جل وعلا بأمور عظيمة وهي القلم والكتاب على ثلاثة أمور عظيمة الأولى الدفاع عن الرسول ﷺ ونفي تهمه الجنون التي رماه بها الكفار والثانية ثبوت الأجر الكامل الغير منقوص له ﷺ والثالثة مدحه بالخلق العظيم الذي عليه ﷺ.

ثم تذكر السورة بعض صفات المكذبين الجاحدين لرسالة والنهي عن هذه الصفات وعن طاعة أصحابها، وهي الكذب والغيبة والنميمة ومنع الخير والغلظة والجلافة والافتخار بالمال والولد.

ثم جاءت قصة أصحاب الجنة والتي في الحقيقة توجه إنذار وتهديد للسالكين طريق العناد والسوء من المشركين، كما توضح عاقبة البخل والشح ومنع الخير عن

---

[1] محمد بن احمد الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج١، بيروت، المكتبة العصرية، ص٢٥٤.

المساكين، كما تضمنت هذه القصة كثير من المعاني والأهداف التربوية.

ثم جاء بعدها حوار هام مع المشركين لإقناعهم بالإيمان، وطرحت عليهم الآيات مجموعة تساؤلات مخاطبة عقولهم للإجابة عليها لعلهم يعودون للحق.

كما جاء في السورة مجموعة آيات توضح بعض أحوال يوم القيامة وتهديد ووعيد للكفار وعقوبتهم في الآخرة.

كما جاء في السورة الأمر الإلهي لرسول ﷺ بالصبر لحكم الله وترك العجلة مثل ما فعل صاحب الحوت يونس عليه السلام.

ثم رجعت إلى الموضوع الأساسي وهو الدفاع عن الرسول ﷺ وحمايته من العين والحسد ومؤامرات الذين كفروا المتربصين به في شتى الطرق.

ثم ختمت السورة "في بيان عموم وشمول رسالة الإسلام وأنها رسالة عالمية"[1] وأنها ليست قاصرة على كفار قريش وإنما هو ذكر لجميع الناس كما جاءت في ذلك لآيات الكثيرة الدالة على عموم رسالته قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ (سبأ: ٢٨) وهذا العموم مما اختصت فيه شريعة الإسلام فهو يشمل عموم الناس وعموم جوانب الحياة.

ثانياً: أهداف السورة ومقاصدها:

تهدف السورة على جملة أمور نذكر منها ما يلي:

١- دفع التهمة الموجهة إلى الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ ﴾ (القلم: ٣).

٢- شهادة الله سبحانه وتعالى بالخلق العظيم لرسوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾ (القلم: ٤).

٣- تنبيه الرسول والمسلمين لأساليب الأعداء لنيل من الدين، وأنهم يودون لو يلين لهم المسلمون فيلينوا وذلك لغرض تحقيق مصالحهم الدنيوية قول تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩ ﴾ (القلم: ٨ - ٩).

٤- بيان جملة من الصفات السيئة التي اتصف بها أعداء الدعوة والتحذير منها

---

[1] مليحة عبدالله الحارثي: تفسير سورة القلم، رسالة ماجستير، مرجع سابق، ص٥ .

بقولـــــــــــه: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾ (القلم:١٠-١٢).

٥- ضرب المثل بقصة أصحاب الجنة لأخذ العظة والعبرة منها، ولبيان أن نهاية أعداء الله إذا استمروا على ما هم عليه الهلاك والدمار، وأن ما هم عليه من نعمة سوف تزول بسبب ذنوبهم كما أهلك الله ثمر أصحاب تلك الجنة قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (القلم: ٣٣).

٦- طمأنة المسلمين بعدم مساواتهم بالمجرمين بالحساب والجزاء قال تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ القلم: ٣٥).

٧- مجادلة المشركين بطريقة منطقية بأسلوب حواري مقنع مكون من مجموعة تساؤلات لإبطال زيف كل ما يمكن أن يتعلقوا به. قال تعالى: ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ (القلم: ٣٧ – ٤١)، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ القلم: ٤٧).

٨- إثبات البعث وإبراز مشهد من مشاهد يوم القيامة لئلا يكون للكفار حجة في ذلك اليوم حيث أن الله انذرهم وحذرهم فلم يستجيبوا ولم يذعنوا وللحق فكان عاقبتهم يوم القيامة الذلة والمهان بما عصوا الله قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ القلم: ٤٢ – ٤٣).

وفي عموم السورة تسلية لرسول ﷺ ومؤازرته والوقوف معه في أصعب الظروف، حيث مدحه الله وأثنى عليه، ثم بعد ذلك توعد الذين كذبوه واتهموه بالجنون، وبين الصفات السيئة التي هم عليها، ثم تكفل بحربهم وبمعاقبتهم على ذلك، قال تعالى: ﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ (القلـــم: ٤٤ – ٤٥) أي "حسبي مجازيا لمن يكذب بهذا القران، فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على في الانتقام منه، تسلية لرسوله ﷺ وتهديدا للمكذبين"[1].

---

[1] جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد عوض، ج٤، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٨هـ، ص٥٨٣.

المبحث الثالث

معاني الآيات في السورة وملامحها التربوية

تمهيد:

سوف يقوم الباحث ببيان معاني الآيات معتمدا على كتب التفسير المشهورة ويذكر خلالها الملامح التربوية لها وذلك كالأتي:

تفسير السورة:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾

﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾ (القلم: ١ – ٧).

قوله تعالى ﴿نٓ﴾ حرف مقطع في قول جمهور المفسرين وهي أول ما نزل من تلك الحروف[1].

يقسم تعالى بالقلم، "وهو اسم جنس شامل للأقلام، التي تكتب بها [أنواع] العلوم، ويسطر بها المنثور والمنظوم، وذلك أن القلم وما يسطرون به من أنواع الكلام، من آيات الله العظيمة، التي تستحق أن يقسم الله بها"[2].

أقسم الله تعالى في بداية السورة بالقلم ومسطوره وهذه أدوات العلم، ولشرفها وأهميتها أقسم الله بها، وهذا دليل قاطع على أننا أمة علم وكتابة فإذا كانت سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق يستنبط منها الحث على القراءة وهي أول سورة نزلت على النبي ﷺ فإن سورة القلم يستنبط منها الحث على الكتابة وهي ثاني سورة نزلت على رأي بعض المفسرين وذلك من قوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾.

---

[1] ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق، مرجع سابق، ج٥ ص٢٥.

[2] عبدالرحمن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط٤، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ، ص٨٨٧.

يقول الزرقاني حول هذا الموضوع "جاء الإسلام، فحارب فيما حارب أمّيّة العرب، وعمل على محوها، وطفق يرفع من شأن الكتابة ويعلي من مقامها. وإن كنت في شك، فهذه أوائل آيات نزلن من القرآن الكريم، يشيد الحق فيها بالقلم، وما يعلم الله عباده بوساطة القلم.....

ثم يقول: "وهذه سورة «ن» يحلف العلي الأعلى فيها بالقلم وما يسطرون، إذ يقول: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ (القلم:١- ٢). وهذا من أروع ألوان التنبيه إلى جلال الخط والكتابة ومزاياهما، وهذا رسول الله يدفع أصحابه دفعاً إلى أن يتعلموا الخطَّ ويحذقوا الكتابة، ويهيئ لهم السبل بكل ما يستطيع من وسيلة مشروعة"[1].

وقد أهتم الرسول ﷺ بتعلم الصحابة ﷺ للكتابة حتى لقد ورد أنّ المسلمين في غزوة بدر أسروا ستين مشركاً فكان مما يقبل الرسول في فداء الواحد منهم أن يعلم عشرة من أصحابه الكتابة والخط.

"وهكذا أعلن الرسول بعمله هذا أنّ القراءة والكتابة عديلان للحرية، وهذا منتهى ما تصل إليه الهمم في تحرير شعب أمي من رقِّ الأمية، وبمثل هذه الطريقة أخذت ظلمات الأميّة تتبدّد بأنوار الإسلام شيئاً فشيئاً، وحلّ محلها العلم والكتابة والقراءة. وهذا من أدل الأدلة على أنّ الإسلام دين العلم والحضارة والمدنية"[2].

والقلم هو أداة العلم والعلم فضله عظيم "لأن العلم من أبلغ الأدلة العقلية على صدق الرسول ﷺ وهو أحد الدواعي لتحلي بالأخلاق العظيمة فلذلك وقع القسم بالقلم لشرفه بأنه يكتب به القران، وكتبت به الكتب المقدسة، وتكتب به التربية ومكارم الأخلاق والعلوم"[3].

والمقسوم عليه أي جواب القسم ثلاثة أمور كلها تخص الرسول ﷺ وهي:

الأمر الأول: دفع التهمة وتبرئته مما رمي به من فرية الجنون، لأن ما جاء به من نعمة الإسلام والحق تتنافى مع هذه الفرية وإنما هي دعوى باطلة أراد بها مروجوها إبعاد الناس عن الهدى والحق الذي جاء به.

---

[1] محمد عبدالباقي الزرقاني: شرح الزرقاني ، ج١، دار الفكر،بيروت، ص٣٦٤.

[2] محمد الزرقاني: شرح الزرقاني، مرجع سابق ج١ ص٣٦٤.

[3] أحمد ابن تيمية، دقائق التفسير، ج٥، ط٢، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٤هـ، ص١٥.

الأمر الثاني: أثبات الأجر الكامل غير المنقوص "ومقتضى ذلك أن ما جاء به حق، ولو كان باطلا لاستحق الذم والعقاب"[1].

الأمر الثالث: مدح الرسول ﷺ بأخلاقه العظيمة وذلك يدل على صدق الرسالة التي جاء بها و"أن ذلك الكمال الأخلاقي الذي اتصف به النبي ﷺ دليل النبوة القاهر الذي ألزم الكثيرين الإيمان بنبوته من قبل أن يروا خارقا حسيا، وهم أمثال خديجة أم المؤمنين وأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وغيرهم"[2].

لكن مشركي قريش كذبوه وأساءوا إليه ونعتوه بالكذب والجنون وغيرها من الإساءات مع أنهم يعرفونه قبل الإسلام بالصادق الأمين لكن صدق عليهم إبليس وعده ولذلك قال لهم الله: ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦﴾ (القلم: ٥ - ٦) ستعلم ويعلمون أي "ستبصر يا محمد ويبصر الكفار إذا تبين الحق وانكشف الغطاء وذلك يوم القيامة"[3] وهذا فيه وعد ووعيد.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧﴾ (القلم: ٧). "هذا فيه تهديد للضالين، ووعد للمهتدين، وبيان لحكمة الله، حيث كان يهدي من يصلح للهداية، دون غيره"[4].

قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ۝١٦﴾ (القلم: ٨ - ١٦).

يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ الذين كذبوا بما جئت به وعاندوا الحق، فإنهم ليسوا أهلا لأن يطاعوا، لأنهم لا يأمرونك إلا بما يوافق أهواءهم، وهم لا يريدون إلا الباطل والظلال. "فالمطيع لهم مقدم على ما يضره، وهذا عام في كل مكذب، وفي كل طاعة ناشئة عن التكذيب، وإن كان السياق في شيء خاص"[5].

﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩﴾ أي ودوا لو تصانعهم في الدين ويصانعونك "والمعنى تترك

---

[1] ابن تيمية، دقائق التفسير، مرجع سابق، ج٥ ص١٥.

[2] عبدالرضى محمد، نبي الإسلام، الرياض، الدار العالمية للكتب الإسلامية، ١٤١٩هـ ص٢١٣.

[3] محمد الشوكاني، فتح القدير، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٣م، ص١٥١٦.

[4] عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ٨٨٠.

[5] فخر الدين محمد الرازي، مفاتيح الغيب، ج٥ ، دار إحياء التراث العربي، ص٦٠٧.

بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض مالا ترضى فتلين لهم ويلينون لك"[1].

وهذه الآية تفيد النهي عن طاعة الكفار أو التشبه بهم أو مجاراتهم في الدين أو أخذ شيء من عاداتهم الدينية مداهنة لهم أو محاولة إرضائهم، وهذا مما يجب تعليمه للمتربين، وتكوين شخصيتهم المسلمة المستقلة بمميزاتها وأخلاقها العالية التي لا تحتاج التقليد الأعمى للغربيين وغيرهم من الكفار. وهذا تجسيد لعقيدة الولاء والبراء.

ثم ينهى الله عن طاعة أصحاب بعض الصفات السيئة وهي:

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ أي: كثير الحلف، فإنه لا يكون كذلك إلا وهو كذاب "وذلك أن الكذاب لضعفه ومهانته إنما يتقي بإيمانه الكذب التي يجترأ بها على أسماء الله تعالى واستعمالها في كل وقت غير محلها"[2]. ﴿ هَمَّازٍ ﴾ أي: "كثير العيب للناس والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء. ﴿ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهي: نقل كلام بعض الناس لبعض، لقصد الإفساد بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء"[3].

﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ "وفيه قولان: أحدهما: أن المراد أنه بخيل والخير المال والثاني: كان يمنع أهله من الخير وهو الإسلام"[4]. ﴿ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾ المعتدي الذي يتعدى "على الخلق في ظلمهم، في الدماء والأموال والأعراض و أَثِيمٍ أي: كثير الإثم والذنوب المتعلقة في حق الله تعالى، و﴿ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ أي: غليظ شرس الخلق قاس غير منقاد للحق و﴿ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ أي: دعي، ليس له أصل و لا مادة ينتج منها الخير، بل أخلاقه أقبح الأخلاق، ولا يرجى منه فلاح، له زنمة أي: علامة في الشر، يعرف بها"[5].

"ويشبه ـ والله أعلم ـ أن يكون الحلاف المهين الهماز المشاء بنميم من جنس واحد، وهو في الأقوال وما يتبعها من الأفعال، والمناع المعتدي الأثيم العتل الزنيم من جنس وهو في الأفعال وما يتبعها من الأقوال. فالأول الغالب على جانب الأعراض، والثاني الغالب

---

[1] سيد قطب، في ظلال القران، مرجع سابق، ج٧ ص١٥ .

[2] عماد الدين ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج٤، بيروت، المكتبة العصرية، ص٦٤.

[3] عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص٨٨٠.

[4] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج٥ ص٦٠٧.

[5] عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ٨٨١.

على جانب الحقوق في الأحوال والمنافع ونحو ذلك"[1].

وحاصل هذا أن الله تعالى نهى عن طاعة كل حلاف كذاب، سيئ الأخلاق، ونهى عن الإعجاب بالنفس، والتكبر على الحق وعلى الخلق، واحتقار الناس، والغيبة والنميمة، وكثرة المعاصي والذنوب.

وهذه الآيات وإن كانت نزلت في بعض المشركين إلا أنها "تعتبر كذلك عامة في كل من اتصف بهذا الوصف، لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم، وربما نزل بعض الآيات في سبب أو في شخص من الأشخاص، لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة"[2].

وبالحقيقة هذا أسلوب تربوي جميل حيث نهى الله سبحانه وتعالى فالأولى عن التشبه بالكفار ومداهنتهم ثم نهى عن طاعة المكذبين وذكر صفاتهم السيئة وذلك الأمرين:

زيادة بالتأكيد على عدم طاعتهم ومداهنتهم لوجود هذه الصفات بهم.

زيادة في النهي عن التشبه في بعض صفاتهم وفعلها.

وفي هذا يقول بن تيمية رحمه الله تعالى: "نهي الرسول ﷺ عن طاعة المكذبين وما تفرخ من كذبهم وخبث سجاياهم، وقد تضمن ذلك التشبه بهم بالأولى، فإن النهي عن قبول قول من يأمر بالخلق الناقص، أبلغ في الزجر من النهي عن التخلق به، كما تضمنت تكريم الرسولﷺ فإن قوله: لا تكذب ولا تحلف ولا تشتم ولا تهمز ليس هو مثل قوله: لا تطع من يكون متلبسا بهذه الأخلاق، .. لما فيها من تشريفه وبراءته" [3]يعني الرسول ﷺ.

﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (القلم: ١٤) اغتر بكثرة المال والبنون فقال: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (القلم: ١٥) أي "مقابل ما أنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله عز وجل واعرض عنها وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين"[4] وجزاء له قال تعالى: ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾ (القلم: ١٦) أي "سنجعل على أنفه علامة

---

[1] ابن تيمية، دقائق التفسير، مرجع سابق، ج٥، ص٦٧.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص٨٨١.

[3] ابن تيمية، دقائق التفسير، مرجع سابق، ج٥، ص٦٨.

[4] ابن كثير، تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ج٤ص٣٦٥ .

يعرف بها"[1].

وهكذا توعد سبحانه وتعالى من جرى منه ما وصف به من هذه الصفات، بأن الله سيسمه على خرطومه أي انفه وليعذبه عذابًا ظاهرًا، يكون عليه سمة وعلامة، في أشق الأشياء عليه، وهو وجهه. وهذا يعتبر من باب الجزاء من جنس العمل.

فأخبر سبحانه أنه لا بد أن يسم صاحب هذه الأخلاق الخبيثة على خرطومه، وهو أنفه الذي هو عضوه البارز، الذي يسبق البصر إليه عند مشاهدته؛ لتكون السيما ظاهرة من أول ما يرى، ولذلك تجد من يتصف بهذا الصفات معروف وظاهر الخبث والفحش وتجده ممقوت تفر الناس منه وهذا وعيد من الله وتهديد حتى ينزجر عن هذه الصفات من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (القلم: ١٧ - ٣٣).

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (القلم: ١٧). ذكر الله في بداية القصة مشبه ومشبه به وذلك لتشويق وشد الانتباه فالمشبه: هم كفار قريش، والمشبه به هم أصحاب الجنة الذين ﴿أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ أي "حلفوا ليقطعن ثمرها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ أي ولا يقولون إنشاء الله"[2].

يقول ابن تيميه "فيه بيان حال البخلاء، وما يعاقبون به في الدنيا قبل الآخرة من تلف الأموال، إما إغراقاً وإما إحراقاً، وإما نهباً وإما مصادرة، وإما في شهوات الغي وإما في غير ذلك مما يعاقب به البخلاء، الذين يمنعون الحق. وليس إقدام في صنايع المعروف"[3].

وفي هذا السياق يذكر الله قصة أصحاب الجنة في أسلوب تربوي تعليمي المقصود

---

[1] أبي بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، مكتبة العلوم والحكم، ص١٦٦٣.

[2] الحسن البغوي، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبدالله النمري، ج٨، ط٤، دار طيبة، ١٤١٧هـ ، ص١٨٤.

[3] ابن تيمية، دقائق التفسير، مرجع سابق. ج٥ ص١٩ .

منه إيصال المعلومة لكفار قريش بطريقة مختلفة لعلهم يرجعون، وهذا الأسلوب يسمى أسلوب القصة.

فشبه الله سبحانه وتعالى ما أعطى هؤلاء المكذبين من الخير وأمهلهم، مثل ما أتى أصحاب الجنة، الذين هم فيها شركاء، حين زهت ثمارها أينعت أشجارها، وآن وقت صرامها، وجزموا أنها في أيديهم، وأنه ليس ثم مانع يمنعهم منها، ولهذا أقسموا وحلفوا من غير استثناء، أنهم سيصرمونها أي: يجذونها مصبحين، ولم يدروا أن الله بالمرصاد، وأن العذاب سيخلفهم عليها، ويبادرهم إليها.

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ أي: "عذاب نزل عليها ليلا ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾ فأبادها وأتلفها ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ أي: كالليل المظلم، ذهبت الأشجار والثمار"[1].

قوله: ﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ في الصباح ينادي بعضهم بعضا يقول ﴿ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ وكان هذا التخافت خوفاً من أن يشعر بهم المساكين، وكان لفظهم الذي ﴿يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ به ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾

أي: بكروا قبل انتشار الناس، وتواصوا مع ذلك، بمنع الفقراء والمساكين، ومن شدة حرصهم وبخلهم، أنهم يتخافتون بهذا الكلام مخافتة، خوفًا أن يسمعهم أحد، فيخبر الفقراء.

﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: "غدو صباحا على قصد قادرين صرامها قبل أن يطلع عليهم المساكين"[2]. ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: تائهون عنها، لعلها غيرها، فلما تحققوها، ورجعت إليهم عقولهم قالوا: ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (القلم: ٢٧).

والمعنى "فلما صار هؤلاء القوم إلى جنتهم، ورأوها محترقا حرثها، أنكروها وشكوا فيها، هل هي جنتهم أم لا؟ فقال بعضهم لأصحابه ظنا منه أنهم قد أغفلوا طريق جنتهم، وأن التي رأوا غيرها: إنا أيها القوم لضالون طريق جنتنا، فقال من علم أنها جنتهم، وأنهم لم يخطئوا الطريق: بل نحن أيها القوم محرومون، حُرِمنا منفعة جنتنا بذهاب حرثها"[3].

---

[1] عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص٨٨٠.

[2] أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير في كلام العلي الكبير، مرجع سابق، ص١٦٦٣.

[3] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ، ص٥٥٢.

فعرفوا حينئذ أنه عقوبة، فـ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ أي: أعدلهم، وأحسنهم طريقة ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ أي: "تنزهون الله عما لا يليق به، ومن ذلك، ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلولا استثنيتم فقلتم: إنشاء الله وجعلتم مشيئتكم تابعة لمشيئة الله، لما جرى عليكم ما جرى"[1].

عندها قالوا: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ أي: استدركوا بعد ذلك، ولكن بعد ما وقع العذاب على جنتهم، الذي لا يرفع، ولكن لعل تسبيحهم هذا، وإقرارهم على أنفسهم بالظلم، ينفعهم في تخفيف الإثم ويكون توبة، ولهذا ندموا ندامة عظيمة.

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ أي: متجاوزين للحد في حق الله، وحق عباده.

والمعنى "لما أنبههم، رجعوا إلى ذكر الله تعالى، واعترفوا على أنفسهم بالظلم، وبادروا إلى تسبح الله تعالى فقالوا: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا ﴾. قال ابن عباس: أي نستغفر الله من ذنبنا. ولما أقروا بظلمهم، لام بعضهم بعضاً، وجعل اللوم في حيز غيره، إذ كان منهم من زين، ومنهم من قبل، ومنهم من أمر بالكف، ومنهم من عصى الأمر. ومنهم من سكت على رضا منه. ثم اعترفوا بأنهم طغوا، وترجوا انتظار الفرج في أن يبدلهم خيراً من تلك الجنة"[2]. وتبرز هنا أهمية القرين الصالح.

قوله ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ فهم رجوا الله أن يبدلهم خيرًا منها، ووعدوا أنهم سيرغبون إلى الله، ويلحون عليه في الدنيا.

يقول الرازي: "واعلم أن المقصود من ذكر هذه القصة أمران:

أحدهما: أنه تعالى قال: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (القلم: ١٤ – ١٥) والمعنى: لأجل أن أعطاه المال والبنين كفر بالله كلا: بل الله تعالى إنما أعطاه ذلك للابتلاء، فإذا صرفه إلى الكفر دمر الله عليه بدليل أن أصحاب الجنة لما أتوا بهذا القدر اليسير من المعصية دمر الله على جنتهم فكيف يكون الحال في حق من عاند الرسول وأصر على الكفر والمعصية.

---

[1] عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص٨٨١.

[2] ابن حيان الأندلسي، البحر المحيط في علم التفسير، مرجع سابق، ج٨ ص٣١٢.

والثاني: أن أصحاب الجنة خرجوا لينتفعوا بالجنة ويمنعوا الفقراء عنها فقلب الله عليهم القضية فكذا أهل مكة لما خرجوا إلى بدر حلفوا على أن يقتلوا محمداً وأصحابه، وإذا رجعوا إلى مكة طافوا بالكعبة وشربوا الخمور، فأخلف الله ظنهم فقتلوا وأسروا كأهل هذه الجنة"[1].

قال تعالى مبينا ما وقع: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: الدنيوي لمن أتى بأسباب العذاب أن يسلب الله العبد الشيء الذي طغى به وبغى، وآثر الحياة الدنيا، وأن يزيله عنه، وهو في أحوج ما يكون إليه. ولكن هناك عقوبة أعظم من عقوبة الدنيا وهي ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ من عذاب الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فإن من علم ذلك، أوجب له الانزجار عن كل سبب يوجب العذاب ويحل العقاب.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾ (القلم: ٣٤ - ٤١).

يخبر تعالى بما أعده للمتقين، من أنواع النعيم والعيش السليم في جوار أكرم الأكرمين، وأن حكمته تعالى لا تقتضي أن يجعل المسلمين القانتين لربهم، المنقادين لأوامره، المتبعين لمراضيه كالمجرمين الذين أوضعوا في معاصيه، والكفر بآياته، ومعاندة رسله، ومحاربة أوليائه، وأن من ظن أنه يسويهم في الثواب، فإنه قد أساء الحكم، وأن حكمه حكم باطل، ورأيه فاسد، وأن المجرمين إذا ادعوا ذلك، فليس لهم مستند، لا كتاب فيه يدرسون أنهم من أهل الجنة، وأن لهم ما طلبوا وتخيروا.

وروي "أنه لما نزلت هذه الآية قالت قريش: إن كان ثم جنة فلنا فيها أكثر الحظ، فنزلت: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾. وقال مقاتل: قالوا فضلنا الله عليكم في الدنيا، فهو يفضلنا عليكم في الآخرة، وإلا فالمشاركة، فأجاب تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ﴾: أي لا يتساوى المطيع والعاصي، هو استفهام فيه توقيف على خطأ ما قالوا وتوبيخ. ثم التفت إليهم فقال: ﴿مَا لَكُمْ﴾، أي: أي شيء لكم فيما تزعمون؟ وهو استفهام إنكار عليهم. ثم قال: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾، وهو استفهام ثالث على سبيل الإنكار عليهم، استفهم عن هيئة

[1] محمد بن عمر الرازي: مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج ٥ ص ٤٧٤.

حكمهم. ففي قوله: ﴿مَالَكُمْ﴾ استفهام عن كينونة مبهمة، وفي ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ استفهام عن هيئة حكمهم"[1].

وقوله: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ أي: أيهم الكفيل بهذه الدعوى الفاسدة، فإنه لا يمكن التصدر بها، ولا الزعامة فيها"[2].

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (القلم: ٤٢ - ٤٣).

"وهي أول ساعة من يوم القيامة وهي أفضعها، وهو عبارة عن شدة الهول"[3] فيكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام فيدعى فيسجد من كان يسجد في هذه الدنيا، ولا يستطيع الكافر والمنافق السجود، فمن شدة الذل والمهانة تكون: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي " بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، لما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة"[4] وهذا من باب الجزاء من جنس العمل فأنهم لما رفضوا السجود في الدنيا عاقبهم الله بأن منعهم من السجود له في الآخرة. ولهذا قال تعالى:

﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ (القلم: ٤٤ - ٥٠).

يعني "خل بيني وبينه، فإني سأجازيه وليس ثم مانع. وهذا وعيد شديد لمن يكذب بما جاء به الرسول ﷺ من أمر الآخرة وغيره، وكان تعالى قدم أشياء من أحوال السعداء والأشقياء"[5].

ثم بدأ يحاورهم مرة أخرى لعلهم يرجعون عما هم فيه ويقدم لهم أدله عقليه على

---

[1] ابن حيان الأندلسي: البحر المحيط في علم التفسير، مرجع سابق، ج٨ ص٣١٢.

[2] عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص٨٨١.

[3] عبد الحق بن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق، ج٦ص٣٩٨.

[4] ابن كثير، تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ج٤ ص٣٦٨ .

[5] محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج٥ ص ٤٧٥.

صدق محمدﷺ وأنه ليس له مصلحة من وراء دعوتهم للحق قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: "لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم، فيثبطهم ذلك عن الإيمان"[1] وليس لنفورهم عنك، وعدم تصديقهم لما جئت به، سبب يوجب لهم ذلك، فإنك تعلمهم، وتدعوهم إلى الله، لمحض مصلحتهم، من غير أن تطلبهم من أموالهم مغرمًا يثقل عليهم.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ ما كان عندهم من الغيوب، وقد وجدوا فيها أنهم على حق، وأن لهم الثواب عند الله، فهذا أمر ما كان، وإنما كانت حالهم حال معاند ظالم. "فلم يبق إلا الصبر لأذاهم، والتحمل لما يصدر منهم، والاستمرار على دعوتهم، ولهذا قال: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: لما حكم به شرعًا وقدرًا، فالحكم القدري، يصبر على المؤذي منه، ولا يتلقى بالسخط والجزع، والحكم الشرعي، يقابل بالقبول والتسليم، والانقياد التام لأمره"[2].

وقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ وهو يونس بن متى، عليه الصلاة والسلام أي: ولا تشابهه في الحال، التي أوصلته، وأوجبت له الانحباس في بطن الحوت، وهو عدم صبره على قومه الصبر المطلوب منه، وذهابه مغاضبًا لربه، حتى ركب في البحر، فاقترع أهل السفينة حين ثقلت بأهلها أيهم يلقون لكي تخف بهم، فوقعت القرعة عليه فالتقمه الحوت.

يقول ابن تيمية "وختمها بالأمر بالصبر الذي هو جماع الخلق العظيم في قوله: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وذلك نص في الصبر على ما يناله من أذى الخلق وعلى المصائب السماوية، والصبر على الأول أشد"[3].

و نداء صاحب الحوت وهو مغتم مهتم بأن قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (الأنبياء: ٨٧) فاستجاب الله له، وقذفته الحوت من بطنها بالعراء وهو سقيم، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، ولهذا قال هنا:

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾ (القلم: ٤٩) أي: "لطرح في العراء، وهي الأرض

---

[1] جار الله الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج ٤ ص٥٨٣ .

[2] عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص٨٨١.

[3] ابن تيمية، دقائق التفسير، مرجع سابق، ج٥ ص٢٠ .

الخالية ﴿وَهُوَ مَذۡمُومٞ ٤٩﴾ ولكن الله تغمده برحمته فنبذ وهو ممدوح، وصارت حاله أحسن من حاله الأولى"[1]، ولهذا قال: ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي: اختاره واصطفاه ونقاه من كل كدر. ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٥٠﴾ أي: "الذين صلحت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم، وأحوالهم فامتثل نبينا محمد ﷺ، أمر ربه، فصبر لحكم ربه صبرًا لا يدركه فيه أحد من العالمين"[2]. ولذلك مدحه الله بأول السورة بأنه صاحب الخلق العظيم الذي يجمع كل الصفات الحسنة.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢﴾ (القلم: ٥١ - ٥٢): "أي ليزلقون قومك بنظرهم الحاد الدال على العداوة المفرطة، أو ليهلكونك قال قتادة: نزلت لدفع العين حين أرادوا أن يعينوه عليه الصلاة والسلام. وقال الحسن: دواء من أصابته العين أن يقرأ هذه الآية"[3].

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١﴾ وهو على ما افتتح به السورة.

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي "وما هذا القرآن الذي يزعمون أنه دلالة جنونه ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢﴾ فإنه تذكير لهم، وبيان لهم، وأدلة لهم، وتنبيه لهم على ما في عقولهم من أدلة التوحيد، وفيه من الآداب والحكم، وسائر العلوم مالا حد له ولا حصر، فكيف يدعى من يتلوه مجنوناً"[4].

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾: "أي يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل، كما ورددت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة"[5]. ثم أورد رحمة الله تعالى مجموعة من الأحاديث النبوية التي تدل على حقيقة إصابة الإنسان بالعين والحسد،

وهذه القضية بالحقيقة انتشرت بين أوساط التربويين وشغلت الكثير من المربين والعامة وهي قضية إصابة الطالب المتميز بالعين، وينسب كثير من الناس وخاصة الآباء

---

[1] محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج١٨، ٣٤.

[2] عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص٨٨١ .

[3] ابن حبان الأندلسي، البحر المحيط، مرجع سابق، ج٨ ص .

[4] محمد عمر الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج٥ ص ٦٢٠.

[5] ابن كثير، تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ج٤ص٣٦٩.

التأخر الدراسي المفاجأ لأبنائهم بدعوى إصابتهم بالعين. ولو نظرنا إلى حقيقة الأمر لوجدنا أن هذه المشكلة موجودة وبكثرة بين أولياء الأمور وحتى بعض المربين والقصص والشواهد كثيرة.

فهذه مشكلة سببت لكثير من الدارسين تدني في مستوى التحصيل الدراسي ولبعضهم التسرب من الدراسة فهل هذه حقيقة موجودة؟؟ أم وهم وخيال؟؟

بعض الملامح التربوية لسورة القلم:

قد احتوت سورة القلم على كثير من الدالات التربوية والتعليمية، فقد احتوت على مضامين إيمانية وتعبدية وأخلاقية واجتماعية، وتعليمية وأساليب تربوية، متنوعة، مما يدل على أهمية السورة تربويا.

إضافة إلى كثير من الألفاظ التربوية الصريحة والتي نذكر منها ما يلي:

١- الدواة : وذلك من قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾ (القلم: ١) فقد ذكر بعض المفسرين أنها أداة الكتابة والدواة في اللغة هي "التي يكتب منها وجمعها دويات مثل حصاه حصيات[١].

٢- القلم: وهو أداة الكتابة وقد ذكره الله في مواضع عديدة من القران وفي السورة "قسم بالدواة والقلم فإن المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة فإن التفاهم يحصل مرة بالنطق ومرة بالكتابة"[٢].

٣- السطور: من قوله تعالى:﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ (القلم: ١) أي يخطون ويكتبون[٣].

٤- الكتاب: من قوله تعالى:﴿أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ﴾ (القلم: ٣٧) أي هل عندكم كتاب.

٥- تدرسون: من قوله تعالى: ﴿فِيهِ تَدۡرُسُونَ ٣٧﴾ (القلم: ٣٧) أي تقرؤون[٤].

٦- يكتبون: من قوله تعالى: ﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤٧﴾ (القلم: ٤٧).

هذه الألفاظ التربوية الصريحة أما غير الصريح فقد احتوت السورة على كثير من

---

[١] أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير ،مرجع سابق، ج٣ ص ٢٨٥.

[٢] عمر بن علي بن عادل، اللباب في علم الكتاب، عادل أحمد وآخرون، ج ٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ، ص٣٩٦ .

[٣] أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ص١٦٦١ .

[٤] محمد الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ص ١٥٢٠ .

الدلالات التعليمية والمضامين التربوية، وسوف يتناولها الباحث في شيء من التفصيل والإيضاح بالفصول القادمة، بعون الله وتوفيقه.

الفصل الثالث

المضامين التربوية المستنبطة في الجوانب الإيمانية والتعبدية

ويتكون من مبحثين وهما:

المبحث الأول: التربية الإيمانية في سورة القلم:

المطلب الأول : معنى التربية الإيمانية وأهميتها.

المطلب الثاني: الإيمان باليوم الآخر.

المطلب الثالث: الآثار التربوية الإيمانية المستنبطة من السورة.

المبحث الثاني: التربية التعبدية في:

المطلب الأول : معنى التربية التعبدية وأهميتها.

المطلب الثاني: مبدأ التقوى.

المطلب الثالث: مبدأ التوبة.

المطلب الرابع: الآثار التربوية التعبدية المستنبطة من السورة.

المبحث الأول

التربية الإيمانية في سورة القلم

تمهيد:

التربية الإيمانية هي تلك التربية التي تعلق القلب بالله تعالى، وتخلّصه من عوالق الدنيا وزخرفها وملذاتها وشهواتها الزائلة، فهي تطهر القلب وتزكيه فلا يكون له تعلق بمال أو جاه أو سلطان أو رفعة أو مكانة أو شهرة، فما تلبث أن تنبه صاحبها، وتقوم سلوكه، حتى يستقيم ويصلح قلبه ويحقق العبودية لله، فيخلص في عمله ويربأ بنفسه عن العجب والرياء، فلا تراه إلا ذاكراً مذكرا فهي تربية شاملة تطهر القلب وتُزكّي السلوك.

وموضوع سورة القلم يدور حول الإيمان بصدق رسالة محمد ﷺ، وحث الناس على الإيمان بالله واليوم الآخر، وإن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق من عند الله، فذكرهم بخلقه العظيم الذي ينافي الكذب والجنون، كما ذكرهم بقصة أصحاب الجنة وعاقبة الإصرار على المعصية والانخداع بكثرة المال والبنون، والقوة بالبطر، وبين جزاء المؤمنين المتقين لله، وحاورهم عز وجل ليثبت لهم حقيقة الإيمان وحقيقة رسالة محمد ﷺ، ثم توعدهم إذا استمروا على تكذيب حديث الرسول عن الإيمان بالعقاب الشديد، كل ذلك يدل على أهمية الإيمان في تقويم سلوك الإنسان حتى يحقق العدل وخلافة الله في الأرض، حيث بينت سورة القلم بعض من أنواع السلوك الخاطئ، الذي عليه ذلك المجتمع قبل بعثت الرسول ﷺ، من الكذب والغيبة والنميمة والإفساد في الأرض ومنع الخير والتكبر على الناس وسوء الخلق، كل ذلك السلوك يستقيم إذا أمن الناس بالله ربا وبمحمد نبيا وقدوة، وبالقران منهجا ودستورا، وهذا حقيقة الإيمان الذي دعت إليه سورة القلم، من هذا المنطلق سوف يتناول الباحث جانب الإيمان في سورة القلم من ثلاثة محاور وهي:

المطلب الأول: معنى التربية الإيمانية وأهميتها

المطلب الثاني: الإيمان باليوم الآخر

المطلب الثالث: الآثار التربوية الايمانية المستنبطة من السورة .

المطلب الأول
معنى التربية الإيمانية وأهميتها

تمهيد:

أن الإيمان هو الركن الأساسي الذي تبدأ به التربية الإسلامية في تكوين شخصية المسلم، "لأنه العنصر الأساسي المحرك لعواطف الإنسان، والموجه لإرادته، ومتى صحت عناصر التربية الايمانية في الإنسان استقامت حياته على طريق الخير والرشاد"[1]. والأيمان هو التصديق بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وقد بين عليه الصلاة والسلام معناه في حديث جبريل عليه السلام عندما سأله عن الإيمان قال: **(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ صَدَقْتَ)**[2].

وسوف يتناول الباحث في هذا المطلب مفهوم الإيمان، والتربية الايمانية في سورة القلم، وذلك على النحو التالي:

أولا: تعريف الإيمان

لغة: الإيمان لغة يأتي في عدة معاني:

١- التصديق: وضده التكذيب وهو مصدر آمَنَ يُؤْمِنُ إيماناً فهو مُؤْمِنٌ واتَّفق أَهلُ العلم من اللُّغَويّين وغيرهم أَن الإيمانَ معناه التصديق ومنه قوله تعالى (وما أنت بمؤمن لنا)[3].

٢- **الأمان والأمن:** وضده الخوف؛ "لأن العبد إذا آمن بالله أمّنه الله وصار في أمانه"[4]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (سورة

---

[1] عبدالرحمن حبنكة الميدان: الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ١٣٩٩هـ ص٣١.

(٢) محمد بن اسماعيل البخاري: الجامع الصحيح، ج ١، (رقم الحديث ٤٨)، ص ٨٧ - مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم ج ١، (رقم الحديث ٩)، ص ٨٧

[3] ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ج١٣، ص٢٣.

[4] ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ج١٣ص٢١

الأنعام: ٨٢). قال ابن الأثير: "في أسماء الله تعالى (المؤمن) وهو الذي يصدُقُ عبادَهُ وعدَه، فهو من الإيمان بمعنى التصديق، أو يُؤَمِّنُهم في القيامة من عذابه، فهو من الأمان والأمن"[١].

٣- **الائتمان والأمانة:** "ضده الخيانة ومعناها سكون القلب"[٢] وعلى ذلك قوله سبحانه: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة التوبة: الآية ٦١).

قال ابن تيمية: " أي يُصَدِّقُهمُ فيما أخبروا به مما غاب عنه، وهو مأمون عنده على ذلك فاللفظ متضمن معنى التصديق ومعنى الائتمان والأمانة"[٣].

وبذلك يكون لفظ الإيمان مشتملاً على جميع المعاني اللغوية السابقة وهى (الأمانة والأمان و التصديق) ولا تنحصر في التصديق فقط.

بل ذهب ابن عثيمين إلى القول أن الإيمان في اللغة يأتي بمعنى الإقرار بالشيء عن تصديق به، وفي ذلك معنى أشمل من مجرد التصديق، فالإقرار يعني الاعتراف المستلزم للقبول للأخبار والإذعان للأحكام وهذا هو الإيمان[٤].

معنى الإيمان اصطلاحاً:

الإيمان اعتقاد القلب وإقرار اللسان وعمل الجوارح وقيل "الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان"[٥].

وعرفه بعضهم بقوله "الإيمان قول وعمل ونية يزيد ونقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول إلا بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة"[٦].

---

[١] المبارك بن محمد ابن الأثير، : النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمد الطناحي، ج١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٣هـ، ٦٩.

[٢] أحمد فارس: معجم مقاييس اللغة، مكتبة الخانجي، ج١، ط٣، القاهرة، ١٤٠٢هـ ، ص١٣٣.

[٣] أحمد ابن تيمية: مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبدالله محمد قاسم النجدي، ج٧، مكتبة المعارف، الرباط، ص٢٩٢.

[٤] محمد بن صالح العثيمين: شرح العقيدة الواسطية، ج١، ط٥، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٩هـ، ص٥٤

[٥] محمد بن علاء الدين ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ، ص٢٣.

[٦] هبة الله بن الحسن الطبري: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تحقيق د. أحمد بن سعد الغامدي، ط٤، دار طيبة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

فعلى ذلك يكون الإيمان قول وعمل مرتبطان لا يمكن فصلهما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى "إن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب ونيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فان تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة"[1].

وهذا الربط حقيقة ملازمه لتعريف الإيمان مهما اختلف اللفظ فالمقصود واحد يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى "أقوال أئمة السنة في تفسير الإيمان تارة يقولون: هو قول وعمل وتارة يقولون: قول وعمل ونية، وتارة يقولون قول وعمل ونية وإتباع السنة، وتارة يقولون: قول اللسان، واعتقاد القلب وعمل الجوارح.... وقد فسر رحمه الله تعالى سبب هذا الاختلاف اللفظي بقوله "من قال أن الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان، وعمل القلب والأركان، وزاد بعضهم الاعتقاد بالقلب احترازا من أن القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر. وقال بعضهم: قول وعمل ونية لأنه قد لا يفهم من العمل النية فزاد ذلك، وزاد بعضهم، إتباع السنة لأنهم يريدون من العمل ما كان مشروعا من الأقوال والأفعال"[2].

مما سبق يتضح أن الإيمان هو اعتقاد وقول وعمل ونية وموافقة للسنة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فالاعتقاد يكون بالقلب ولا يكفي هذا الاعتقاد إلا مع قول باللسان كلمة الإيمان ولا ينفع هذا القول بدون وجود عمل صالح ولا يصح هذا العمل إلا بنية خالصة لله سبحانه وتعالى ولا يتقبل هذا الإخلاص إن لم يوافق ما جاء به الرسول ﷺ.

المقصود بالتربية الإيمانية:

هي: مجموع الأنشطة والأعمال التي يمارسها المُربِّي حيال المُربَّى في المحافظة على إيمانه وتكميله وزيادته[3].

---

[1] محمد بن أبي بكر ابن القيم، الفوائد. ط ١ لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ ، ص١٥٩ .

[2] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ٦٣٨/٧.

[3] حسن الحجاجي: الفكر التربوي عند ابن القيّم، دار الحافظ، جده، ١٤٠٨هـ، ص١٩٧.

لذلك نرى الإمام ابن القيّم يقول: "كلّ من القلب والبدن محتاج إلى أن يتربّى، فينمو ويزيد حتّى يكمل ويصلح"[1].

ثانياً: التربية الإيمانية في سورة القلم وأهميتها:

تنبع أهمية التربية الايمانية من اهتمام الرسول ﷺ بها، والتركيز عليها في بداية الوحي حيث ظل ﷺ ثلاثة عشر عاما في مكة المكرمة يدعوا إلى توحيد الله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ (سورة البينة آية ٥).

وكما بينت أن سورة القلم من أوائل ما نزل من القران الكريم فقد ركزت السورة على التربية الإيمانية في أساليب شتى فتارة بنفي التهمة بالجنون عن الرسول ﷺ وأنه صاحب خلق عظيم لا يمكن أن يفتري على الله الكذب في حديثه عن الدعوة للإيمان بالله تعالى، وتارة بالتهديد للمكذبين بهذا الحديث الحق وهو الحديث عن الإيمان بالله وبرسالة محمد ﷺ ﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥﴾ (سورة القلم آية: ٤٤- ٤٥).

وتارة بالترغيب بالإيمان والتقوى لله سبحانه وتعالى بدخول الجنة التي أعدة للمتقين: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٣٤﴾ (سورة القلم آية:٣٤). ونفي مساواتهم بالمجرمين في الجزاء والحساب : ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦﴾ (سورة القلم:٣٤- ٣٥).

وتارة بحث الرسول ﷺ على التمسك بالصبر على أذى الكفار له وتركهم الإيمان به، وعدم استعجال حكم الله كما فعل صاحب الحوت ذو النون يونس عليه السلام إذ ذهب مغاضبا بدون إذن الله سبحانه وتعالى فعاقبه بأن إللتهمه الحوت ولولا التوبة لنبذ بالعراء وهو مذموم ولكن تداركته رحمة الله: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨﴾ (سورة القلم آية:٤٨).

فتنوع الأساليب لدعوة إلى التربية الإيمانية يدل على أهميتها القصوى "فهي مصدر تطهير وتزكية النفوس، وتصحيح الأفكار وتهذيب السلوك وتنمية الأخلاق، وهي أصل الخير كله، بل أنها السياج الواقي، والحصن المنيع من الانحرافات السلوكية لدى

[1] ابن القيّم الجوزية: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ ٤٦/١.

النشء"[1].

كما تكمن أهميتها بأنها تعمل على تعريف المسلم بربه وخالقه سبحانه وتعالى وتقوي الصلة بينه وبينه جل وعلا "فالتربية الإيمانية هي: تنمية الإنسان العابد الصالح على طرق التعرف على الله سبحانه، والاتصال به، والقرب منه، لتحقيق هدف الإنسان في الأرض عن طريق الاستعانة بالله" [2].

وتهتم التربية الإيمانية "بترسيخ مبادئ العقيدة الإسلامية في نفس المتربي، وتدريبه على تعلم أركان الإسلام، وتعويده على أداء الصلاة والصيام وإيتاء الزكاة، وتقوية علاقته بالمسلمين"[3]

وهذه الأمور لها أثر كبير في تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق وهذا دور أساس من أدوار التربية الإيمانية فهي التي تقوم "بترسيخ للقوى الروحية لدى الناشئين وغرس الإيمان في نفوسهم إشباعا لنزعتهم الفطرية للتدين، وتهذيب غرائزهم والسمو بنزعاتهم، وتوجيه سلوكهم على أساس القيم الروحية والمبادئ والمثل الأخلاقية التي تستمد من الإيمان الصحيح بالله عز وجل،وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر والقدر خيره، وشره"[4].

ولذلك نجد سورة القلم ركزت على التربية الأخلاقية في سياق الدعوة إلى الله جل وعلا، سواء بالأمر بالأخلاق الحسنة، والاقتداء بصاحب الدعوة، أو بنهي عن الاتصاف بالأخلاق السيئة، والتي تتمثل في المكذبين لدعوة رسول الله والمناوئين لها من أصحاب الظلال والهوى، فالدعوة للإيمان لا يمكن أن تكون بدون الدعوة للأخلاق الفاضلة والتي وردت في سورة القلم وهي أساس دعوة المصطفى ﷺ الذي قال ((**إنما بعثت لأتمم**

---

[1] سعد بن فالح المغامسي: التربية الايمانية وأثرها في تحصين الشباب من الانحراف، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ، ص:٢٧.

[2] علي خليل أبو العينين: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم: دار الفكر العربي، القاهره، ص١٦٨

[3] محمد عبدالرحمن الدخيل، مدخل إلى أصول التربية الإسلامية، مركز طيبة لطباعة، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ، ص:١٤٣

[4] عبدالحميد الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٤، ص٣٢٦.

مكارم الأخلاق))[1].

فقضية الإيمان والكفر هي قضية أخلاقية، وإذا عرفنا ذلك عرفنا أن كل الذين كذبوا الرسول ﷺ واتهموه بالجنون واستهزئوا به وقاتلوه وأعرضوا عنه وتكبروا عليه وحسدوه إنما انطلقوا من القاعدة الأخلاقية التي تصرفوا بها مع الله سبحانه قبل أن يتصرفوا بها معه، من صفات الجحود لصاحب النعمة والفضل، ومنع الخير والتكبر وعدم الإحسان للمساكين، والحسد وكل تلكم الصفات جاء النهي عنها في هذه السورة لإصلاح المجتمع الإسلامي منها لأنها من موانع الدخول في دين الله.

ومن أهمية التربية الإيمانية في سورة القلم أنها بينت لنا قيمة الخلق العظيم الذي يتصف به الرسول صلى الله وسلم في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة القلم آية:٤) وهذا مما يدعو للاقتداء به ومحبته، والتي هي من شروط الإيمان جاء في الحديث «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[2] فإذا تعارضت المحبتان من قدم ما يحبه الرسول كان صادق الإيمان.

وأيضا نفت عنه الجنون، الذي ينافي كمال العقل الذي اتصف به الرسول الكريم، قال تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ ﴾ (سورة القلم آية: ٢) وهذا يدعو إلى تحكيمه صلى الله عليه في جميع الأمور وهو شرط لصحة الإيمان قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (سورة النساء: ٦٥) ولا يكون ذلك لمن اتصف بالجنون "فأقسم تعالى أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله ولا يبقى في قلوبهم حرج وضيق من حكمه وينقادوا له انقيادا، وينشرحوا لحكمه، وهذا شامل في تحكيمه في أصول الدين وفي فروعه وفي الأحكام الجزئية"[3].

---

[1] محمد إسماعيل البخاري، الأدب المفرد " رقم (٢٧٣) صححه الألباني، السلسلة الصحيحة – حديث رقم ٤٥ (ج ١/ص ٤٤).

[2] البخاري: الجامع الصحيح، ج١، (رقم الحديث ١٤) ص٢٤ – ومسلم: صحيح مسلم، ج١، (رقم الحديث: ٦٣) ص١٥٦

[3] عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، ط٢، دار كنوز اشبيليا للنشر، ١٤٢٧هـ، ص١٤.

المطلب الثاني
الإيمان باليوم الآخر

تمهيد:

الإيمان باليوم الأخر هو قرين الإيمان بالله وهما يمثّلان محور الإيمان وأساس العمل الصالح وأصل من أصول العقيدة الإسلامية.

وقد كثر ذكره في القرآن الكريم: مرة بربطه بالإيمان بالله كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ (سورة التوبة: آية ١٨) ومرة ترد بعض السور بأسمائه كسورة القيامة، والحشر وغيرها، فإن إكثار القرآن الكريم من ذكره يدل على أهميته.

يقول محمد مكي: "تظهر أهميته أيضاً في أن آخر آية نزلت وختم بها القرآن هو التذكير بيوم الجمع الذي لا محالة من وقوعه"[1] قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ (سورة البقرة: آية ٢٨١).

وتظهر أهمية الإيمان باليوم الآخر في كونه الممارسة العملية للواجبات الإسلامية والتحلّي بالأخلاق الفضيلة، والقيام بتطبيق الشرائع الدينية إنما تتوقف على وجود الجزاء والحساب في هذا اليوم، وإلا لاستوى المؤمن والكافر ولا يبقى بعد ذلك للدين أثر في الفرد نحو الخير[2].

وفي هذا اليوم يفقد الوعي الذهني بالزمن قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (سورة الروم: آية ٥٥)، وتتبدل الأرض والسماوات قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ (سورة إبراهيم: آية ٤٨).

---

(١) محمد مكي: البيان في أركان الإيمان، دار نور المكتبات، جده، ١٤١٩هـ، ص ٢٩٢- ٢٩٧.

(٢) أكرم ضياء العمري: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، دار أشبيليا، الرياض، ١٤١٧هـ، ص ١٢٥.

وقد ركزت سورة القلم على مبدأ الإيمان باليوم الآخر وذكرت بعض ما يرد فيه من أمور ومن مضاعفة العذاب قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (سور القلم آية :٣٣) وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (سورة القلم آية: ٤٢).

وسوف يتناول الباحث هذا المطلب من ثلاثة محاور:

أولاً: مفهوم الإيمان باليوم الآخر.

ثانياً: الإيمان باليوم الآخر في سورة القلم.

ثالثاً: الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر.

أولا: مفهوم الإيمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر لغة: "يعبّر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (سورة العنكبوت: ٦٤) [(١)] وقد يطلق اليوم ويقصد به الزمن والحين. [(٢)] ويراد باليوم الآخِر يوم الجمع الذي هو وقت التقابل واللقاء والوصول إلى ذات المجمع [(٣)]

الإيمان باليوم الآخر في الاصطلاح الشرعي:

الإيمان باليوم الآخر هو "الإقرار والتصديق بكل ما أخبر الله عز وجل عنه أو أخبر عنه رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وتغير النظام الكوني واضطرابه، والجنة وما أعد اللّٰهُ لأهلِها والنار وما وُعِد أهلُها، والحساب والميزان والبعث والحشر، والكتب، والصراط والحوض وغير ذلك من أهوال القيامة" [(٤)]

"والتصديق به واجب، وهو الركن الخامس من أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان الإنسان إلا بتحقيقه" [(٥)].

---

(١) الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، دار الفكر، بيروت، ص ١٣.

(٢) الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مرجع السابق، ج٢ ص٩٤٠.

(٣) الشريف محمد الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ ص ٢٦٠.

(٤) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، مرجع سابق: ج٣ ص ١٤٥.

(٥) عبد العزيز السلمان: الكواشف الجلية في معاني الوسطية، مؤسسة مكة لطباعة، ١٤١٣هـ، ص ٥٤٥.

الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر:

الأدلة على وجوب الإيمان باليوم الآخر عديدة، منها قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٧٧).

والإيمان باليوم الآخر عقيدة من كان قبلنا من المؤمنين بالله تعالى، ومنهم اليهود والنصارى قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ٦٢).

ومن الأحاديث الدالة على وجوب الإيمان باليوم الآخر حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان، فأجابه ﷺ: **(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ صَدَقْتَ)**[1].

ثانيا: الإيمان باليوم الآخر في سورة القلم:

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ (سورة القلم آية: ٣٣). والمعني هكذا كان عقاب أصحاب جنة الدنيا ولكن عذاب الله في الآخرة أشد وأكبر يقول الطبري: "لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن عقوبة الله لأهل الشرك به أكبر من عقوبته لهم في الدنيا، لارتدعوا وتابوا وأنابوا، ولكنهم بذلك جهال لا يعلمون[2].

وجاء في السورة ذكر الجنة التي هي جزاء المتقين لله الطائعين لأوامره العابدين لله قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ (سورة القلم آية: ٣٤) "بين أن لمن اتقاه وأطاعه جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها" [3]

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي في الآخرة ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي جنات ليس لهم فيه إلا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه، كما يشوب جنات الدنيا" [4]

---

(١)محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع الصحيح، ج ١، (رقم الحديث ٤٨)، ص ٨٧ - مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم ج ١، (رقم الحديث ٩)، ص ٨٧

(٢) ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القران، مرجع سابق، ج٣ص٥٥٦.

(٣) ابن كثير: تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ج٤ص٣٦٧.

(٤) فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج١٥،ص٦١٣

قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (سورة القلم: ٣٥- ٣٦) أي: "أفنجعل أيها الناس في كرامتي ونعمتي في الآخرة الذين خضعوا لي بالطاعة، وذلوا لي بالعبودية، وخشعوا لأمري ونهي، كالمجرمين الذي اكتسبوا المآثم، وركبوا المعاصي، وخالفوا أمري ونهي؟ كَلاَّ ما الله بفاعل ذلك." (١)

كما يبين الله بعض أهوال يوم القيامة، كي يخوف به المشركين الذين امتنعوا عن السجود لله في الدنيا قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (سورة القلم: ٤٢- ٤٣).

يقول بن كثير "يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء، والامتحان والأمور لعظام"(٢) يقول الشوكاني: "يسجد الخلق كلهم لله سجدة واحدة، ويبقى الكفار والمنافقون يريدون أن يسجدوا فلا يستطيعون لأن أصلابهم يبست فلا تلين للسجود، ترهقهم ذلة أي تغشاهم ذله"(٣).

وقد كان يدعوهم رسول الله ﷺ إلى السجود وهم سالمون أي معافون من العلل ولا يوجد مانع يمنعهم من السجود، من مرض أو نحوه، ولكن استحوذ عليهم الشيطان فتكبروا عن عبادة الله، فكان جزائهم من جنس عملهم بأن منعهم من السجود يوم القيامة، "يعني حين كانوا يدعون إلى الصلوات بالأذان والإقامة وكانوا سالمين قادرين على الصلاة، وفي هذا وعيد لمن قعد عن الجماعة ولم يجب المؤذن إلى إقامة الصلاة في الجماعة"(٤).

وهذا فيه تخويف للمشركين الذين امتنعوا عن السجود لله تعالى في الحياة الدنيا، وتهديدا لهم بذكر هول وموقف من مواقف يوم القيامة، فهذا التصوير العظيم لذلك الموقف وكأن السامع له يجد نفسه في ذلك المكان، يجعل المرء يراجع نفسه ويحاسبها، كي لا يضع نفسه في موضع الذلة والخشوع في ذلك اليوم الرهيب.

يقول قطب: "يوم القيامة الذي يشمر فيه عن الساعد ويكشف فيه عن الساق، ويشتد الكرب ويدعى هؤلاء المتكبرون إلى السجود فلا يملكون السجود أما لان وقته

---

(١) ابن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القران، مرجع سابق، ج٣ص٦٥٢

(٢) ابن كثير، تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ج٤ ص

(٣) محمد الشوكاني: فتح القدير، ص١٥٢١

(٤) فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج١٥، ص٦١١

قد فات وإما لأنهم كما وصفهم في موضع آخر يكونون: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ (سورة إبراهيم آية: ٤٣). وكأن أجسامهم وأعصابهم مشدودة من الهول على غير إرادة منهم" [١]

ثم يكمل لنا الله وصف الهيئة التي سوف يكونون عليها في ذلك اليوم ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ "والأبصار الخاشعة والذلة المرهقة هما المقابلان للهامات الشامخة والكبرياء المنفوخة"[٢] لأنهم كانوا يدعون إلى السجود في الدنيا فكانوا يستكبرون فجزاهم الله من جنس عملهم، فأذلهم في يوم يعز فيه عبادة.

هكذا بين الله لنا في هذه السورة تصوير لموقوفين يوم القيامة:

الموقف الأول موقف المتقين المطيعين لله سبحانه وتعالى فأخبر بأن لهم الجنة يتنعمون بها بأنواع النعيم والملذات.

الموقف الثاني: جزا ء المكذبين لرسول صلى الله عليه وسلم المعاندين له المتكبرين عن السجود لله فأخبر بأنه لا يسمح لهم بالسجود له في الآخرة وأنه في ذلك اليوم خاشعة أبصارهم من الذلة والهوان وشدة العذاب وصعوبة الموقف.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القران، مرجع سابق، ج٧ ص٢٨٢

[٢] عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ٨٧٩

المطلب الثالث

آثار التربية الإيمانية المستنبطة من سورة القلم

أولا: الآثار التربوية للأيمان:

ممّا يُدلّل على أهمية التربية الإيمانية الآثار التربوية التي تظهر على حياة وسلوك الإنسان، وهي تتفاوت بحسب قوّة إيمان الفرد باللّه عزّ وجلّ، ومنها ما يلي:

١- أنّها ضابط للقلق النفسي الذي قد يصيب الإنسان ويؤرّقه.

٢- أنّها ضابط للدوافع النفسية، كالغضب والشهوات.

٣- أنّها دافع للثبات والصبر على المبادئ الإسلامية، كالثبات على الشدائد، والثبات على إحقاق الحق، والثبات على مبدأ الصدق، والصبر على أداء العبادات، والثبات على كراهية أعداء اللّه تعالى، والثبات على كلّ خير والبعد عن كلّ شر.

٤- تحقيق التآخي والتآلف بين أفراد المجتمع، كما آخى الإسلام بين الأوس والخزرج، وآخى بين المهاجرين والأنصار[١].

من خلال هذا وغيره يتبيّن لنا أهمية التربية الإيمانية على سلوك وحياة الإنسان والذي بدوره سينعكس على سلوك وحياة الأسرة ومن ثمّ المجتمع بأسره، وقد ربط النبيّ ﷺ بين سلوك الإنسان وبين الإيمان فقال ﷺ: **«إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً وألطفهم بأهله»**[٢].

---

[١] خالد الحازمي: أصول التربية الإسلامية، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ، ص١٠٥.

[٢] محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر و كمال يوسف الحوت، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، (رقم الحديث١١٦٢)، صححه الألباني: صحيح سنن الترمذي (ج٦ ص١١٢)

ثانيا: الآثار التربوية للإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر ذا أهمية كبيرة في حياة الفرد المسلم لأنه مصيره النهائي، بل مرجع حتمي لكل حي، فذلك يبعث الخوف من الله سبحانه وتعالى ويستوجب التأهب لذلك اليوم قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ (سورة النساء: آية ٨٧).

فللإيمان باليوم الآخِر آثار تربوية كبيرة تتمثل فيما يلي:

(١) الإيمان باليوم الآخِر يؤدي إلى غرس العقيدة الصحيحة في النفوس. وهو دافع لفعل الخيرات مما يحقق سعادة الناس جميعاً [١].

(٢) أن الإيمان باليوم الآخِر يربي الشعور الحقيقي بالمسؤولية الكاملة عن كل ما يصدر مخافة الوقوف بين يدي الله والمحاسبة والمجازاة في ذلك اليوم الرهيب.

(٣) يؤدي كذلك إلى تطبيق الأخلاق الفاضلة في سلوك الإنسان و"ضبط الدوافع والغرائز، والتحكم في هذه القوى الغريزية الجامحة، إنما يتم خوفا من الله وطمعا في جنته"[٢].

(٤) تفضيل الآخرة على الدنيا لأن الآخرة دار قرار وحياة والدنيا دار فناء وموت وابتلاء.

(٥) أنه ينمِّي في النفوس حُبّ الله وحُبّ رسوله ﷺ وأن يحب في الله ويبغض فيه. وذلك يعني أن الإيمان بيوم القيامة يضبط تصرف الإنسان ويمنعه من مخالفة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ (سورة المجادلة :آية٢٢) ومع هذا فإنهم يتسامحون ويسامحون ويحبون الخير للغير.

(٦) أن التربية على الإيمان باليوم الآخر تربي المؤمن على إحسان العمل وإتقانه ومحاسبة أعماله كلها قبل لقاء الله تعالى.

(٧) أن الإيمان باليوم الآخِر يستأصل الأخلاق السيئة من نفوس المؤمنين ومنها خلق التكبر والغطرسة، حيث أنها من أسباب دخول النار، التي هي مأوى المتكبرين قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر :٧٢).

---

(١) سهام مهدي جبّار: الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، المكتبة العصرية، بيروت، ص ٢٤١.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٥هـ، ص٨٣.

"أي: بئس المقر، وذلك لأنهم تكبروا على الحق فجازاهم الله من جنس عملهم، بالإهانة والذل والخزي"[1]. فالإيمان بهذا اليوم يدفع المؤمن إلى التواضع والخضوع لله عز وجل، وعدم التكبر على عباده. كما يستأصل خلق الغيبة والنميمة.

(٨) أن الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بأن المسيء يعاقب فيه بالنار والمحسن يجازى بالجنة وأنهما أبديتان لا تفنيان أبداً يؤدي إلى الاستقامة والحذر الشديد من عمل ما يوجب النار، ولذلك شدة وخطورة عذاب الآخرة وذلك بعد ذكره مجموعة من الأخلاق المنهي عنها وآخرها قصة أصحاب الجنة وما تضمنته من نهي عن البخل، وان هذا العقاب الدنيوي مصير من فعل مثلهم ولكن عذاب الآخرة اشد فقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ (سورة القلم آية: ٣٣).

فعلى المربي المؤمن أن يوقع الخوف باعتدال في نفوس النشء من أهوال يوم الحساب بذكر بعض مظاهره من نار جهنم، والعرض والحساب والجزاء وفساد نظام الكون من تكوير الشمس ونثر النجوم وتغيير الأرض وغير ذلك من المخاوف ليخافوا منها ويعتدلوا في سلوكهم.

كما أن عليه أن يزرع في قلوبهم الرغبة في الجنة ببيان سعة رحمة الله وإخبارهم بما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين من نعيم حتى يتمنوه ويشتاقوا إليه ويعملوا من أجله، ويتنافسوا في تحصيل أفضله.

إن تربية الخوف والرجاء من اليوم الآخر في نفوس المؤمنين، هو الذي يوصل إلى درجة الإحسان بالمسارعة في العمل الصالح قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ (سورة الزمر آية: ٩).

(١) عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ٨٨١.

المبحث الثاني

التربية التعبدية في سورة القلم

تمهيد:

العبادة هي كل ما يرضي الله عز وجلّ من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، فهي ليست محصورة في الانزواء عن الحياة، والعكوف على المساجد و"إنما شرعت في الإسلام لتحقيق التوحيد لله تعالى وإثبات العبودية له وطاعة أوامره وترك نواهيه"[1] ولأن في العبادة اعتناء تام بتربية جميع جوانب شخصية المسلم، الجسمية والاجتماعية والعقلية. أي أنها لا تُعنى بالجانب الروحي فحسب بل تهتم بالجوانب الأخرى بحيث لا يطغى جانب على جانب آخر.

وحياة المسلم كلها عبادة إذا أخلص النية لله عز وجلّ قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ (سورة الأنعام: آية ١٦٢).

وقد بينت سورة القلم التربية التعبدية وأهميتها في الإسلام، ففي قصة أصحاب الجنة يتضح أهمية البذل والعطاء ومساعدة المحتاجين وعدم التكبر عليهم، وأهمية إخراج زكاة الثمار، كما بينت في القصة وقصة صاحب الحوت نبي الله يونس عليه السلام أهمية التوبة والاستغفار وتسبيح الله عند الوقوع في الذنب: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (سورة القلم:٢٩) كما بينت السورة جزاء المتقين بعد أن أوردت مجموعة من الصفات المنهي عنها، ذكرت جزاء من خالف هذه الصفات واتصف بالصفات الحميدة والتي حاز عليها المتقون لربهم ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ (سورة القلم: ٣٤).من هذا المنطلق سوف يتناول الباحث هذا المبحث من أربعة محاور:

المطلب الأول: تعريف العبادة وأهميتها.

المطلب الثاني: مبدأ التقوى.

المطلب الثالث: مبدأ التوبة.

---

(١) عبد الرحمن النحلاوي: التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ ص ٤٢.

المطلب الرابع: الآثار التربوية التعبدية في سورة القلم.

المطلب الأول
مفهوم العبادة وأهميتها

أولاً: تعريف العبادة:

العبادة في اللغة:

هي الطاعة مع الخضوع. ومنه طريق معبَّد إذا كان مذلّلاً بكثرة الوطء [1]

قال الراغب الأصفهاني: غاية التذلّل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى[2].

تعريف العبادة في الاصطلاح:

عرّف ابن تيمية رحمه الله تعالى العبادة بأنها: "اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة، والصيام، والحج وصدق الحديث، وأداء الأمانة؛ وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر وغير ذلك، من العبادة"[3].

وهذا التعريف جامع شامل لكل أنواع العبادة، التي شرعها الله سبحانه وتعالى ومن أجلها خلق الخلق قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات:٥٦). و"هذه الغاية التي خلق الله الجنّ والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمّنة لمعرفته ومحبّته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عمّن سواه، وذلك يتضمّن معرفته تعالى، فإنّ تمام العبادة متوقّف على المعرفة بالله، بل كلّما ازداد العبد معرفة لربّه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلّفين

---

(١) محمد أحمد الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، ج٢ ، دار القومية العربية للطباعة، مصر، ص٢٣٤.

[2] الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القران، مرجع سابق، ص٣١٩.

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتوى، مرجع سابق: ١٤٩/١٠.

لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم"[1].

والعبادة لها أصلان، هما:

أ- إخلاص العبادة لله تعالى وحده واجتناب عبادة من سواه من الطاغوت لقوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ (سورة الزمر آية: ٢).

ب- أن يُعْبَدَ الله بما أمر وشرع، وأن لا يُعبَد بالأهواء والظنون والبدع والانحرافات، وعبادة الله تعالى بما شرع لا تكون إلا بإتباع رسوله ﷺ. قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ (سورة الحشر آية: ٧).

ثانيا: أهمية العبادة:

إن العبادة لله تعالى والإخلاص له وطاعته عز وجلّ والتذلل لأمره سبحانه هي الغاية التي من أجلها خلق الإنسان يقول ابن تيمية إن: "العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له، والتي خلق الخلق لها وبها أرسل الرسل عليهم السلام" [2] قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ (سورة الذاريات: الآيات ٥٦-٥٨) يقول ابن عباس - رضي الله عنهما: إن الله تعالى ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته تعالى والتذلل لأوامره"[3]، وفيها تذكير للخلق بأنهم لم يخلقوا إلا للعبادة وأن المقصود من إيجاد الإنسان هو العبادة "وهذه العبادة التي هي غاية خلق الخلق تتضمن معرفة الله تعالى ومحبته والإنابة إليه والإقبال عليه، واجتناب سواه ولذلك كلما كان العبد عارفاً بالله كانت عبادته له أكمل"[4]. وعبادة الله وحده دون من سواه هي كمال محبته والخضوع والذل له أي "أن العبادة المأمور بها هي المتضمنة معنى الذل ومعنى الحبّ وذلك هي غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة لله سبحانه وتعالى. وفي هذا بيان أن العبادة تتطلب أمرين أساسين وهما غاية الحب وغاية الذل والخضوع." [5]

---

[1] عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص٨١٣.

(٢) أحمد ابن تيمية: العبودية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ، ص ١٩.

(٣) ابن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القران، مرجع سابق: ١٢/٢٧.

(٤) عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق: ص ٨١٣.

(٥) محمد أبي بكر ابن القيم: مدارج السالكين، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٦هـ، ص ٧٤.

ومما يدل على أهمية العبادة أنها تشمل الحياة كلها، وذلك لأنها تشمل كل عمل خيّر يقوم به الإنسان إذا أخلص النية لله وكان متبعاً لسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام. وكذلك فإن الإسلام مبني على العبادات المقررة المذكورة فيما ورد عن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان)**[1] فقد بين النبي عليه السلام أن هذه العبادات هي أركان وركائز الدين الإسلامي.

"وبالعبادة أرسل جميع الرسل عليهم السلام كما قال نوح -عليه الصلاة والسلام- لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ (سورة الأعراف: آية ٥٩) وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم، كما أنه تعالى وصف ملائكته وأنبياءه بالعبودية"[2] فكل ما سبق يدل على أهمية العبادة.

وفي سورة القلم ذكر الله أهمية التسبيح وفوائد التوبة والرجوع إلى الله وفضل التقوى وجزاء المتقين، وما أعد الله لهم من جنات النعيم، وسوف يتناول الباحث في الصفحات القادمة المبادئ التربوية التعبدية المتضمنة في سورة القلم، وهي مبدأ التقوى ومبدأ التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى.

---

(١) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج١، (رقم الحديث: ١٦)، ص٤٥، كتاب الإيمان: باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى: مرجع سابق: ١٠/١٥٠.

المطلب الثاني
التقوى وأهميتها التربوية

تمهيد:

إن التقوى هي عمل من أعمال القلوب التي لا يطّلع عليها إلا الله عزّ وجلّ، والعبد إنما يقطع منازل السير إلى ربّه عز وجلّ بقلبه لا ببدنه، وهي عبادة يتقرب العبد بها إلى ربه، طالباً مرضاته، والخلود في جناته.

والتقوى هي الطاقة الإيمانية أو الآلية النفسية الوجدانية لصيانة الحقوق والحرمات وتحقيق الحريات، وتحريك الواجبات[1]، فهي تعمل كحارس للإنسان تأمره بالخير وتنهاه عن الشر يقول ابن الجوزي: "التقوى أصل السلامة حارس لا ينام يأخذ باليد عند العثرة، ويوافق على الحدود، ولازم التقوى في كل حال فإنك لا ترى في الضيق إلا السعة، وفي المرض إلا العافية هذا نقدها العاجل والآجل معلوم"[2].

ولذلك بعد أن ذكر سبحانه وتعالى في سورة القلم بعض الصفات المنهي عنها وذكر لهم الجزاء الذي يستحقونه وخوفهم بعذاب الآخرة وأنه أكبر وأنكل من عذاب الدنيا، ذكر النقيض لذلك، وجمعه بالتقوى لأنها أصل لكل أعمال الخير فقال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (سورة القلم آية: ٣٤) في هذا تحفيز ودافع كبير للمؤمنين بأن يتمسكوا بتقوى الله عز وجل. وسوف يتناول الباحث مبدأ التقوى من ثلاثة محاور:

أولاً: مفهوم التقوى.

ثانياً: أهمية التقوى.

ثالثاً: التقوى في سورة القلم.

---

(١) أحمد رجب الأسمر: النبي المربي، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٤٢٢هـ، ص ١١٥.

(٢) عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي: صيد الخاطر، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٨هـ، ص ٢٢٥.

أولاً: مفهوم التقوى:

التقوى في اللغة:

"التقوى في اللغة من اتَّقَى، وتَوَقَّى، بمعنى واحد. وتوقَّيتُ واتَّقَيتُ الشيء تُقىً وتقِيَّةً وتِقَاءً. والاسم: التقوى أي الحذر. وفي قوله: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ (سورة المدثر، آية: ٥٦)، أي أهلٌ أن يُتَّقَى عقابه ويُحْذَر"[١].

تعريف التقوى في الاصطلاح:

- التقوى شرعا هي "أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه" [٢].
- وقيل التقوى بأنها: "أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله..... وهي الاحتماء عما يضر بفعل ما ينفع، فإن الاحتماء عن الضار يستلزم استعمال النافع " [٣].

وبناء على ما سبق يتضح أن التقوى تربوياً تعني وقاية النشء من الانحرافات السلوكية السيئة بجميع أشكالها، ودفعهم إلى إتباع الفضائل الخُلقية واجتناب الرذائل. وهذا ينشئهم على الإيمان بالله وتقواه جلّ وعلا وإخلاص العبادة له.

وفيها حثّ على التقوى بالأمر بها وتقديم الحوافز لمن يصبر ويثبت عليها مما يدعو إلى التمسك بها وأنها من أسباب دخول الجنة قال النبي ﷺ حين سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، قال: **(تقوى الله وحسن الخلق)** [٤]

ثانيا: أهمية التقوى

لتقوى أهمية بالغة حيث إن لها أثر كبير في حياة الفرد والمجتمع ومن ذلك ما يلي:

١- أنها تتعلق بالعبادات القلبية التي تظهر أثارها على أعمال العبد الظاهرة "التقوى في

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق ٤٠٢/١٥

(٢) ابن رجب: جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، بيروت، ص ١٦٩.

(٣) ابن تيمية: مكارم الأخلاق، تحقيق عبدالله بدران ومحمد عمر، المكتبة العصرية، ١٤٢٧هـ، ص٤٣.

(٤) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، ج٤، كتاب البر والصلة: باب ما جاء في حسن الخلق: (رقم الحديث٢٠٠٤)، ص٣١٩.- صححه الألباني: صحيح سنن الترمذي، ج٢، ص١٩٤.

الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح"[1]. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (سورة الحج، الآية ٣٢). و قال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ (سورة الحج، الآية ٣٧). و قال النبي ﷺ: **(التقوى هاهنا: و أشار إلى صدره ثلاث مرات)**[2].

٢- أنها وصية الله تعالى لجميع خلقه، الأولين والآخرين، فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (سورة النساء، الآية ١٣١) فهذه وصية من الله تعالى لجميع من آتاهم الكتاب من قبل: اليهود والنصارى، والمؤمنين بوجوب تقوى الله في السر والعلانية فهي عامة في جميع الشرائع والأديان السماوية.

٣- أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بالتعاون على تحقيقها، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ (سورة المائدة: آية ٢).

٤- أنها دعوة الرسل جميعاً لأقوامهم، وما من نبي إلا وقد أمر قومه بتقوى الله عز وجلّ من لدن نوح عليه السلام حتى نبينا محمد عليه السلام، فقد حثّ النبي ﷺ أمته على الالتزام بها. فالتقوى وصية الله عز وجلّ للأولين والآخرين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (سورة النساء، الآية ١٣١).

٥- أنها وصية الرسول ﷺ لأمته، ففي حجة الوداع خطب يوم النحر فوصاهم بتقوى الله تعالى، و السمع والطاعة لأولي الأمر، فقال ﷺ: **(أوصيكم بتقوى الله عزَّ وجلّ، و السمع و الطاعة وإن كان عبداً حبشياً)**[3]. وكان ﷺ إذا بعث أميراً على سرية، أو بلداً أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله تعالى وبمن معه من المسلمين خيراً، فوصى بها أبا ذر رضي الله تعالى عنه، فقال له: **(أوصيك بتقوى الله في سر أمرك و علانيته)**[4].

---

[1] ابن القيم: الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٠٤هـ، ص١٥٩.

[2] يحي بن شرف النووي. صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦، بيروت، دار الكتب العلمية. ١٤١١هـ، ص١٢١، (رقم الحديث: ٤٦٥٠).

[3] أحمد ابن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٥، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ، ص ١٥٦ (رقم الحديث: ١٧١٥٠).

[4] أحمد ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، مرجع سابق، ج٥، (رقم الحديث: ٢١٦٢٨)، ص ٢١٥.

٦- من وصاياه ﷺ التي تؤكد أهمية التقوى وملازمتها للمؤمن أينما كان قوله: **(اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)**[١].

٧- أنها زاد الإنسان الذي يتزود بها للآخرة حتى ينال أفضل الدرجات عند الله وليس هناك وصف لأهمية التقوى أدق من تشبيهها بالزاد للإنسان، وأنها خير زاد للمؤمن ليصل بأمان إلى الدار الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ١٩٧). فهذان أمران في جزء من آية بوجوب لزوم التقوى، فالواجب على المؤمن أن يتزود بتقوى الله عزَّ وجلّ قدر استطاعته قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ (سورة التغابن، الآية ١٦).

٨- أنها تكون للمتمسك بها من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجاً فقد قرأ الرسول ﷺ قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ (سورة الطلاق، الآية ٢). ثم قال ﷺ: **(يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم)**[٢]. يعني لو أن كل الناس اخذوا بهذه الآية والتقوا الله حق تقاته لكفتهم كل شيء ولجعل لهم من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ولكل مشكلة حل بإذن الله تعالى، وهذا يدل على اهمية التقوا البالغة نسأل الله العلي القدير أن يجعلنا من المتقين المخلصين.

ثالثاً: التقوى في سورة القلم:

قال تعالى في سورة القلم: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ (القلم: ٣٤) "الذين اتقوا عقوبة الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه"[٣] يقول ابن كثير "لما ذكر الله تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله عز وجل، وخالفوا أمره بين أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد وإلا ينقضي نعيمها"[٤].

---

(١) محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي، ج٤، كتاب البر والصلة: باب ما جاء في معاشرة الناس (رقم الحديث١٩٨٧).ص٣١٢ - صححه الألباني: صحيح سنن الترمذي، ج٢، ص١٩١، رقم ١٦١٨.

(٢) أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، مرجع سابق، ج٥ ، (رقم الحديث: ٢١٦٠٦)، ص ٢١٢.

(٣) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج ٢٣ص ٥٢١).

(٤) ابن كثير، تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ج٥ ص٣٦٧.

وبالحقيقة أن الله قد جمع الصفات الحميدة بكلمة واحدة وهي التقوى حيث جاء ذكرها بعد أن بين لنا مجموعة من الصفات التي عليها المكذبين الضالين، ليحذرنا منها، ثم بعد ذلك بين لنا النقيض لهذه الصفات، وهي كلمة التقوى.

ولو استعرضتا الصفات الوارد النهي عنها في سورة القلم، لوجدنا أنها تخالف صفات المتقين، التي وردة في آيات أخرى من القران الكريم وهي على النحو التالي:

١- نهى الله عن طاعة المكذبين قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (سورة القلم، آية: ٨) وصفة الكذب تنافي الصدق والصدق من صفة المتقين والله تبارك و تعالى يأمر المؤمنين بتقواه كما يأمرهم بأن يكونوا صادقين في أقوالهم وأفعالهم، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (سورة التوبة، الآية ١١٩) "اتقوا الله في جميع الرذائل بالاجتناب عنها، خاصة الكذب أسوأ الرذائل وأقبحها، وذلك معنى قوله وكونوا مع الصادقين فالصدق أحسن الفضائل، و أصل كل حسنة و مادة كل خصلة محمودة، و ملاك كل خير وسعادة، به يحصل كل كمال، وأصله الصدق في عهد الله تعالى"[1].

٢- نهى الله عن كثرة الحلف والهمز والتنابز والنميمة قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ (القلم: ١٠ - ١١) وهذه الصفات ضد القول السديد وإصلاح ذات البين التي هي من صفات المتقين فمن يتقِ الله تعالى يكن قوله سديداً و نطقه حكيماً، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٧٠). والله سبحانه وتعالى يأمر بتقواه وإصلاح ذات البين فيقول: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ (سورة الأنفال، الآية ١). أي فاتقوا الله في الاختلاف و التخاصم و كونوا متحدين متآخين في الله. و أصلحوا ما بينكم من الأحوال، حتى تكون أحوال ألفة و محبة واتفاق، وهذا خلاف ما عليه الحلاف الهماز الذي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم لا ليصلح.

٣- نهى الله عن منع الخير والاعتداء بالإثم والتكبر على خلق الله قال تعالى: ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ (القلم: ١٢-١٣) وهذه ضد صفة العدل

(١) محمد بن جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل، ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ص ٥٢٥.

والإنصاف والتي يأمر الله بها حيث أنها من صفات المتقين، والعادلون هم أقرب الناس لمبدأ التقوى والكرامة عند الله عزَّ و جلّ، فقد قال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (سورة المائدة، الآية ٨). فالله تعالى ينهى المؤمنين عن ترك العدل لمحبة أحد أو لعداوته، فلا يحملنكم شدة عداوة قوم على عدم العدل في حقهم، بل اعدلوا فالعدل أقرب للتقوى. قال الزمخشري: "وفي هذا تنبيه عظيم على أن العدل إذا كان واجباً مع الكفار الذين هم أعداء الله، إذا كان بهذه الصفة من القوة، فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه".[1] فالعدل مع الكافرين، والعدل مع المؤمنين من ثمرات التقوى و كذا العدل في المعاملة بين الأولاد.

٤- نهى الله عن صفة الشح والبخل ومنع الخير وحب الاستئثار بالمال في قصة أصحاب الجنة الذين قالوا: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ (القلم: ٢٤) وهذه ضد صفة الكرم والجود ومؤاساة الفقراء والمساكين وبذل الخير والتي هي من صفات المتقين،ولذا نجد أن الله تعالى أثنى على المتقين بسبب اتصافهم بهذه الصفات الحسنة قال عزَّ وجلّ: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ١٧٧).

٥- وذكر سبحانه فضل التوبة والاستغفار والإقلاع عن الذنب في قصة أصحاب الجنة عندما قالوا: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (القلم: ٢٩ - ٣٢) وفي قصة صاحب الحوت نبي الله يونس عليه السلام عندما ذهب مغاضبا ولم يصبر فتاب وسبح الله ونادى وهو مكظوم فقال سبحانك اللهم إني كنت من الظالمين فتاب الله عليه ونجاه من الهم واجتباه وجعله من الصالحين قال تعالى: ﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن

(١)محمد بن جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٧٧ .

رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (القلم: ٤٩ - ٥٠) والتوبة والاستغفار، والإقلاع عن الذنب من صفات المتقين التي أعدة لهم جنات تجري من تحتها الأنهار بسب اتصافهم بهذه الصفات الحميدة قال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (آل عمران: ١٣٣ – ١٣٦).

٦- ذكر الله في بداية السورة عظم خلق رسوله ﷺ بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ سورة القلم لأن الله ألزمه كلمة التقوى وهو أحق بها قال تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الفتح: ٢٦) فالتقوى من حسن الخلق و قد اقترنت التقوى و حسن الخلق في كونهما أكثر الأسباب لإدخال الناس الجنة، فقد سئل رسول الله ﷺ: ما أكثر ما يدخل الجنة؟ فقال ﷺ: **(التقوى وحسن الخلق)**[1] و يقول الإمام ابن قيم "حسن الخلق من التقوى، و قد جمع النبي ﷺ بين تقوى الله و حسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد و بين ربه، و حسن الخلق يصلح ما بينه و بين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله، و حسن الخلق يدعو الناس إلى محبته" [2]

٧- أمر سبحانه وتعالى رسوله بالتمسك بالصبر وحث عليه قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ (القلم: ٤٨) والصبر من صفة المتقين والذين ينالون بسببه أجرهم بغير حساب **قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (الزمر: ١٠).** "ويراد الأمر بالتقوى في هذه الآية الدوام على المأمور به، وذلك للنزول على

---

(١) محمد بن يزيد ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ج ٢، (كتاب الزهد، باب٢٩: ذكر الذنوب، رقم الحديث: ٤٢٤٦) ص١٤١٨- صححه الألباني، صحيح ابن ماجه، ج٩، ص٢٤٦

(٢) ابن القيم، الفوائد، مرجع سابق، ص ٦٣.

المأمورين من الأذى في الدين ما يخشى عليهم من التقصير في تقواهم. وفي هذا تثبيتاً لهم وربطاً لجأشهم" [1].

وقد بين الله أن جميع الصفات المأمور بها والتي وردة في سورة القلم أنها من صفات المتقين ولكن في سورة القلم جاءت على وجه العموم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾ (القلم: ٣٤) وذلك بعد ذكره لصفات مخالفة لصفات المتقين، ولكن في أية أخرى بين سبب أعداد جنات النعيم لهم قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ (سورة آل عمران، الآيات ١٥ : ١٧). وهذا من تنوع الأساليب حتى تكون أكثر استيعابا وقبولا لدى المتربين.

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير: مرجع سابق: ٣٥٢/٢٣.

المطلب الثالث

مبدأ التوبة والرجوع إلى الله

تمهيد:

التوبة عبادة عظيمة جعلها الله سبحانه وتعالى للإنسان ليرجع إلى خالقه، ويتذكر عقابه، ومحاسبته في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وجعل الله سبحانه وتعالى بابها مفتوح للإنسان، لأنه يعلم أنه كثير الخطأ، ضعيف الإرادة، كثير الانحراف والضلال والانسياق وراء الشهوات والأهواء والذنوب والمعاصي، ولأجل ذلك فقد كانت التوبة والرجوع إلى الله مبدأ أساسي من مبادئ الدين الإسلامي تتاح فيه الفرصة مرة أخرى للعودة إلى جادة الصواب والحق والسير في الطريق المستقيم، ولذلك لا بد للمؤمن من توبة يومية يمحو بها الذنوب والخطايا وليكون مستعدا للقاء الله في أي وقت يشاؤه الله سبحانه، قال ﷺ **(يأيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة)**[1]، وهذا يدل على كثرة توبته ﷺ، مع أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكانت توبته ﷺ لزيادة علو منزلته عند الله، ولإظهار العبودية والافتقار والشكر لمولاه عز وجل ومع ذلك فهي تعليم لأمته أيضاً.

فالمؤمن إن أخطأ عجل بالتوبة لكي تعيده إلى الله وتنظفه من شوائب الذنوب والمعاصي. وقد جاء ذكر التوبة في سورة القلم في قصة أصحاب الجنة، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ القلم: ٢٩ - ٣٢) وقصة نبي الله يونس عليه السلام، عندما تاب إلى الله سبحانه وتعالى وناده وهو مكظوم، ففرج الله همه ﴿ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (سورة القلم: ٥٠). وسوف يتناول الباحث موضوع التوبة من ثلاثة محاور:

أولاً: مفهوم التوبة.

ثانياً: أهمية التوبة.

ثالثاً: التوبة في سورة القلم.

---

(١) مسلم: صحصح مسلم: ج٤، (رقم الحديث: ٢٧٠٢) ص٢٠٧٥ .

أولاً: مفهوم التوبة:

التوبة لغة:

التَّوْبة: بفتح التاء وسكون الواو، مأخوذة من (تَوبَ)، التاء والواو والباء: كلمة واحدة تدل على الرجوع[1].

وتاب إلى الله - تعالى - من كذا وعن كذا، يتوب توبًا، وتوبة ومتابًا: أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة، فهو تائب وتواب[2].

التوبة اصطلاحاً:

التوبة في الاصطلاح كما عرفها ابن القيم حيث يقول: "حقيقة التوبة هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال. والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل"[3].

وقيل التوبة: " ترك الذنب علما بقبحه، وندما على فعله، وعزما على ألا يعود إليه إذا قدر، وتداركا لما يمكن تداركه من الأعمال، وأداء لما ضيع من الفرائض؛ إخلاصا لله، ورجاءً لثوابه، وخوفا من عقابه، وأن يكون ذلك قبل الغرغرة، وقبل طلوع الشمس من مغربها"[4].

وهذا التعريف يشتمل على شروط التوبة وهي:

١- الإخلاص:وذلك بأن يكون الباعثُ للتوبة حبَّ الله وتعظيمه، والطمعَ في ثوابه، والخوفَ من عقابه، لا قصدًا في عَرَض من أعراض الدنيا الزائلة. فإن الله لا يَقبَل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه كما أخبر بذلك في كتابه الكريم، في قوله عز وجل: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ (سورة البينة آية ٥).

٢- الإقلاع عن الذنب مهما كان صغيرا أو كبيرا في الحال.

٣- الندم على ما فات، من الذنوب في الماضي، فلا تكون التوبة صحيحة، حتى

---

[1] أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ٣٥٧/١.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ج ٢ ص٦١.

[3] ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ص ١٤٤.

[4] محمد إبراهيم الحمد، التوبة وظيفة العمر، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤٢١هـ، ص ١١.

يكون التائب نادمًا على ما سلف منه من المعاصي، ندمًا يوجب الانكسار بين يدي الله عز وجل والذلة له سبحانه.

٤- العزم الجازم على عدم معاودة الذنب :فيتوب من الذنب، وهو يحدِّث نفسه ألاَّ يعود في المستقبل.

٥- أن تكون التوبة في زمن قبولها وهو ما قبل حضور الأجل،أو طلوع الشمس من مغربها.

٦- رد المظالم إلى أهلها فإن اغتاب أحدا ذهب أليه واعتذر وتحلل منه وإن أخذ مال أحد أرجعه إليه، وإن شتم أحد استسمحه، وهكذا في جميع حقوق الآدميين.

ولا تتحقق التوبة ألا بهذه الشروط.

ثالثاً: أهمية التوبة:

وعن أهميتها يقول الغزالي رحمه الله تعالى: " فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين،ورأس مال الفائزين، وأول أقدام المريدين،ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين، ولأبينا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين، وما أجدر الأولاد بالاقتداء بالآباء والأجداد... ولقد قرع آدم سن الندم وتندم على ما سبق منه وتقدم، فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم...وكل عبد مصحح نسبه إما إلى الملك أو إلى آدم أو إلى شيطان، فالتائب قد أقام البرهان على صحة نسبه إلى آدم بملازمة حد الإنسان المتلافي للشر بالرجوع إلى الخير، والمصر على الطغيان مسل على نفسه بنسب الشيطان"[1].

ثانياً: التوبة في سورة القلم:

جاء ذكر التوبة في سورة القلم في موضعين:

الموضع الأول: توبة أصحاب الجنة وذلك أن الله سبحانه وتعالى بعد أن ذكر قصة أصحاب الجنة والذنب الذي وقعوا فيه، من عزمهم على حرمان المساكين من ثمار جنتهم خلافا لما كان يفعل والدهم، أخبر أنهم رجعوا إلى الله وسبحوه وتابوا أليه قال تعالى :﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾

[1] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج٤ص ١٤٤.

﴿فَٱلْوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (القلم: ٢٨ - ٣٢) "قال عبد الله بن مسعود: بلغني أن القوم دعوا الله وأخلصوا، وعلم الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة، وكل عنقود منها كالرجل الأسود القائم. وعن مجاهد: تابوا فأبدوا خيراً"[1] فقص الله هذه القصة على كفار قريش حتى لا يغتروا فيما بيديهم من الأموال والأولاد، ويسارعوا إلى التوبة، فيتوبوا إلى الله قبل أن يحرمهم هذه النعمة التي بين يديهم، ثم يوم القيامة يعذبهم بعذاب أشد وأكبر من عذاب الدنيا، ولذلك يجب التوبة والإقلاع عن المعاصي لمن وقع فيها، كما تاب أصحاب الجنة فاعترفوا بذنبهم: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾﴾ (القلم: ٣٠ - ٣١) ثم دعوا الله أن يبدلهم خيرا في مصيبتهم: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (القلم: ٣٢) قال الشوكاني " لما اعترفوا بالخطيئة رجوا من الله عز وجل أن يبدلهم جنة خيرا من جنتهم قيل: أنهم تعاقدوا فيما بينهم، وقالوا إن أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله وتضرعوا فأبدلهم من ليلتهم ما هو خير منها"[2].

الموضع الثاني: توبة نبي الله يونس عليه السلام، ومن الدروس المستفادة من قصة نبي الله يونس عليه السلام، التي أشار إليها الله في السورة إنها تبين لنا فائدة التوبة والخير الكبير الذي، يحصل عليه من يقلع عن الذنوب ويعود إلى الله، فعندما تاب وأناب إلى الله نجاه الله من بطن الحوت، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ (الصافات: ١٤٣ - ١٤٤) ثم اجتباه الله إليه وجعله رسولا من الصالحين ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ (القلم: ٥٠) ثم أسلم معه عدد كبير من الناس وأصبح أكبر قرية تسلم قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ (الصافات: ١٤٧) كل ذلك بفضل توبته وعودة لله سبحانه وتعالى.

---

[1] محمد بن يوسف بن حيّان، تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ٣١٩/١٠ .

[2] محمد الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ص ١٥٢٣.

المطلب الرابع
الآثار التربوية التعبدية المستنبطة من السورة

تمهيد:

أي مبدأ تربوي في أي جانب من جوانب الحياة سواء كان في جانب العقيدة أو العبادة أو الأخلاق إذا لم يتم تنميته وتفعيله من قبل الفرد مع نفسه أولاً ثم مع الآخرين من حوله، فإنه لا يؤتي ثماره وآثاره سواء الدينية أو التربوية، وللتربية التعبدية آثار تربوية كثيرة وسوف يتناول الباحث، هذه الآثار من ثلاثة محاور:

أولا: الآثار التربوية للعبادة

ثانيا: الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ التقوى.

ثالثا: الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ التوبة.

أولاً: الآثار التربوية للعبادة:

للعبادة آثار تربوية كثيرة نذكر من أهمها:

١- أنها تربّي في النفوس روح الجماعة من خلال أداء الصلوات الخمس في المساجد كما أن الصلاة تقي الإنسان من الانحراف السلوكي من الفواحش والمنكرات قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ (سورة العنكبوت: آية ٤٥).

٢- كما إن العبادة تثبِّت وتنمّي الإيمان بالله وتربّي ما يثمر الإيمان من الأعمال الخيّرة وترغّب فيها، وهي بذلك تنهى وتبعد الإنسان عن الشر.

٣- كما أنها تساعد على تربية بدن المسلم وتقويته من خلال المشي والذهاب والمجيء والقيام والركوع والقعود والسجود المتكرر، والطهارة المتكررة كلها تذيب الأخلاط الغليظة في الجسم وتبعدها عنه[1].

٤- وإن الحج يهيئ مؤتمراً عاماً لكل المسلمين حيث يجتمعون في وقت واحد وموضع واحد على عمل واحد ويحصل الاتصال فيما بينهم ويتم التعاون والتعارف مما

---

[1] عبد الرحمن السعدي: المجموعة الكاملة، مركز صالح الثقافي، الرياض، ١٤١٢هـ، ج١ ص٣٧٩.

يـؤدي إلى معرفـة مصـالحهم المشـتركة والسـعي في تحصـيلها بحسـب القـدرة والإمكان فتتحقق بذلك الأخوة الإيمانية[1] كما أنه ينمِّى الفضائل الخلقية لدى المسلم.

٥- وأما الصيام فهو تربية لإرادة المسلم، وينشئ فيه التربية الذاتية التي تؤدي إلى مجاهدة النفس، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ (سورة العنكبوت: آية ٦٩). وهو يعمل على توطيد العلاقة بين العبد وربِّه وذلك أنه يربط العبد بربّه عز وجلّ من خلال القيام به.

٦- والزكاة، تربِّي المسلم على البذل وتعوّده على العطاء، وتنمِّي المال الذي تصدق منه قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (سورة سبأ: ٣٩).

وفيما سبق يتضح أن العبادة من أجلّ النعم التي أنعم الله تعالى على عباده، وذلك أنهم يجدون حلاوة في قلوبهم في عبادة الله تعالى لأنهم يرجون ثواب ربّهم عز وجلّ، كما أنهم يتنعّمون بنعم الدنيا على الوجه الأكمل مستعينين بها على عبادة الله عز وجلّ[2].

ثانياً: الآثار التربوية الناجمة عن تطبيق مبدأ التقوى:

إن الله سبحانه وتعالى ذكر التقوى في كتابه الكريم في مواضع كثيرة بلفظ التقوى و ما يشتق من لفظها في (٢٤٢) موضعاً. و ذلك لأثرها في زيادة قوة الإيمان بالله تعالى، وإتباع أوامره واجتناب نواهيه، ولإخلاص له وحبه جل شأنه وتقدسه أسمائه، وذلك يدل على مالي التقوى من أهمية تربوية كبيرة وما ينتج عنها من آثار تجعل المجتمع المسلم أكثر استقرارا وتمدنا، ومجتمعا تربويا علميا صالحا منتجا بإذن الله تعالى.

ومن آثارها التربوية على فرد والمجتمع ما يلي:

١. أنها تنمّي وتهذّب الآداب، والأخلاق والطاعات، في نفس المسلم، فعن أبي ذرٍّ ﷺ أن النبي ﷺ قال له: **(اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)**[3].

---

[1] عبد الرحمن السعدي: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ٣٨٧/١.

[2] عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ج١ص٣٧٧.

(٣) محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي، ج٤، كتاب البر والصلة: باب ما جاء في معاشرة الناس (رقم الحديث١٩٨٧).ص٣١٢ - صححه الألباني: صحيح سنن الترمذي، ج٢، ص١٩١، رقم ١٦١٨.

٢. تربية اليقظة الدائمة في النفس والتحصين من وسوسة الشيطان: إن من علامات الاتصاف بالتقوى أن يكون الإنسان على حذر دائم في قوله و فعله وظنه من أن يشوبه شيء من الظلم أو الحرام، بل يصل الأمر به أن يترك الأمور المباحة مخافة أن يكون فيها ذرة من شبهة بحرام، و رسول الله ﷺ يقول: **(لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس)**[1] فالمتقون في يقظة دائمة و في حرز من كيد الشياطين، حتى و إن نجح الشيطان في وسوسته لهم فإنهم سريعا ما يتذكرون ويرجون إلى الحق، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (سورة الأعراف، الآية ٢٠١). "فالتقوى حساسية في الضمير، وشفافية في الشعور، وخشية مستمرة وحذر دائم، و توقٍ لأشواك الطريق.. طريق الحياة.. الذي تتجاذبه أشواك الرغائب و الشهوات، وأشواك المطامع والمطامح، و أشواك المخاوف والهواجس، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء، و الخوف الكاذب ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً، وعشرات غيرها من الأشواك"[2].

٣. التقوى تنير القلب وتصفي الذهن: من يتق الله عزَّ وجلّ يجعل له نوراً في القلب، وفرقاناً يميز به بين الحق والهوى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٢٩). و يقول قطب رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية "إن التقوى هي الزاد وعدة الطريق... هي التي تحيي القلوب وتوقظها، و تستجيش فيها أجهزة الحذر والحيطة والتوقي، وعدة النور الهادي الذي يكشف منحنيات الطريق و دروبه على مد البصر... إن تقوى الله في القلب فرقاناً يكشف له منعرجات الطريق، لكن هذه الحقيقة ككل حقائق العقيدة لا يعرفها إلا من ذاقها فعلاً" ثم يردف قائلا في فوائد التقوى "إن التقوى هي التي تدفع الهوى الذي يحجب الحق و الفطرة، فتكون التقوى فرقاناً ينير البصيرة و يرفع اللبس ويكشف طريق الحق، وهذا فضل الله العظيم، ثم يضاف إليه تكفير الخطايا و مغفرة الذنوب من الرب الكريم ذو

(١) ابن ماجه: سنن بن ماجه، ج٢، كتاب الزهد، باب٢٤: الورع و التقوى، (رقم الحديث: ٤٢١٥) ص ١٤٠٩.

(٢) سيد قطب، في ظلال القران، مرجع سابق ، ج١ ص ٣٩.

الفضل العظيم"[1].

٤. نيل محبة الله عزَّ وجلّ ومعيته وحفظه وإكرامه فالمتقين يوقنون أن الله تعالى يراهم، فيراقبونه في جميع شؤونهم، كأنهم يرونه، فهم في عباداتهم يتقون الله فيؤدونها على شروطها كاملة غير منقوصة، و في معاملاتهم يتحرون العدل والإحسان مع الناس، و في أقوالهم يلتمسون الصدق والحق فيها يعلمون أن الله تعالى يعلم سرهم و نجواهم. و هم بتقواهم يستحقون أن يكون الله معهم برعايته لهم، و حفظه و محبته، فهم أولياؤه، يرعاهم و يحفظهم و يحبهم و ينصرهم على عدوهم. قال الله تعالى معلناً معيته للمتقين: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ (سورة البقرة الآية ١٩٤). و قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ (سورة النحل، الآية ١٢٨).

وبتقواهم كانوا أكرم خلق الله إليه قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (سورة الحجرات، الآية ١٣). واستحقوا محبته لهم، وقد أثبتها لهم في كتابه فقال عزَّ وجلّ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ (سورة آل عمران، الآية ٧٦) وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ (سورة التوبة، الآية:٤).

وبتقواهم صاروا أولياء الله فقال تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ (سورة الأنفال، الآية ٣٤). ويقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ (سورة الجاثية، الآية ١٩). بل ويسبغ الله تعالى على المتقين فوق ولايته لهم، الأمن والسرور في الدنيا والآخرة، يبشرهم بهذا الفوز العظيم فيقول تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ (سورة يونس، الآيات ٦٢-٦٤).

و من أحبه الله تعالى و والاه فقد ضمن حِفْظَ الله له و حمايته من كيد أعدائه، لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٢٠).

---

(١) سيد قطب، في ظلال القران، مرجع سابق، ج ٩ ص ١٤٩٩ .

٥. الخروج من كل ضائقة وشدة، فقد وعد الله تعالى المتقين بأن يجعل لهم من كل ضيق مخرجاً، و لكل عسر يسراً، ويرزقهم من جهة لم تكن تخطر على بالهم. فقد قال عزَّ وجلّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ (سورة الطلاق، الآيتان ٢، ٣). وقد قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾، ثم قال ﷺ: **(يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم)**[1].

ويقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾ (سورة الطلاق، الآية ٤). أي يسهل له أمره و ييسره عليه و يجعل له فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً[2].

٦ - حصول الأجر العظيم وتكفير السيئات والخلود في جنات النعيم:

وعد الله المتقين بدخول الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٣٤﴾ (سورة القلم: ٣٤) والتقوى خير وسيلة لتكفير السيئات و مغفرة الذنوب، و الحصول على الأجر العظيم من ذي الفضل العظيم، والآيات التي تفيد ذلك كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥﴾ (سورة الطلاق، الآية ٥). وقوله عزَّ و جلَّ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٣٣). و هم بعد ذلك في رحمة الله يترفون، قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٥٦).

وأخبر الله تعالى أنه سينجي المتقين من عذاب النار فقال: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ۝٧٢﴾ (سورة مريم:٧٢). ومن ثم يدخلهم الله تعالى في جنات النعيم، يتذوقون أصنافاً شتى من النعيم، مما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيقول الله عزَّ وجلّ: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٥). وهناك ألوان أخرى من النعيم في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن

---

(١) أحمد ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج٥، مرجع سابق، (رقم الحديث: ٢١٦٠٦)، ص ٢١٢- صححه الألباني، الجامع الصغير، ج٣٠، ص١٢ .

(٢) ابن كثير، تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ٣٨٢/٤.

رَّبِّهِمْ ﴾ (سورة محمد، الآية ١٥).

و إلى جانب تلذذهم بالنعيم المادي الظاهر، هناك نعيم معنوي غير ظاهر، ألا و هو خلو قلوبهم من الحقد والغل والنصب، وتنزيه أسماعهم من اللغو والكذب، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (سورة الحجر: ٤٨).

ثالثاً: الآثار التربوية لمبدأ التوبة:

إن هناك جملة من الآثار التربوية الناجمة عن العمل بمبدأ التوبة والرجوع إلى الله ومن هذه الآثار ما يلي:

١- أنها تربي الفرد على الاستقامة والهداية وإصلاح النفس:

فالإنسان إذا تاب إلى الله ورجع إليه، استقامة أموره، وتعدلت أحواله، فبعد أن كان غارقا في بحر الذنوب والمعاصي أصبح الآن بعد توبته في أحسن حال، واستقام في فعل الطاعات والبعد عن المعاصي، واهتدى إلى الصراط المستقيم، وأصلح نفسه ومنعها من الشهوات والملذات، ووجهها لعمل الصالحات، ففي هذا استقامة وصلاح للفرد نفسه أولا ثم لأسرته ثم المجتمع بإذن الله تعالى، ومما يدل أن التوبة تربي على الاستقامة وعلى الطاعات وإصلاح النفس ما أخبر به الله سبحانه وتعالى من أن التوبة التي يبدل الله بها سيئات التائبين حسنات هي التي يكون بعدها الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ (سورة الفرقان الآية: ٧٠- ٧١) فالتوبة " تبدأ بالندم والإقلاع عن المعصية وتنتهي بالعمل الصالح الذي يثبت أن التوبة صحيحة وأنها جدية، وهو في الوقت ذاته ينشئ التعويض الايجابي في النفس للإقلاع عن المعصية، فالمعصية عمل وحركة، يجب ملء فراغه بعمل مضاد وحركة، وإلا حنت النفس إلى الخطيئة بتأثير الفراغ الذي تحسه بعد الإقلاع"[1]، فالتوبة التي يقبلها الله تعالى من العبد هي التوبة التي تبدل حال العبد من فساد إلى صلاح، وتغير أموره من اعوجاج إلى استقامة،

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٥٨٠.

وأفعاله من انحراف إلى قصد واعتدال"[1].

٢- التوبة سبب للراحة النفسية، وانشراح الصدر، والشفاء في الكثير من الأمراض:

فالإنسان المؤمن إذا اقترف ذنبا أو معصية، لا شك أن يلوم نفسه على هذا العمل الخاطئ موجدا في نفسه قلقا دائم، وهما وغما واضطرابا في حياته لا يزول ذلك إلا بالعودة إلى الحق الذي حاد عنه، لذلك فالتوبة سبب لراحة الإنسان النفسية، كما أنها سببا لطمأنينة وانشراح صدره وذلك لأن "الشعور بالذنب يسبب للإنسان الشعور بالنقص والقلق مما يؤدي إلى نشوء أعراض الأمراض النفسية، ويمدنا القرآن بأسلوب فريد وناجح، لعلاج الشعور بالذنب ألا وهو التوبة، فالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى تغفر الذنوب وتقوي في الإنسان الأمل في رضوان الله فتخف حدة قلقه، ثم إن التوبة تدفع الإنسان عادة إلى إصلاح الذات وتقويمها، حتى لا يقع مرة أخرى في الأخطاء والمعاصي ويساعد ذلك على تقدير الإنسان لنفسه وزيادة ثقته فيها ورضائه عنها ويؤدي ذلك إلى بث الشعور بالأمن والطمأنينة في نفسه"[2]، وليست التوبة فقط لإصلاح الذنوب والأخطاء بل هي أيضا سببا لمعالجة كثير من الأمراض النفسية بل هي "علاجا عاما يستطيعه كل من أصيب بالمرض كيفما كان وفي أي زمان وفي أي مكان كان، فالتوبة علاج شعبي لأمراض النفوس وسيئات الأعمال شرعه الله وحبب فيه ولوح به ووعد عليه بما شاء من فضل ونعمة"[3].

٣- أن التوبة تربي على التفاؤل، وحسن الظن بالمستقبل، والإصرار والشجاعة، وعلو الهمة:

إن التوبة والرجوع إلى الله تبث في نفس المؤمن التفاؤل، وتبعد عنه التشاؤم، تجعله دائما يفكر في المستقبل وحسن الظن به والتطلع لحياة جميلة مليئة بالعطاء، وتكون لديه صفة الإصرار على مواصلة مشواره في هذه الحياة بالأمل والرجاء والخوف من الله ومن أليم عقابه وبالطمع في كريم أجره وثوابه، كما أن همته تزداد وتعلو على الذنوب والمعاصي، وتكبح جماح الشهوات والملذات، بالمبادرة إلى العمل الصالح الذي يمحو الله

---

[1] عبدالمهيمن طحان: زاد الدعاة، دار المنارة، جدة، ١٤١١هـ، ص ١٧.

[2] محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٢هـ، ص ٢٧٤.

[3] محمود محمد شلتوت، من توجيهات الإسلام، ط٦، دار الشروق، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ص ٣٤٠.

به السيئة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (سورة هود الآية: ١١٤) ولذلك يجب على الإنسان المؤمن بربه عدم اليأس والقنوط والتشاؤم، ويجب عليه أن يثق بما لدى الله سبحانه من قبول للتائبين العائدين، " فالنفس المؤمنة بالله المترقبة لرحمته لا يغادرها الأمل من تلك الرحمة الإلهية، وبهذا الإيمان والأمل تعالج مشاكلها مستعينة بالحكمة والصبر مترقبة انفراج الأزمة التي تتخبط فيها، ولهذا دعا القرآن الناس جميعا إلى طلب رحمة الله، وأن تكون مقصدهم في هذه الحياة"[١]، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ (سورة الزمر الآية: ٥٣) هذه الآية تبين لنا " الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية، كائنة ما كانت، وأنها الدعوة للأوبة، دعوة العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال، دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله، إن الله رحيم بعباده"[٢]. إن هذا التفسير للآية يعني أن يتبع الإنسان المؤمن سلوكيات حميدة تعينه على مواصلة حياته بقوة وإيمان، ومن هذه السلوكيات " الاعتماد على الشجاعة وقوة الإرادة عند العزيمة على التوبة وبذلك يتوجه المسلم إلى التوبة بعزيمة صادقة متخطيا كل عقبة تحول بينه وبين التوبة، والقدرة على مواجهة التأثيرات النفسية التي تحول بين التائب وتوبته حتى تنتهي بالوصول إلى التوبة النصوح، وإثارة دافع الرغبة في المحبة في التوبة عندما يعلم التائب بأن التوبة تغفر الذنوب مهما كانت عظيمة"[٣].

ومن هنا فإن الله فتح بابه لكل الناس الطائع والعاصي، " فيا أيتها النفوس المعذبة المتشائمة التي تتلاطم بك أمواج هذه الحياة يممي وجهك نحو ربك، واطلبي رحمته ليوصلك إلى شاطئ الأمان، فإن رحمة الله لا يعجزها شيء في الوجود، وهي قريبة منكم إذا سألتم الله أن يمنحكم إياها، وفعلتم ما تستحقون عليه نيلها"[٤].

٤- التوبة تربي على زيادة الألفة والمحبة والأخوة بين المؤمنين، وتربي لديهم الأخلاق

---

[١] عفيف عبدالفتاح طبارة: روح الدين الإسلامي، دار العلم، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م، ص ١٩٠.

[٢] سيد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٥ ص ٣٠٥٨.

[٣] إبراهيم عبدالشكور بشناق: بعض المضامين التربوية في سورة الحديد، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، مكة المكرمة) ١٤١٧هـ، ص ٥٦.

[٤] عفيف عبدالفتاح طبارة: روح الدين الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٩١.

الفاضلة:

فالتوبة إلى الله والرجوع إليه تجعل الإنسان المسلم يعرف ما له وما عليه من حقوق وواجبات تجاه إخوانه المسلمين، فلا يتعدى المسلم على أخيه المسلم، وإذا تعدى وأخطأ على أخوه المسلم وجب عليه التوبة، وطلب العفو والمسامحة من أخيه المسلم؛ لذلك فإن التوبة والرجوع إلى الله بإعطاء كل ذي حق حقه، يؤدي إلى زيادة الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي، فلا أحقاد ولا ظلم ولا حسد بينهم، والله سبحانه وتعالى أخبر بأن المؤمنين إخوة في آيات عدة منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة الحجرات الآية: ١٠) وفي نهاية الآية التي تحدثت عن السخرية والتنابز أخبر الله سبحانه أن التوبة لمن اقترف هذه الرذائل مفتوحة ومن لم يتب فإنه ظلم لنفسه ولإخوانه قال تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة الحجرات الآية: ١١) يقول السعدي في تفسير هذه الآية: " فهذا هو الواجب على العبد، أن يتوب إلى الله تعالى، ويخرج من حق أخيه المسلم، باستحلاله والاستغفار، والمدح له مقابلة على ذمه، والناس قسمان: ظالم لنفسه غير تائب، وتائب مفلح"[1]. ثم أخبر الله سبحانه وتعالى في نهاية الآية التي تحدثت عن الظن والتجسس والغيبة بأنه تواب ورحيم لمن تاب ورجع وتسامح مع أخيه المسلم مما بدر منه تجاه أخيه المسلم حيث يقول تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة الحجرات الآية: ١٢) يقول السعدي في تفسير هذه الآية " والتواب الذي يأذن بتوبة عبده فيوفقه لها، ثم يتوب عليه بقبول توبته، رحيم بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم، وقبل منهم التوبة، وفي هذه الآية دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر لأن الله شبهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر"[2]. والرسول ﷺ يقول: **(لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه).** [3] ففي هذا الحديث

---

[1] عبدالرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ٨٠١.

[2] المرجع السابق، ص ٨٠٢.

[3] مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، مصدر سابق،ج١٢، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه، (رقم الحديث:٢٥٦٤) ص٤٢٦.

تحذير من الاعتداء على حقوق المسلم المادية والنفسية، وإذا أخطأ الإنسان وتعدى على أخيه المسلم فإن الرجوع إلى الحق فضيلة، وعلامة من علامات الإيمان، فالمؤمن يرجع إلى الحق ويعترف بخطئه، ويطلب العفو والمسامحة ممن أخطأ عليه وأخذ حقه، أو الدعاء والاستغفار له، وفي هذا الفعل نشر للمحبة بين المسلمين وتقوية لأواصر المحبة والأخوة الإيمانية بين أفراد المجتمع الإسلامي، وتنمية للفضائل والأخلاق الإسلامية العالية والراقية، يقول النحلاوي: "إن التوبة... تعين على إعادة تكيف الإنسان مع نفسه، ومع مبادئه ومثله الأعلى، ومع مجتمعه القائم على المثل الأعلى، الذي هو عبادة الله في النظام الإسلامي، ومراقبته، كما أنها تربي المجتمع على التسامح بين أفراده"[1].

إن التوبة والرجوع إلى الحق بما توجده من تسامح وألفة ومحبة بين أفراد مجتمعه تعتبر " فضيلة خلقية راقية توجد عند أصحاب الفطر العالية من الناس، لأنهم بفطرهم العالية لا يجدون في نفوسهم ما يصرفهم عن الاستجابة للحق والرجوع إليه، فلا أنانية تصرفهم، ولا عصبية تصدهم، ولا عزة آثمة تحجبهم عن رؤية الحق، وأما الأهواء والنوازع النفسية فإنهم يستطيعون أن يجدوا سبيلا إلى مداراتها في ظل الاعتراف بالحق والرجوع إليه"[2].

٥- أن التوبة سبب للرخاء ونيل الخيرات والعطايا في الحياة الدنيا للأفراد والمجتمع:

إن توبة الإنسان المسلم ورجوعه إلى الله لا تعني فقط إصلاحه لأخطائه وتركه ذنوبه ومعاصيه تحسبا للأجر والثواب وخوفا من العقاب في الآخرة، ولكن هناك فوائد للتوبة والاستغفار تكون آثارها ملموسة للفرد والمجتمع وتكون سببا للرخاء ونيل الخيرات والعطايا، وقد أخبر الله بهذه المنح والعطايا حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾ (سورة هود الآية: ٣) ومعنى الآية " اطلبوا غفرانه عما سلف منكم، ثم توبوا إلى الله بالطاعة يمتعكم متاعا حسنا، بأن تعيشوا في أمن ودعة"[3].

---

[1] عبدالرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مرجع سابق، ص ٦٠.

[2] عبد الرحمن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج١، ط١، دار القلم، دمشق، ١٣٩٩هـ، ص٦٧٤.

[3] شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥هـ، ص ٤٢٦.

ولقد بين الله سبحانه وتعالى في آيات أخرى أن الرجوع إلى الله والتوبة والاستغفار من أسباب الخيرات والعطايا التي يمنها الله على الإنسان حيث " ربط الله عز وجل في كتابه الكريم بين التوبة والاستغفار ونزول الغيث وزيادة القوة وكثرة الأولاد والمتاع الحسن والبساتين والأنهار، فقال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة نوح: ١٠- ١٢) ففي هذه الآية دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق فنوح عليه السلام أمرهم بالاستغفار، والذي هو الإقلاع عن المعاصي وطلب المغفرة من الله على الذنوب السابقة... وفوق نعمة المطر الغزير، فقد وعدهم على الاستغفار الإمداد بالأموال والبنين، ثم فوق ذلك يجعل لهم بساتين ويجعل لهم أنهارا يسقون منها الزروع، إنها صورة رائعة من الخيرات المتلاحقة، المطر وكثرة الأولاد والبساتين والأنهار"[1]، لقد ربط الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة وفي آيات أخرى مشابهة لها بين التوبة والاستغفار والرجوع إلى الله وبين المعيشة الحسنة والرخاء للفرد والمجتمع، يقول قطب: " ربط الله بين الاستغفار وبين هذه الأرزاق - المطر والرزق والأولاد والبساتين والأنهار - وفي القرآن مواضع متكررة فيها هذا الارتباط بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله، وبين تيسير الأرزاق، وعموم الرخاء...وهذه القاعدة التي يقررها القرآن في مواضع متفرقة، قاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله، ومن سنة الحياة، كما أن الواقع العملي يشهد بتحققها على مدار القرون. والحديث في هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد. وما من أمة قام فيها شرع الله، واتجهت اتجاها حقيقيا لله بالعمل الصالح والاستغفار المنبئ عن خشية الله... ما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته، فحققت العدل والأمن للناس جميعا، إلا فاضت فيها الخيرات، ومكن الله لها في الأرض واستخلفها فيها بالعمران وبالصلاح سواء"[2].

مما سبق نخلص إلى أن التوبة كما قال عنها الكاتب فرانز ستال: بأنها "هي وسيلة تغيير الأفراد أنفسهم وهي سلاح خلقي عظيم، ففيها الندم والتغير والتحول وهي من أهم الدعائم الخلقية، فكل تأخير فيها هو انحلال في الشخصية الإنسانية، وكل

---

[1] شريف الشيخ الخطيب: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، مرجع سابق، ص ٤٢٣.

[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، مرجع سابق،ج٦ ص ٣٧١٣.

إسراع وصدق فيها هو إصلاح للنفس وسبب قوي للقضاء على الشر"[1].

الفصل الرابع

المضامين التربوية المستنبطة في الجوانب الأخلاقية والاجتماعية

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: المضامين التربوية في الجوانب الأخلاقية:

المطلب الأول: مفهوم التربية الأخلاقية وأهميتها .

المطلب الثاني : الحث على بعض الأخلاق الفاضلة

المطلب الثالث: النهي عن بعض الأخلاق السيئة

المبحث الثاني: المضامين التربوية في الجوانب الاجتماعية:

المطلب الأول: مفهوم التربية الاجتماعية وأهميتها .

المطلب الثاني: المضامين الاجتماعية الواردة في السورة .

[1] عفيف عبدالفتاح طبارة: روح الدين الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٨٩.

المبحث الأول

المضامين التربوية في الجوانب الأخلاقية

تمهيد:

لقد ركزت سورة القلم على الأخلاق تركيزاً واضحاً حتى قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية أنها "سورة الخلق الذي هو جماع الدين الذي بعث فيه محمد ﷺ"[1]، وسورة القلم كما تقدم هي إحدى السورة الثلاث التي نزلت بعد سورة العلق "ومعنى ذلك أنها نزلت في فجر الوحي، حيث كانت الحياة السائدة مفككة نتيجة الانحراف العقدي والانحلال الأخلاقي، فجاءت هذه السورة من أجل إحداث نقلة أخلاقية أبرز الله- تعالى ذكره- فيها العنصر الأخلاقي متمثلاً في هذه الرسالة الخالدة ونبيها الكريم ﷺ"[2] ولذلك مدح الله سبحانه رسوله ﷺ في مطلع السورة بعظم خلقه قال ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة القلم: ٤) "وهذا الكمال الخلقي دليل النبوة القاهر الذي ألزم الكثيرين الإيمان بنبوته من قبل أن يروا خارقا حسيا، وهم أمثال خديجة أم المؤمنين وأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وغيرهم"[3].

وتعتبر هذه الآية العظيمة هي مفتاح سورة القلم ، ولهذا وقعت في آخر ما أقسم الله عليه ليكون ما بعدها تقريراً لها، حيث أعقبها الله جلّ وعلا بإبطال ما يتنافى مع خلقه العظيم، من الكذب وكثرة الحلف والنميمة، والكبر ومنع الخير والبخل وغيرها من الأخلاق التي وردة في السورة والتي سوف يتناولها الباحث من ثلاثة محاور :

المطلب الأول: مفهوم الأخلاق وأهميتها.

المطلب الثاني: الحث على بعض الأخلاق الفاضلة.

المطلب الثالث: النهي عن بعض الأخلاق السيئة.

---

[1] ابن تيمية، دقائق التفسير، مرجع سابق، ١٤/٥.

[2] سيد قطب: في ظلال القران، مرجع سابق، ج٧، ص٢٨٣ .

[3] عبدالراضي محمد، نبي الإسلام، مرجع سابق، ص ٢١٣.

المطلب الأول

مفهوم الأخلاق وأهميتها

إذا أطلقت الأخلاق في التربية الإسلامية فيقصد بها التصرفات الايجابية التي حث عليها الإسلام والتي تسمى التعامل الحسن سواء مع الخالق أو الذات أو الآخرين من إنسان أو حيوان أو جمادات وسوف يتناول الباحث هذا الموضوع من محورين وهما:

أولا: مفهوم الأخلاق

ثانيا: أهمية الأخلاق

وذلك على النحو التالي:

أولاً: مفهوم الأخلاق:

الأخلاق في اللغة:

الأخلاق لغة: جمع خلق والخلق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خُلق عليها قال الراغب "الخَلق والخُلق في الأصل واحد لكن خص الخَلق بالهيئات والإشكال والصور المدركة بالبصر وخص الخُلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة"[1].

قال ابن منظور "الخُلق هو الدين والطبع والسجية"[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ أي الأدب العظيم[3].

الأخلاق في الاصطلاح:

لقد عرفت الأخلاق عدة تعريفات منها:

قال ابن حجر: "الأخلاق أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمود على الإجمال تكون مع غيرك على نفسك فتتصف منها ولا تتصف لها، وعلى التفصيل: العفو، والحلم، والجود، والصبر، وتحمل الأذى والرحمة، والشفقة، وقضاء الحوائج، ولين الجانب ونحو ذلك. والمذموم ضد ذلك."[4]

---

[1] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القران، مرجع سابق، ص ١٥٨.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ١٠ / ٨٦.

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القران: مرجع سابق، ٢٨/ ١٣.

[4] ابن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ٤٥٦/١٠.

وقد عرفت الأخلاق بأنها: "كل ما يتصف به الإنسان من صفات حميدة أو ذميمة فإذا كانت حميدة سميت معالي الأخلاق أو فضائل الأخلاق وان كانت ذميمة سميت رذائل الأخلاق أو منكرات الأخلاق"[1].

وقد عرفها علماء التربية بأنها: "مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو تحقيق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه"[2].

وهذا التعريف يبين لنا الفرق بين مفهوم الأخلاق الإسلامية وغيرها حيث اعتبر أن الذي يحدد الأخلاق الايجابية من غيرها هو الوحي الإلهي المتمثل بالقران الكريم وما جاء به الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (سورة الحشر: ٧) والأخلاق الايجابية داخله في الأوامر الربانية سواء أكانت على سبيل الإيجاب أم الاستحباب، كما أن الأخلاق الذميمة تدخل في النواهي الشرعية سواء أكانت على سبيل التحريم أو التنزيه.

ثانياً: أهمية الأخلاق:

تسعى التربية الإسلامية إلى تهذيب أخلاق المسلم باعتبار ذلك دينا يتقرب به إلى ربه تعالى، إذ أن معظم هذه الأخلاقيات التي تسعى إلى غرسها في نفوس المسلمين مرتبطة ارتباطا وثيقا بالشريعة الإسلامية في أوامرها ونواهيها.

وما الأوامر والنواهي في كتاب الله تعالى وفي سنة رسول الله ﷺ وإن لم تكن صريحة في الدعوة إلى الأخلاق إلا أنها دليل على عناية الإسلام بالأخلاق، فإن كل أمر أو نهي يقتضي خلقاً حميداً يجعله الإسلام دينا يؤجر العبد عليه، ويعاقب حين يخالفه.

ولهذا كان الرسول الله ﷺ وهو أكمل الخلق منهجا وأحسنهم أخلاقاً يسأل ربه جل وعلا أن يهديه لأحسن الأخلاق وأن يصرف عنه سيئها روى الإمام مسلم في صحيحة أنه كان يدعو ربه فيقول ((**واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت،**

---

[1] خالد الحازمي، التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع رسالة دكتوراه، ص٧٤.

[2] مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص٧٥.

واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها إلا أنت))[1].

وهذا يدل على اهتمام الرسول ﷺ بحسن الخُلق كيف لا وهو الذي أثنى الله عليه بسبب حسن خلقة قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة القلم: ٤).

إن وصفه ﷺ بالعظمة لم يرد لأي إنسان بهذه الصورة "والله لا يمدح رسوله إلا بالشيء العظيم مما يدل على عظم منزلة الأخلاق في الإسلام"[2].

وفي الآية لفت نظر للناس، إلى أن مبلغ هذه الرسالة العظمى ليس فردا كأي الأفراد، وإنما هو مؤهل بأجمل الأخلاق "كما أن في نزول الآية في وقت مبكر دليل واضح على أن أساس الإسلام هو الأخلاق وأن التشريع لم يكن إلا لحماية الأخلاق التي حددها في الكتاب والسنة"[3].

ولذا فإن من أسمى أهداف بعثة النبي ﷺ إتمام مكارم الأخلاق، يقول النبي ﷺ **((إنما بعثة لأتمم مكارم الأخلاق))** [4].

يقول الميداني "إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة، ولو افترضنا احتمالا انه قام مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع المادية فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض اسما فإنه لا بد لسلامة هذا المجتمع من خلقي الثقة والأمانة على اقل تقدير"[5].

وهذا يدل على إنه من المستحيل قيام أي مجتمع في ضل غياب الأخلاق ولو فرضنا أنه قام، فأي حياة يعيشها الناس في مجتمع يتصف بمساوئ الأخلاق من كذب وغش وخداع وظلم واحتيال وتتبع العورات، لذا فإن وجود الأخلاق ضرورة ملحة حتى لو كانت المجتمعات كافرة لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر، لهذا تجد أن الأمم الأخرى غير

---

[1] مسلم بن حجاج: صحيح مسلم، ج٤، كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، (رقم الحديث: ٧٧١) ص٣٠٥ .

[2] عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، ط٩، بيروت، ١٤٢٢هـ ص٧٨.

[3] عبداللطيف محمد العبد، الأخلاق في الإسلام، ص١٦.

[4] أبو عبدالله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج٢، (رقم الحديث:٤٢٢١)، ص٦٧٠- وقال حديث صحيح .

[5] عبدالرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ص٣٣.

الإسلامية تصدق وتفي بالعهد وتتفنن في حُسن الخُلق إلى غير ذلك، والسبب في هذا أن المصلحة تقتضي ذلك، أما نحن كمسلمين فإن هذه الأخلاق تمثل ديننا الذي بعث به الرسول ﷺ، فنأجر على حسن الخلق ونأثم على مساوئها.

لقد عرفنا بأن سورة القلم من أوائل سور القران نزولا فقد نزلت في فجر الوحي الأول، ولقد ركزت على إصلاح أخلاق المجتمع المسلم، فقد دعت إلى كل خلق كريم ونبيل، كما نهت وحذرت من كل خلق سيء، وهذا يدل على الأهمية الكبرى للأخلاق في الدين الإسلامي، فقد أعطاها أهمية كبرى وقرن الدعوة إليها بالدعوة إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فالدين الإسلامي يدعو إلى الإصلاح وعمار الأرض بالخير، وإلى مكارم الأخلاق، كما أنه يقدم الجانب الإنساني، في أوامره ونواهيه، فما دعى إلى أمر إلا فيه صلاح وفلاح للفرد والمجتمع، وما نهى عن شيء ألا فيه فساد وشقاء للمجتمع، وهذا كله خلافا لما يدعيه أعداء الإسلام من أنه دين يدعو إلى الإرهاب وتخويف الناس وترويع الآمنين، وبالحقيقة لو بحثنا في هذه المشكلة العظيمة نجد أن هناك خطأ كبير وقعت فيه التربية الإسلامية، ألا وهو أنها تركت جانب الأخلاق وأهملته بالكلية، وركزت على الأمور الظاهرة، والشعائر الدينية، وكأنها طقوس لا معنى لها ولا روح، بيد أن هذه السورة وهي نزلت في فجر الوحي دعت أولا إلى إصلاح الأخلاق الفاسدة التي كان عليها ذلك المجتمع الكافر، إذن تزامن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة مع الدعوة إلى الله جل وعلا، وذلك قبل الدعوة إلى الشعائر الإسلامية الأخرى، وما ذاك إلا لبيان أهمية الأخلاق، وهذا خلاف لما عليه أمة الإسلام في هذا العصر من سوء خلق وغش للأمانة، وضياع للحقوق، وإخلاف للواعد، وخداع في الحديث، وحسد في القلوب، وغيبة ونميمة، وغلظة في القول والفعل، وأصبح المجتمعات الغربية هي القدوة في الأخلاق ومضرب للمثل في القيم العليا، بيد أن ما عليه الغرب من خلق حسن هو صلب ما دعى إليه الدين الإسلامي فيجب الرجوع إليه والتمسك به كما دعت إليه سورة القلم فهو أساس الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

ومن خلال سورة القلم يتبين أهمية الأخلاق **فيما يلي:**

١- أن الله مدح رسولهﷺبعظم خلقه قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(سورة القلم: ٤) "والله لا يمدح رسوله إلا بالشيء العظيم مما يدل على عظم منزلة الأخلاق في

الإسلام"[1] وهذا حث للمؤمنين بأن يتمسكوا بحسن الخلق اقتداء بالرسول ﷺ.

٢- أن الله ربط الأخلاق بالإيمان والتقوى قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾ (سورة الأنفال ٢- ٤) فمن أوصاف أهل الإيمان البذل والعطاء، ومن كرم أخلاقهم أن قلوبهم خاليه من الحسد، وأنهم يؤثرون على أنفسهم ولو كانوا بأشد الحاجة لذلك قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ (سورة الحشر: ٩)، وقد جاء في سورة القلم النهي عن بعض الصفات السيئة ثم ذكر العقاب الذي ينالهم، ثم بعدها ذكر النقيض لهذه الصفات وهو التقوى فذكر أن جزاء المتقين جنات النعيم قال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٣٤ ﴾ (سورة القلم: ٣٤).

٣- إن الله نهى رسوله عن طاعة سيئ الخلق قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ ﴾ وهنا " يبرز العنصر الأخلاقي مرة أخرى في نهي الرسول ﷺ عن إطاعة أحد هؤلاء المكذبين بالذات، ويصفه بصفاته المزرية المنفرة، ويتوعده بالإذلال والمهانة"[2]، وهذا النهي يشمل كل قائد أو ولي من أولياء أمور المسلمين، والنهي عن طاعة من يتصف بهذه الصفات السيئة، يشمل عدم الوثوق بهم أو توليتهم أي أمر من أمور المسلمين، فلا يستحقون أي منصب أو مكانة في الإسلام، فبالتالي يجب علينا أن نتأكد من أخلاق أي شخص قبل أن نوليه أمر من أمورنا، لأن توليته يعني طاعته والله جل وعلا نهى عن طاعة الكذاب الحلاف المهين الهماز المغتاب، العتل الجواظ مناع للخير كثير الإثم وما نهى الله عن طاعتهم إلا لأن ضررهم أكثر من نفعهم فلا نغتر بكثرة أموالهم وأبناءهم قال: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾(سورة القلم: ١٤) أي: "لا تطع من هذه مثالبه

(١) عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، مرجع سابق، ص٧٨.

(٢) سيد قطب، في ظلال القران، مرجع سابق، ج ٧ ص ١٥.

لكونه ذا مال وبنين"[1].

٤- وعد الله المتصف بالأخلاق الحسنة بدخول الجنة وأنها هي التي تقرب إلى الله وليست الأموال والأولاد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (سورة سبأ :٣٧) ولذلك في سورة القلم بعد أن ذكر الصفات السيئة التي عليها بعض الكفار المعاندين ذكرهم بأن أموالهم وأولادهم لا تنفعهم وإن كانت كثيرة قال تعالى: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ فأنه يستحق العقاب من الله بسبب هذه الصفات فقال له ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾ فالصفات الحسنة هي سبب دخول الإنسان الجنة قال ﷺ: ((**اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، وحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم**))[2] وقال ﷺ: ((**اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**))[3] ولذلك ذكر الله جزاء من كان على نقيض هذه الصفات أن له الجنة ونفى مساواته بالمجرمين قال تعالى ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (سورة القلم: ٣٤- ٣٥).

٥- حصول البركة الخاصة والعامة، فأن للخلاق دور كبير في حصول البركة والخير في مال الإنسان وعمرة ورزقه كما أن لها دور كبير في التنمية وعمار الديار وصلاح حال الأمة عن عائشة رضي الله عنها قالت **قال ﷺ**: ((**من أعطي حظة من الرفق فقد أعطي حظه من خيري الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار**))[4].

---

(١) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير ، مرجع سابق ، ص ١٥١٦

(٢) أحمد بن حنبل: مسند الإمام احمد، ج٦، ص٢٤١- وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٣ ص٤٥٤، (رقم الحديث: ١٤٧٠)

(٣) رواه الترميذي، سبق تخريجه ص٥٩

(٤) أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، ج١٥، (رقم الحديث: ٢٤٠٩٨) ص ٢٥٥- صححه الألباني، السلسلة الصحيحة، ج٢، ص١٨

المطلب الثاني
الحث على بعض الأخلاق الفاضلة

تسعى التربية الإسلامية إلى تهذيب أخلاق المسلم باعتبار ذلك دينا يتقرب به العبد إلى ربه سبحانه وتعالى، إذ أن معظم هذه الأخلاقيات التي تسعى إلى غرسها التربية الإسلامية في نفوس المسلمين مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالشريعة الإسلامية في أوامرها ونواهيها فقد أمرت بكل خلق حسن ونهت عن كل خلق سيئة، وهي أساس بعثت الرسول صلى ولذلك قال ﷺ: ((**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**))[1] "فيلخص رسالته في هذا الهدف النبيل. وتتوارد أحاديثه تترى في الحض على كل خلق كريم وتقوم رسالته مثال حيا وصفحة نقية، وصورة رفيعة، تستحق من الله أن يقول عنها في كتابه الخالد: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة القلم:٤)، فيمجد بهذا الثناء نبيه ﷺ كما يمجد به العنصر الأخلاقي في منهجه الذي جاء به هذا النبي الكريم"[2]، وسورة القلم من أوائل السور نزولاً وقد حثت على مكارم الأخلاق كما نهت عن مساوئها، كي يتبين لناس أن الرسالة المحمدية جاءت لتبنى الإنسان من جميع جوانبه وأنها ليست عبادات تتحول مع مرور الزمن إلى طقوس وعادات، خاليه من روح التعامل والترابط الاجتماعي، بل شمل الجوانب الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية، العامة والخاصة.

وسوف يتناول الباحث هذا الموضوع من محورين:

الأول : أخلاق الرسول ﷺ.

الثاني: خلق الصبر

وهي على النحو التالي:

أولا: أخلاق الرسول ﷺ:

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة القلم: ٤) يخاطب الله عز وجل في هذه

---

(١) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج١٤، (رقم الحديث:٨٩٥٢)، ص٥١٣ وجاء بهامشه إسناده صحيح.

(٢) سيد قطب ، في ظلال القران، مرجع سابق، ج٧ ص١٠.

الآية نبيّه الكريم ﷺ ويمدحه في خلقه. وسأل هشام بن حكيم عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: (كان خلقه القران أما تقرأ القران قوله عز وجل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾. فقال لقد هممت أن أقوم ولا أسأل شيئا[1].

يقول سيد قطب رحمة الله: "ولقد رويت عن عظم خلقه في السيرة، وعلى لسان أصحابه روايات متنوعة كثيرة، وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه، ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء أخر أعظم بصدورها من العلي الكبير، وأعظم بتلقي محمد ﷺ لها وهو يعلم من هو العلي الكبير، وبقائه بعدها ثابتاً راسخاً مطمئنّاً، لا يتكبر على العباد، ولا ينتفخ، ولا يتعاظم، وهو الذي سمع من العلي الكبير"[2].

فهو ﷺ أكمل الناس خلقاً في جميع الخصال والأفعال وسيرته خير شاهد على ذلك فجميع الحوادث والوقائع التي وقعت في عهده تدل على حسن خلقه ولذلك التف الناس حوله ودخلوا في دين الله أفواجا بسبب لينه وحسن تعامله معهم يقول تعالى في ذلك: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.(سورة ال عمران ١٥٩)

الرسول ﷺ هو القدوة لجميع المسلمين ولذلك "اتصف بالأوصاف الخلقية المحمودة كالعلم والحلم والتواضع والكرم والصدق والوفاء وشدة الحياء وحسن المعاشرة والآداب إلى غير ذلك من الخصال العالية والأخلاق المرضية"[3].

قال أنس رضي الله عنه: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفٍّ قطّ ولا قال لي لشيء فعلته، لما فعلت كذا؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته، وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً، وما مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عطراً أطيب من عرق رسول الله ﷺ)[4].

---

[1] أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، ج٦، (رقم الحديث:٢٣٤٦)، ص٤٥ – صححه الألباني، الجامع الصغير، ج١٩، ص٨٩ .

[2] سيد قطب، في ظلال القران، مرجع سابق، ج٧ ص١٠

[3] أحمد فريد، التربية على منهج أهل السنة والجماعة، الدار السلفية لنشر، الاسكندرية، ص١٤١.

[4] الترمذي: سنن الترمذي، ج٧، رقم الحديث: ١٩٣٨) ص٢٠٤، صححه الألباني، صحيح سنن الترمذي، ج٥، ص١٥

قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها عندما جاءها في أول بدء الوحي خائفاً: (كلاّ والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على النوائب) [1].

كان أكرم الناس وأجودهم وهو خلاف للبخل والشح، الذي جاء النهي عنها في سورة القلم عند عرض قصة أصحاب الجنة، الذين عاقبهم الله بسبب بخلهم بهلاك جنتهم، فكان ﷺ أكرم الناس يعطي عطاء من لا يخشى الفقر "جاءه رجلاً فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع الرجل إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فان محمد يعطي عطاءً من لا يخشى الفاقة"[2] وكان كرمه وجوده في محله فيعطي إما سائل أو فقيراً أو محتاجاً، أو في سبيل الله، أو تأليفاً لأناس حتى يدخلوا في دين الله.

وكان لين الجانب وحسن المعاشرة: وهذا الخلق خلافاً لصفة العتل التي نهى الله عنها في السورة قال تعالى: ﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣﴾ (سورة القلم) فكان ﷺ رحيماً لطيفاً فلم يكن فاحشاً ولا متفحّشاً، ولا صخاباً في الأسواق ولا يجازي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح [3].

ومن حسن خلقه ورحمته بالخلق أن أعرابياً جاء وبال في المسجد فزجره الناس ونهروه بشدة، فنهاهم النبي ﷺ، فلما قضى بوله أمر النبي بذنوب من الماء فأريق على البول، ودعا الأعرابي فقال له: ((**إنّ هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذى أو الأقذار، إنما هي للصلاة وقراءة القران**))[4].

يقول بن عثيمين "وجه حسن الخلق في هذه القصة ظاهر، فهو لم يوبخ هذا الإعرابي، ولم يأمر بضربه، بل تركه حتى قضى بوله، ثم أعلمه أن المساجد لا تصلح لما فعل"[5].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (**ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً قطّ ولا**

---

[1] البخاري: الجامع الصحيح، ج١ (رقم الحديث:٣) ص٣ .

[2] مسلم: الجامع الصحيح، ج١١، (رقم الحديث:٢٤٢١) ص٤٤٧ .

[3] الترمذي: سنن الترمذي، ج٧، (رقم الحديث:١٩٣٩) ص٣٠٥.

[4] مسلم: صحيح مسلم، ج٢، (رقم الحديث:٢٨٤) ص١٣٣.

[5] محمد بن عثيمين، مكارم الأخلاق، دار الغد الجديد، ١٤٢٦هـ، مصر، ص٦٩ .

امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين شيئين إلا اختار أيسرهما، إلا أن تكون إثماً، فإذا كانت إثماً كان أبعد الناس من الإثم، وما انتقم رسول الله ﷺ إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله) [1].

أهمية حسن الخلق في الإسلام:

قال ﷺ: ((**إنما بعثت لأُتمِّم مكارم الأخلاق**))[2].

يقول فضل الله الجيلاني: "لا يكون ديناً من الأديان خالياً من مكارم الأخلاق، لكن لم تكن الأخلاق الكريمة مجموعة كلها في دين من الأديان السابقة حتى جمع الله في دين الإسلام كل ما كان من أخلاق حسنة"[3].

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة التي تحض على أهمية حسن الخلق ومنها:

أن صاحب الخلق الحسنة ينال عليه الأجر العظيم قال ﷺ: ((**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار**)) [4].

وحسن الخلق دليل كمال الإيمان قال ﷺ: ((**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا**))[5].

وأقرب منزلة لرسول ﷺ قال: ((**إن أحبكم إلي وأقربكم منزلة مني في الآخرة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة مساوئكم أخلاقاً، الثرثارون المتفيهقون المتشدقون**))[6].

وأن حسن الخلق خير ما يعطى الناس قال ﷺ: ((**إن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من حسن الخلق**))

وأمثلة ذلك في السنة المطهرة كثيراً، ومن أقوال السلف الصالح وسيرتهم وذلك

---

[1] مسلم، صحيح مسلم، ج٥، (رقم الحديث: ٢٣٢٧) كتاب الفضائل ص١٣٢.

[2] صحيح البخاري، سبق تخريج ص ٤٢

[3] فضل الله الجيلاني: توضيح الأدب المفرد ،ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٢٧١.

[4] أبي داود: سنن أبي داود، ج١٢، (رقم الحديث: ٤١٦٥)، ص٤٢٠ – وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة، ج٢، ص٢٩٤.

[5] رواه الترميذي، سبق تخريجه ص٤٩.

[6] أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد ،ج٤، (رقم الحديث: ١٧٠٦٦) ص١٩٣، وصححه الألباني، الجامع الصغير، ج٩ ص١٨٧، رقم الحديث (٣٣٩٥).

دليلاً قاطعاً على اهتمام الإسلام بالأخلاق، وتأصيلها في نفوس المسلمين، وسورة القلم أكبر شاهداً على ذلك حيث أمرت بالأخلاق الفاضلة ونهت عن الصفات السيئة، كما نهت عن طاعة أصحابها وذلك لزيادة التنفير منها.

ففي جميع الأحوال يرجع الكلام لنا نحن أمة النبي ﷺ لكي نكون من أصحاب الخلق الحسن في مختلف الأحوال ومهما كانت الأسباب ، فالأحداث التي مرّ بها النبي ﷺ لو لم يكن من أصحاب الخلق الحسن لم يكن يجتمع حوله أحد لما تعرض له من عذاب وإهانة، لذلك مدحه الله جلّ وعلا بفضل حسن خلقه ولينه لناس: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٩).

وكفى بحسن الخلق أنه يستميل النفوس ، ويورث المحبة ويزيد في المودّة ويهدي إلى الفعل الحسن .

ثانياً: الصبر:

قال تعالى في نهاية سورة القلم: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ (القلم: ٤٨)، قال ابن تيميه: "ختمها بالأمر بالصبر الذي هو جماع الخلق العظيم، وذلك نص في الصبر على ما يناله من أذى الخلق، والمصائب السماوية، والصبر على الأول أشد" [(١)]، فبعد أن ذكر الله إيذاء الكفار لنبيه وتكذيبهم له وفي تلك الظروف الصعبة القاسية عليه وعلى الذين أمنوا معه، يأمره سبحانه وتعالى بالتمسك بالصبر على جميع ما يحكم الله به ويقدره عليهم لأن في ذلك خيرا لهم وأجراً عظيماً.

١- معنى الصبر

الصبر لغة:

الحبس والكف[(٢)]. قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ (سورة الكهف: ٢٨) الآية، أي احبس نفسك معهم.

والصبر اصطلاحاً:

حبس النفس على فعل شيء أو تركه ابتغاء وجه الله قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ

[(١)] ابن تيميه، دقائق التفسير، مرجع سابق، ج٥ ص٢١.

[(٢)] الجوهري ، الصحاح، مرجع سابق، ج١ ص٣٨٧.

وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ (الرعد: ٢٢).

وقيل: "حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما"[١].

وقيل "الصبر قوة خلقية من قوى الإرادة تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشقات والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع، والسأم والملل، والعجلة والرعونة، والغضب والطيش، والخوف والطمع، والأهواء والشهوات والغرائز[٢].

٢- أنواع الصبر:

صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة[٣].

٣- أهميته:

الصبر: أبرز الأخلاق الوارد ذكرها في القرآن حتى لقد زادت مواضع ذكره فيه عن مائة موضع، وما ذلك إلا لدوران كل الأخلاق عليه، وصدورها منه، فكلما قلبت خلقاً أو فضيلة وجدت أساسها وركيزتها الصبر، "فالعفة: صبر عن شهوة الفرج والعين المحرمة، وشرف النفس: صبر عن شهوة البطن، وكتمان السر: صبر عن إظهار مالا يحسن إظهاره من الكلام، والزهد: صبر عن فضول العيش، والقناعة: صبر على القدر الكافي من الدنيا، والحلم: صبر عن إجابة داعي الغضب، والوقار: صبر عن إجابة داعي العجلة والطيش، والشجاعة: صبر عن داعي الفرار والهرب، والعفو: صبر عن إجابة داعي الانتقام، والجود: صبر عن إجابة داعي البخل، والكيس: صبر عن إجابة داعي العجز والكسل وهذا يدلك على ارتباط مقامات الدين كلها بالصبر، من أولها إلى آخرها"[٤].

ومن هنا ندرك كيف علق القرآن الجزاء العظيم على الصبر وحده، ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (الإنسان: ١٢) ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (الفرقان: ٧٥) ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الرعد: ٢٤).

وترجع عناية القرآن البالغة بالصبر إلى ماله من قيمة كبيرة في الحياتين الدنيا

---

[١] ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، مرجع سابق، ص١٧.

[٢] عبد الرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ٣٠٥/٢.

[٣] عبدالرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ٧٤.

[٤] ابن القيم، عدة الصابرين، مرجع سابق، ص٢٤.

والأخرى، فليس هو من الفضائل الثانوية، بل من الضرورات اللازمة التي لا انفكاك للإنسان عنها، فلا نجاح في الدنيا ولا نصر ولا تمكين إلا بالصبر، ولا فلاح في الآخرة ولا فوز ولا نجاة إلا بالصبر، فلولا صبر الزارع والدارس والمقاتل وغيرهم ما ظفروا بمقاصدهم.

ولئن كان الأمر كذلك في الدنيا، فهو في الآخرة أشد وأوكد، يقول أبو طالب المكي: "اعلم أن الصبر سبب دخول الجنة، وسبب النجاة من النار لأنه جاء في الخبر حفت الجنة بالمكارة، وحفت النار بالشهوات، فيحتاج المؤمن إلى صبر على المكارة ليدخل الجنة، وإلى صبر عن الشهوات لينجو من النار، وقال: اعلم أن كثرة معاصي العباد في شيئين: قلة الصبر عما يحبون، وقلة الصبر على ما يكرهون"[1].

وإذا كان هذا شأن الصبر مع كل الناس، فأهل الإيمان أشد الناس حاجة إليه لأنهم يتعرضون للبلاء والأذى والفتن ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ (العنكبوت: ٢ – ٣).

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾ (البقرة: ٢١٤)، وكان التأكيد أشد في قوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٨٦﴾ (آل عمران: ١٨٦)، "لقد بينت الآية أن قوى الكفر على ما بينها من اختلاف متحدة ضد الإسلام، وقرنت لبيان موقف المؤمنين بين الصبر والتقوى فلا يكتفوا بالصبر وحده حتى يضيفوا إليه تقواهم لله" [2]. ثم وصفت الآية الأذى المسموع بأنه كثير، فلا بد أن يوطن المسلمون أنفسهم على سماع الافتراء والزور والتلفيق والبهتان من عدوهم حتى يأتي نصر الله ولذلك ذكر الله في بداية السورة الأذى الذي لاقاه الرسول ﷺ باتهامه بالجنون وفي نهايتها يأمره بالصبر فصبر ﷺ وأتاه الفرج وانتشرت دعوته ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

ورسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أشد أهل الإيمان حاجة إلى الصبر لأنهم الذين

---

[1] أبو طالب المكي، قوت القلوب، ص٢٨١

[2] سيد قطب، في ظلال القران، مرجع سابق، ١ / ٧٨

يقومون أساساً بالدعوة ويجابهون الأمم بالتغيير وهم حين يقومون بذلك يكون الواحد منهم فرداً في مواجهة أمة تعانده وتكذبه وتعاديه، وكلّما كان القوم أشد عناداً وأكثر إغراقاً في الضلال كانت حاجة نبيهم إلى الصبر أكثر كأولي العزم مثلاً، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

لقد كانت أوامر الرب سبحانه لمحمد عليه الصلاة والسلام بالصبر كثيرة في القرآن وما ذاك إلا لأنها دعوة شاملة تواجه أمم الأرض كلها فخصومها كثيرون وحاجة إمام الدعوة إلى الصبر أعظم فقد واجه النبي ﷺ صنوف الأذى البدني والنفسي والمالي والاجتماعي والدعائي وغيره، وقاوم ذلك كله بالصبر الذي أمره به الله في عشرين موضعاً في القرآن كلها إبان العهد المكي لأنه عهد البلاء والفتنة والضعف وتسلط الكفار، وكان مما قاله الله له: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (هود: ٤٩)، ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (النحل: ١٢٧). وقال تعالى في سورة القلم: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ (سورة القلم: ٤٨)، وقال في آية أخرى ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الطور: ٤٨). "فأمر بالصبر لحكمه وهو سبحانه لا يحكم إلا بالحق والعدل، ثم أمر بالتسبيح كما أمره به في جملة آيات على أعقاب أمره بالصبر، ولعل السر فيه أن التسبيح يعطى الإنسان شحنة روحية تحلو بها مرارة الصبر"[1].

ويحمل التسبيح بحمد الله معنيين جليلين لابد أن يرعاهما من ابتلي:

١- تنزيه الله تعالى أن يفعل عبثاً، بل كل فعله موافق للحكمة التامة، فبلاؤه لحكمة.

٢- أن له تعالى في كل محنة منحة وفي كل بلية نعماء ينبغي أن تذكر فتشكر وتحمد وهذا هو سر اقتران التسبيح بالحمد هنا. وفي قوله (ربك) إيذان بكمال التربية ومزيد العناية.

ولذلك جاء في سورة القلم بعد ذكر قصة أصحاب الجنة وبعد أن أهلكها الله سبحانه وتعالى وأصابهم البلاء قال لهم أوسط القوم: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا

---

[1] الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ٤ / ٢١٨

سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة القلم ٢٨- ٢٩) وفي قصة نبي الله يونس الذي نهى الله عن مشابهته في عدم الصبر والاستعجال، سبح الله في بطن الحوت فقال ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٨٧) يقول ابن تيمية عن سبب الجمع بين الصبر والاستغفار: "فَجَمَعُوا بَيْنَ الصَّبْرِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَهَذَا هُوَ الْمَأْمُورُ بِهِ فِي الْمَصَائِبِ الصَّبْرُ عَلَيْهَا وَالِاسْتِغْفَارُ مِنْ الذُّنُوبِ الَّتِي كَانَتْ سَبَبَهَا"[1].

والصبر من القيم الاجتماعية الضرورية التي تدخل في جميع مجالات الحياة، فإنّ "كسب الرزق يحتاج إلى صبر، ومعاملة الناس تحتاج إلى صبر، والقيام بالواجبات الدينية يحتاج إلى صبر، والكف عن المحرمات والمكروهات يحتاج إلى صبر، والجهاد في سبيل الله يحتاج إلى صبر، ومقارعة شدائد الحياة ومقاومة مكارهها وتحمل تكاليفها يحتاج إلى صبر، وهكذا إلى سائر الأعمال التي يمارسها الإنسان في حياته، سلبية كانت أو إيجابية، فهي تحتاج إلى صبر"[2].

والمعلّم أو الداعية إذا لم يكن متحلّياً بهذه الصفة فقد كثيراً من مؤهلاته التي يتمكن عن طريقها احتواء انفعالات الناس، وهو شرط ضروري ليؤثر في الناس ويتأثرون به. قال الغزالي: "إذا جمع المعلم ثلاثة تمت بها النعمة على المتعلم، الصبر والتواضع وحسن الخلق"[3].

٤ – حكمه:

الصبر من حيث الجملة واجب، ويدل لذلك:

أ - أمر الله به في غير ما آية قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (النحل: ١٢٧)، وقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ ﴾ (القلم: ٤٨).

ب - نهيه عن ضده كما في قوله: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ ﴾ (الأحقاف: ٣٥) ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ ﴾ (آل عمران: ١٣٩).

ج - أن الله رتب عليه خيري الدنيا والآخرة وما كان كذلك كان تحصيله واجباً

أما من حيث التفصيل فحكمه بحسب المصبور عنه أو عليه، "فالصبر على

---

[1] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ٣ / ٦٧.

[2] عبد الرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، المرجع السابق، ٣١٩/٢.

[3] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، المكتبة العصرية، صيدا، ط٤، ١٤٢٠هـ، ج١ ص٨١ .

الواجب واجب وعن الواجب حرام، والصبر عن الحرام واجب وعليه حرام، والصبر على المستحب مستحب وعنه مكروه، والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه، والصبر عن المباح مباح والله أعلم"[1].

٥- فضائل الصبر في القرآن الكريم:

حديث القرآن عن فضائل الصبر كثير جداً، وهذه العجالة لا تستوعب كل ما ورد في ذلك لكن نجتزئ منه بما يلي[2]:

أن الله سبحانه علق الفلاح به في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ (القصص:٥٤) وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾ (الزمر: ١٠).

تعليق الإمامة في الدين به وباليقين: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (السجدة:٢٤).

ظفرهم بمعية الله لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة:١٥٣).

أنه جمع لهم ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم وهي الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (البقرة:١٥٥- ١٥٧).

أنه جعل الصبر عوناً وعدة، وأمر بالاستعانة به: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ (البقرة: ٤٥). فالصبر عون "على الذكر والشكر وسائر الطاعات من الصوم والجهاد وترك المبالاة بطعن المعاندين في أمر القبلة"[3].

أنه علّق النصر بالصبر والتقوى فقال: ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (آل عمران: ١٢٥).

أنه تعالى جعل الصبر والتقوى جنة عظيمة من كيد العدو ومكره فما استجن

---

[1] الألوسي البغدادي، روح المعاني، مرجع سابق، ج٢/ ص٣.

[2] ابن القيم، عدة الصابرين، مرجع سابق، ص ٤٢. بتصرف واختصار

[3] الألوسي البغدادي، روح المعاني، مرجع سابق، ج٢ ص ٦٣.

العبد بأعظم منهما: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ (آل عمران: ١٢٠)، "يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكَيْدِ الفُجّار، باستعمال الصبر والتقوى"[١].

أن الملائكة تسلم في الجنة على المؤمنين بصبرهم: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ (الرعد: ٢٣- ٢٤).

أنه سبحانه رتب المغفرة والأجر الكبير على الصبر والعمل الصالح فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ (هود:١١)، "فإنهم إن تأتهم شدّة من الدنيا وعسرة فيها، لم يثنهم ذلك عن طاعة الله، ولكنهم صبروا لأمره وقضائه. فإن نالوا فيها رخاءً وسعةً، شكروه وأدَّوا حقوقه بما آتاهم منها"[٢].

أنه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الأمور: أي مما يعزم من الأمور التي إنما يعزم على أجلها وأشرفها: قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ (الشورى:٤٣) وقال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ (لقمان:١٧).

أنه سبحانه علّق محبته بالصبر وجعلها لأهله قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ (آل عمران: ١٤٦).

أنه تعالى قال عن خصال الخير: إنه لا يلقاها إلا الصابرون: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (فصلت: ٣٥).

أنه سبحانه أخبر أنما ينتفع بآياته ويتعظ بها الصبار الشكور: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾ (لقمان: ٣١) وقال في قصة سبأ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ (سورة سبأ: ١٩)، "فَإِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ: كَانَ جَمِيعُ مَا يَقْضِي اللَّهُ لَهُ مِنْ الْقَضَاءِ خَيْرًا لَهُ، ... إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ فَشَكَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ فَصَبَرَ كَانَ خَيْرًا لَهُ.... وَالصَّابِرُ الشَّكُورُ هُوَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي غَيْرِ

---

[١] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢ ص ١٠٩.

[٢] محمد جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج ١٥ ص ٢٥٧.

مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ . وَمَنْ لَمْ يُنْعِمْ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ فَهُوَ بِشَرِّ حَالٍ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ فِي حَقِّهِ يُفْضِي إلَى قَبِيحِ الْمَآلِ"[1].

أنه سبحانه أثنى على عبده أيوب أجل الثناء وأجمله لصبره فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ (سورة ص: ٤٤)، فأطلق عليه نعم العبد بكونه وجده صابرا "وهذا يدل على أن من لم يصبر إذا ابتلي فإنه بئس العبد"[2].

أنه حكم بالخسران التام على كل من لم يؤمن ويعمل الصالحات ولم يكن من أهل الحق والصبر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ (سورة العصر) وهذا يدل على أنه لا رابح سواهم.

أنه تبارك وتعالى قرن الصبر بمقامات الإيمان وأركان الإسلام ومثله العليا، فقرنه بالصلاة ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ (البقرة: ٤٥)، وقرنه بالأعمال الصالحة عموماً ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (هود:١١) وجعله قرين التقوى ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ (يوسف:٩٠) وقرين الشكر ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾ (لقمان:٣١)، "أي: لكل من هو كثير الصبر، والشكر، وخصّ الصبار الشكور، لأنهما المنتفعان بالمواعظ والآيات"[3]. وقرين الحق ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾(العصر:٣)، وقرين المرحمة ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ (البلد:١٧)، وقرين اليقين ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (السجدة:٢٤)، وقرين الصدق﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ (الأحزاب:٣٥) وقرين التوكل ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (سورة: العنكبوت:٥٩)، وقرين التسبيح والاستغفار ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ (غافر: ٥٥)،

كما قرنه بالجهاد: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (محمد: ٣١).

أنه سبحانه وتعالى أوجب لصابرين الجزاء بأحسن أعمالهم ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (النحل: ٩٦)، أي: "بجزاء صبرهم، وجعل الصبر

---

[1] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ج ١ ص ٢٥٦.

[2] ابن القيم عدة الصابرين، مرجع سابق، ص:٩٠.

[3] محمد الشوكاني، فتح القدير، ج ٦ ص ١٠٣.

أحسن الأعمال لاحتياج جميع التكاليف إليه، فالصبر هو رأسها، فكان الأحسن لذلك"[1].

وبعد فهذا غيض من فيض في باب فضائل الصبر ولولا الإطالة لاسترسلنا في ذكر تلك الفضائل والمنازل، ولعل فيما ذكر عبرة ودافع على الصبر فالله المستعان.

٦- مجالات الصبر في القرآن الكريم:

مجالات الصبر كثيرة ومتعددة ولعل من أهمها ما يلي:

أ - الصبر على بلاء الدنيا:

لقد أخبرنا الله تعالى بطبيعة الحياة الدنيا، وأنها خلقت ممزوجة بالبلاء والفتن فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ (البلد: ٤) أي مشقة وعناء، وأقسم على ذلك بقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧).

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ حَدَّثَهَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ فَيَفْزَعُ إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ عِنْدَكَ احْتَسَبْتُ مُصِيبَتِي فَأْجُرْنِي فِيهَا وَعَوِّضْنِي مِنْهَا إِلا آجَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا وَعَاضَهُ خَيْرًا مِنْهَا، قَالَتْ فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ ذَكَرْتُ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ عِنْدَكَ احْتَسَبْتُ مُصِيبَتِي هَذِهِ فَأْجُرْنِي عَلَيْهَا فَإِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ وَعِضْنِي خَيْرًا مِنْهَا قُلْتُ فِي نَفْسِي أُعَاضُ خَيْرًا مِنْ أَبِي سَلَمَةَ ثُمَّ قُلْتُهَا فَعَاضَنِي اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَآجَرَنِي فِي مُصِيبَتِي))**[2].

وإذا أطلق الصبر فلا يكاد ينصرف إلى غير الصبر على بلاء الدنيا ومشاقها عند كثير من الناس.

ب - الصبر على مشتهيات النفس:

وهو ما يسمى بالسراء فإن الصبر عليها أشد من الصبر على الضراء، قال بعضهم:

---

[1] ابن حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ج ٧ ص ٢٨٧ .

[2] ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ج ٥ ، (رقم الحديث: ١٥٨٧) ص ٨٠ – صححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ج٤، ص٩٨.

"البلاء يصبر عليه المؤمن والعافية لا يصبر عليها إلا صِدِّيق، وقال عبد الرحمن بن عوف: ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر"[1]. إن المؤمن مطالب بأن لا يطلق لنفسه العنان في الجري وراء شهواتها لئلا يخرجه ذلك إلى البطر والطغيان وإهمال حق الله تعالى فيما آتاه وبسط له، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ (المنافقون: ٩).

ومما يدخل في هذا النوع من الصبر، الصبر عن التطلع إلى ما بيد الآخرين من الدنيا، والصبر عن الاغترار بما ينعمون به من مال وبنين قال تعالى: ﴿ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ٥٦ ﴾ (المؤمنون: ٥٥ – ٥٦) وقد نهى الله ورسوله ﷺ عن ذلك بقوله: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١ ﴾ (طه: ١٣١)، فالمؤمن من يعتز بنعمة الهداية ويعلم أنما هم فيه من الدنيا ظل زائل وعارية مستردة ولا يبالي بمظاهر الفخامة التي يتبجح بها الطغاة.

ج - الصبر على طاعة الله تعالى:

إن الصبر على طاعة الله أعظم مجالات الصبر وهو لذلك أشدها على النفوس يقول ابن القيم: "إن فعل الطاعة أكد من ترك المعصية، فيكون الصبر عليها فوق الصبر عن ترك المعصية في الدرجة"[2]، وقد جاءت صيغة الأمر بالصبر على الطاعة مغايرة لغيرها فقال تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥ ﴾ (مريم: ٦٥)، وقال: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ١٣٢ ﴾ (طه: ١٣٢)، فاستخدم صيغة الافتعال وهو يدل على المبالغة في الفعل إذ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وما ذاك إلا لمشقة مجاهدة النفوس على القيام بحق العبودية في كل الأحوال.

د - الصبر على مشاق الدعوة إلى الله:

غير خاف عليك ضرورة صبر الداعية على ما يلاقيه في دعوته، فإنه يأتي الناس بما لا يشتهونه ولا يألفونه، وبما يخالف ما وجدوا عليه آباءهم، فلذلك يقاومون الدعوة بكل ما أوتوا من قوة، ويوصلون الأذى بالداعية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

---

[1] ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، مرجع سابق، ص٩٥

[2] ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ص١٢٣.

إن أعراضهم عن الدعوة يحتاج إلى صبر كصبر نوح الذي بقي في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وحكى الله عنه قوله: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ وَمَا.. الآية﴾ (نوح: ٥ – ٧).

وما يحيكه المغرضون من مؤامرات الكيد التي تؤذي الداعية في أهله ونفسه وماله تحتاج إلى صبر، وهذا ما أكده الله تعالى بقوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝١٨٦﴾ (آل عمران: ١٨٦) " فالصبر والتقوى يدفع شر العدو المظهر للعداوة، المؤذين بألسنتهم، والمؤذين بأيديهم"[1] وقد أمر الله رسوله بقوله: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ (المزمل: ١٠)، وقد أجمع الأنبياء على رد أذى أقوامهم بالصبر ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝١٢﴾ (إبراهيم: ١٢)، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ۝٣٤﴾ (الأنعام: ٣٤)، وسحرة فرعون لما وقر الإيمان في قلوبهم قابلوا تهديده بالقتل والصلب بقولهم ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝١٢٥ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ۝١٢٦﴾ (الأعراف: ١٢٥ - ١٢٦).

إن طول الطريق واستبطاء النصر يحتاج إلى صبر، وصبر حار شديد ولذا خوطب المؤمنون في القرآن بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾ (البقرة: ٢١٤)، وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۝١١٠﴾ (يوسف: ١١٠).

هـ- الصبر حين البأس:

أي الصبر في الحرب وعند لقاء العدو والتحام الصفوف، فالصبر ثمّ شرط للنصر، والفرار كبيرة، وقد أثنى الله تعالى على الصابرين في ساعة القتال فقال في آية البر: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾ (البقرة: ١٧٧) أي الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ أي المرض، وحين البأس، حال

---

[1] ابن تيمية، مكارم الأخلاق مرجع سابق، ص١٣٠.

القتال والتقاء الأعداء[1] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ ويوجبه على عباده بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ (الأنفال: ٤٥ – ٤٦).

وعندما تضطرب أمور المعركة، وينفرط عقدها تكون الحاجة إلى الصبر أعظم وأشد كما حدث في أحد حين انكشف المسلمون وشاع أن رسول الله ﷺ قتل، انجفل فريق من المسلمين منهزمين، وصبر آخرون فنزل من القرآن إشادة بمن صبروا، وإنكار على أولئك: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ (آل عمران: ١٤٢) ثم لا يعذرهم في فرارهم وانهزامهم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞۖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ (آل عمران: ١٤٤) إلى أن قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ (آل عمران: ١٤٦).

و - الصبر في مجال العلاقات الإنسانية:

لا تستقيم الحياة مع الناس إلا بالصبر بدءاً بأقرب من يعاشرك وهي الزوجة وانتهاءً بأبعد الناس عنك، وقد قال الله تعالى مبيناً ما ينبغي أن يتحلى به الزوج من صبر في مواجهة مشاكل الزوجية: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ (النساء: ١٩)، أي فاصبروا فعاقبة الصبر حميدة "فإنّ الصبْر على الزوجة الموذية أو المكروهة إذا كان لأجل امتثال أمر الله بحسن معاشرتها، يكون جعل الخير في ذلك جزاءً من الله على الامتثال"[2].

ويوصي الله عباده بالصبر على ما يلاقونه من الناس من ضر، وأن لا يقابلوا السيئة بمثلها فيقول: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ (فصلت: ٣٤ - ٣٥).

ومما يُنظم في هذا العقد صبر التلميذ على التعلم والمعلم، وهذا ما حدثنا عنه في القرآن عندما ذهب موسى إلى الخضر ليعلمه مما علمه الله، قال له الخضر إما لأن الله أخبره بالحقيقة أو تهييجاً على الصبر - قال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ

---

[1] ابن كثير: تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ج ١ ص ٤٨٨.

[2] ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ٣ ص ٣٦٨ .

تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (الكهف: ٦٧ - ٦٨)، فتعهد موسى بالصبر قال: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (سورة الكهف: ٦٩).

٧- الأسباب المعينة على الصبر:

أ - المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا:

إن من عرف طبيعة الدنيا وما جبلت عليه من الكدر والمشقة والعناء هان عليه ما يبتلى به فيها لأنه وقع في أمر يتوقعه، والشيء من معدنه لا يستغرب، وقد عرفنا الله بهذه الحقيقة فقال: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ (البلد: ٤)، أي في مشقة وعناء، "يكابد مشاق الدنيا والآخرة، ومشاقه لا تكاد تنحصر من أول قطع سرته إلى أن يستقر قراره، إما في جنة فتزول عنه المشقات؛ وإما في نار فتتضاعف مشقاته وشدائده"[1]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ (الانشقاق: ٦)، وبين جل جلاله أنها لا تدوم على حال بل يوم لك ويوم عليك قال تعالى ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٠)، إن من لا يعرف هذه الحقيقة سيفاجأ بوقائع الأحداث تصب على رأسه صباً فيظن أنه الوحيد من بين بني الإنسان الذي يصاب بذلك لشؤمه وسوء حظه، ولذلك يبادر بعضهم بالإجهاز على نفسه بالانتحار، لأنه ما علم أن لكل فرحة ترحة وما كان ضحك إلا كان بعده بكاء، وما ملئ بيت حبرة إلا مليء عبرة، وما عبت دار من السرور إلا عبت من الحزن، "وأنه لو فتش العالم لم ير فيه إلا مبتلى: إما بفوات محبوب أو حصول مكروه، وأن سرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن سرت يوماً أساءت دهراً، وإن متعت قليلاً، منعت طويلاً..."[2].

ب - معرفتك بأنك وما بيدك ملك لله تعالى ومرجعك إليه:

قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ (النحل: ٥٣)، وقد علمنا في كتاب ربنا أن نقول عند حلول المصائب: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ (البقرة: ١٥٦)، يقول ابن القيم:

---

[1] ابن حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، ج ١٠ ص ٤٨٣.

[2] أبو طالب المكي: قوت القلوب، مرجع سابق، ص٢٤٥

"وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته، فإنها تتضمن أصلين عظيمين، إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته:

أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل، وقد جُعل عند العبد عارية. وأيضاً، فإنه محفوف بعدمين، عدم قبله، وعدم بعده حتى يكون ملكه حقيقة، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يبقى عليه وجوده، فليس له فيه تأثير ولا ملك حقيقي. والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولابد أن يخلف الدنيا وراء ظهره. ويجيء ربه فرداً كما خلقه أول مرة، بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بدايته ونهايته، فكيف يفرح بموجود ويأسى على مفقود؟ ففكره في مبدئه ومعاده أعظم علاج هذا الداء، ولذلك يقال عند تعزية المصاب (إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى)"[1].

ج - اليقين بحسن الجزاء عند الله تعالى:

أن مما يرغب الإنسان في العمل، ويزيده ثباتاً فيه علمه بحسن جزائه في الآخرة ولا نجد في القرآن شيئاً ضخم جزاؤه وعظم أجره مثل الصبر فيقول: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (العنكبوت: ٥٨ - ٥٩) ويقول مبيناً أن الصابرين يجزون بأحسن ما عملوا: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (النحل: ٩٦)، ويصرح سبحانه وتعالى بأن أجرهم غير معدود ولا محدود فيقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ (الزمر: ١٠)، وقد ذُكِّر المؤمنون بهذه الحقيقة في الكلمة التي أمروا أن يقولوها عند حلول المصائب قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ (البقرة: ١٥٦)، فيتذكرون أنهم سيرجعون إلى الله فيجزيهم على عملهم وصبرهم أحسن الجزاء وأوفاه.

يقول أبو طالب المكي: "وأصل قلة الصبر: ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرت له، لأنه لو قوي يقينه، كان الآجل من الوعد عاجلاً إذا كان الواعد صادقاً، فيحسن صبره لقوة الثقة بالعطاء".[2]

---

[1] ابن القيم، عدة الصابرين، مرجع سابق، ص ٩٨

[2] أبو طالب المكي، قوت القلوب، مرجع سابق، ص٨٧

د - الثقة بحصول الفرج:

إن يقين العبد بأن النصر مقرون بالصبر وأن الفرج آت بعد الكرب وأن مع العسر يسراً يقويه على الصبر على ما يلاقيه، وقد كثرت الآيات الدالة على هذا المعنى لما له من أثر في مزيد التحمل والثبات، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ (الشرح: ٥ - ٦)، قال بعضهم: لن يغلب عسر يسرين ومن ذلك أنه "كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب، فذكر له جموعًا من الروم وما يتخوَّف منهم، فكتب إليه عمر:"أما بعد، فإنه مهما نزل بعبد مؤمن من منزلة شدة، يجعل الله بعدها فرجًا، وإنه لن يغلب عُسر يسرين"[1]. وقد تكرر في القرآن الأمر بالصبر مقروناً بالتذكير بأن وعد الله حق لا يتخلف أبداً قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ۝٢٠﴾ (الزمر: ٢٠)، وقال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾ (الروم: ٦٠)، إن اشتداد الأزمة في سنن الله تعني قرب انبلاج الفجر وظهور طلائع النصر كما قيل ولهذا نجد يعقوب يكون أمله في العثور على يوسف أشد عندما أخذ ابنه الثاني فيقول: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ (يوسف: ٨٣)، وقال لأبنائه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ۝٨٧﴾ (يوسف: ٨٧). يقول ابن القيم في هذا "أن ملاحظة حسن العاقبة تعين على الصبر فيما تتحمله باختيارك أو غير اختيار"[2].

هـ - الاستعانة بالله:

مما يعين المبتلى على الصبر أن يستعين بالله تعالى ويلجأ إلى حماه فيشعر بمعيته سبحانه وأنه في حمايته ورعايته، ومن كان في حمى ربه فلن يضام ولذا قال موسى لقومه بعد أن هددهم فرعون بما هددهم به: ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٢٨﴾ (الأعراف: ١٢٨).

ولعل حاجة الصابرين إلى الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه هي بعض أسرار اقتران الصبر بالتوكل على الله في آيات كثيرة كقوله: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝٥٨ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩﴾ (العنكبوت: ٥٨ - ٥٩)، أي: "صبروا على أوامر الله وعن نواهيه،

---

[1] ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج ٧ ص ٥٠٣.

[2] ابن القيم: مدارج السالكين، مرجع سابق، ج٢ ص١٢٤.

وعلى أقدار الله المؤلمة، وعلى الأذية فيه والمحن ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (العنكبوت: ٥٩)، أي: يعتمدون عليه في تنفيذ محابّه، لا على أنفسهم. وبذلك تنجح أمورهم وتستقيم أحوالهم، فإن الصبر والتوكل ملاك الأمور كلها، فما فات أحدا شيء من الخير إلا لعدم صبره وبذل جهده فيما أريد منه، أو لعدم توكله واعتماده على الله"[1].

و- الاقتداء بأهل الصبر:

إن التأمل في سير الصابرين يعطي الإنسان شحنة دافعة على الصبر، ومن هنا ندرك سر حرص القرآن المكي على ذكر صبر الأنبياء على ما لاقوه من أممهم وهذا ما صرح الله به في قوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ (هود: ١٢٠)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (الأنعام: ٣٤)، وجاء الأمر صريحاً لرسول الله ﷺ بالاقتداء بالصابرين قبله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ (الأحقاف: ٣٥)، وحين نزل البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ جاءهم التذكير ببلاء من كان قبلهم: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ (العنكبوت: ٢ - ٣)، وقال لهم: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ (البقرة: ٢١٤).

ز- الإيمان بقدر الله:

إن إيمان العبد بقدر الله النافذ واستسلامه له أكبر عون على تجشم مصاعب المصائب، وعلم العبد بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه برد من اليقين يصب على فؤاده، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ (الحديد: ٢٢ - ٢٣).

وركون المؤمن إلى قدر الله في مثل هذا المقام واحتجاجه به أمر لا غبار عليه لأنه إحالة على القدر فيما لا اختيار للعبد فيه.

---

[1] عبدالرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ٤٤٠.

يقول ابن القيم "اعلم أن الجزع والهلع والتبرم والضيق لا يرد من قدر الله شيئاً فلابد من الصبر أول الأمر لئلا يحرم العبد من المثوبة ولئن لم يصبر أول الصدمة فسيصبر بعد ذاك رغم أنفه ولا أجر له، قال حكيم: العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد السبعة أيام"[1]. إن المبالغة في التشكي والتبرم لا يغير من الواقع شيئاً بل يزيد النفس هماً وكمداً ولهذا قال الله لرسوله: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الأنعام:٣٥).

فأزال الوحشة عن قلب الرسول ﷺ في أول آية بأن تكذيبهم ليس للرسول وإنما هو لله تعالى، ثم عزاه في الثانية وسلاه بما حدث لرسل الله فصبروا، ثم قال له: إن شق عليك إعراضهم وذهبت نفسك عليهم حسرات وضاق صدرك فليس لك إلا الصبر، وإلا فافعل ما بدا لك فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض تهرب منه أو سلماً في السماء، تصعد عليه فدونك فافعل.

٨- الآفات المعيقة عن الصبر:

لقد أمر الله نبيه في سورة القلم بالصبر ونهى عن مشابهة صاحب الحوت يونس عليه السلام وذلك لأنه استعجل أمر ربه وذهب مغاضبا قومه ويأس من إسلامهم وهذه الأمور الثلاثة هي من الآفات المعيقة لصبر وهذا سبب النهي عن مشابهة يونس عليه السلام، وبالتالي فأن الآفات المعيقة لصبر هي:

١- الاستعجال: النفس موكولة بحب العاجل: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ (الأنبياء: ٣٧)، فإذا أبطأ على الإنسان ما يريد نفد صبره وضاق صدره واستعجل قطف الثمرة قبل أوانها فلا هو ظفر بثمرة طيبة ولا هو أتم المسير، ولهذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ (الأحقاف: ٣٥)، أي العذاب فإن له يوماً موعوداً.

---

[1] ابن القيم، عدة الصابرين، مرجع سابق، ص١٠٤

لقد باءت بعض الدعوات بالفشل ولم تؤت ثمرتها المرجوة بعلة الاستعجال، ولو أنهم صبروا لكان خيراً لهم، ثار بعضهم على الطغيان ولما يقم على ساقه ويشتد عوده وتكتمل آلته وتنضج دعوته وتمتد قاعدته فقضي على الدعوة ووئد الداعية وذهب الاثنان في خبر كان. والحديث عن الاستعجال أطول من هذا ولكن في الإشارة للبيب ما يغني عن العبارة.

٢- الغضب: قد يرى الداعية من المدعوين مالا يليق فيستفزه الغضب فيدفعه إلى مالا يحسن به مما يسيء إلى الدعوة ويلصق بجبين حاملها وصمة عار تبقى الدهر كله، ولهذا حذر الله رسوله من مغبة الغضب بأن لا يقع فيما وقع فيه يونس فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ (القلم: ٤٨) لقد فرغ صبره فضاق صدره فغادرهم غاضباً قبل أن يأذن له ربه ظناً منه أن الله لن يضيق عليه فضيق الله عليه بأن جعله في بطن الحوت محبوساً: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ (الأنبياء: ٨٧). فتاب الله عليه: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ (الأنبياء: ٨٨).

٣- اليأس: أعظم عوائق الصبر وهو الذي حذر يعقوب أبناءه من الوقوع فيه مع تكرار البحث عن يوسف وأخيه: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ (يوسف: ٨٧)، وهو الذي حرص القرآن على دفعه عن أنفس المؤمنين فبذر الأمل في صدورهم قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾ (سورة آل عمران:١٤٠)، إن إضاءة شعلة الأمل دواء اليأس وهذا ما ذكرت به الآيات المؤمنين وهو ما ذكر به موسى قومه فقال: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ (الأعراف: ١٢٨)، ولما شكا خباب إلى رسول الله ﷺ ما يلاقيه من أذى قريش قال له رسول الله ﷺ: ((**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى**

حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون))[1].

٩ - نماذج للصابرين:

لقد ضُرب لنا في القرآن نماذج رائعة تجسدت فيهم حقيقة الصبر، واستحقوا أن يذكروا بصبرهم فيقتدي بهم الصابرون، وسنختار في هذه العجالة ثلاثة منها يتمثل في كل واحد منها لون من الصبر.

أ - الصبر على طاعة الله:

في قصة إبراهيم وإسماعيل التي حكاها الله لنا بقوله عن إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ (الصافات: ٩٩ - ١١١).

ب - الصبر عن معصية الله:

وأبرز الأمثلة وأشدها وضوحاً صبر يوسف عليه السلام على مراودة امرأة العزيز، لقد كان الصبر ظهير يوسف في محنته التي ابتلي بها اضطراراً واختياراً وكشف عن هذا حين عثر إخوته عليه فقال: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (يوسف: ٩٠)، لقد رفض كل العروض والإغراءات وخرج من الفتنة بإيمانه وصبره، وكان صبره هذا أرقى من صبر أبيه يعقوب على الفراق وأرقى من صبر أيوب على ما بلي به لأن صبرهما كان اضطرارياً لا حيلة لهما في رفعه ولا دفعه بينما كان صبر يوسف اختياراً وحين تملك فلم يتكبر ولم يطغ صبراً اختيارياً، يقول ابن القيم نقلاً عن شيخه ابن تيميه رحمهما الله: "كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضا، ومحاربة

---

[1] البخاري: الجامع الصحيح، ج٦، (رقم الحديث: ٣٦١٢) ص٤٤٤.

للنفس"[1].

ج - الصبر على أقدار الله المؤلمة:

إن أشهر من يقرن اسمه بهذا اللون من الصبر نبي الله أيوب عليه السلام، لقد أصابه ضر عظيم في بدنه وأهله وماله فصبر، فخلد ذكره في القرآن فقال الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ ﴾ (ص: ٤١ - ٤٤)، لقد ذكر له من ألوان التكريم وأوسمة الشرف ما هو جدير بمثله لعظيم صبره، فأولهما تكريمه بتخليد ذكره ومباهاة الله به عند رسوله محمد ﷺ، وثانيه: تكريمه بقوله (عبدنا)، حيث أضافه إليه، والعبودية من أشرف أوصاف الإنسان التي يتحلى بها، وثالثها: عندما استجاب نداءه وكشف ضره ووهب له أهله ومثلهم معهم، ورابعها: حينما جعل له مخرجاً من يمين حلفه على امرأته فكرمت وكرم بما يخلصه من مأزق الحنث، وكانت خاتمة ذلك هذا الوسام من الشرف العريض ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ ﴾، فوصفه بالصبر حتى قرن الصبر بأيوب فلا يذكر إلا وهو معه، ثم قال: نعم العبد فكانت شهادة من الله بتمام عبوديته، ثم ختم ذلك بقوله إنه أواب، والأواب: المبالغ في شدة رجوعه إلى الله تعالى.

جعلني الله وإياكم منهم وحشرنا معهم وآجرنا بأجرهم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

[1] ابن القيم، عدة الصابرين ، مرجع سابق، ص ١١٦

المطلب الثالث

النهي عن بعض الأخلاق السيئة

لقد نهى الله سبحانه وتعالى في سورة القلم عن مجموعة من الأخلاق المذمومة كما نهى رسوله ﷺ عن طاعة كل من يتصف بهذه الأخلاق "وهذا أبلغ من النهي عن فعلها"[1] وهذه الصفات بعضها صفات شخصية وبعضها صفات اجتماعية، وبعضها صفات أخلاقية واجتماعية متداخلة، فضررها على الفرد والمجتمع كبير وخطرها عام، وبالحقيقة هذه الصفات أكثر الأخلاق انتشارا وأشدها خطرا، ولذلك نهى الله سبحانه وتعالى عنها وعن طاعة من يتصف بها، وهي كثرة الحلف، والتنابز بالألقاب، والغيبة والنميمة، ومنع الخير، والاعتداء بالإثم، والاشتهار بالشر والغلظة والجلافة، والاغترار بكثرة المال والولد، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤﴾ (سور القلم: ١٤).

كما احتوت قصة أصحاب الجنة التحذير من صفة البخل، والاغترار بالمال، والحلف على الباطل، ومنع الخير عن الفقراء والمساكين، والتعنت بالرأي وعدم سماع نصائح المصلحين.

كما تضمنت قصة يونس عليه السلام النهي عن صفت الاستعجال والغضب وعدم الصبر، ولذلك أمر سبحانه وتعالى رسوله بالتمسك بالصبر وعدم مشابهة صاحب الحوت في الاستعجال والغضب وترك الصبر قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۝٤٨﴾. (سورة القلم: ٤٨).

وكما عرف بعض علماء التربية علم الأخلاق بأنها معرفة الأخلاق الحسنة والتحلي بها ومعرفة الأخلاق السيئة لاجتنابها، فهو "العلم الذي يهدي الإنسان إلى ما يجب عليه فعله وما يجب عليه تركه، أي الأشياء التي ينبغي أن يفعلها والأمور التي ينبغي أن يبتعد عنها كي يسلم من عذاب ربه"[2]. وبالتالي يتحقق له سعادة الدنيا والآخرة. وسورة القلم تناولت النوعين، ما يجب فعله من الأخلاق وما ينبغي تركه، وسوف يقوم الباحث

---

[1] ابن تيمية، دقائق التفسير، مرجع سابق، ج٥ ص١٨

[2] آمنه محمد نصير: الأخلاق في التصور الإسلامي، مكتبة تامر لطباعة، ١٩٨٤م ، ص٤.

بمناقشة الصفات المنهي عنها في السورة في هذا المبحث على النحو التالي:

١- كثرة الحلف:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (القلم: ١٠).

رجل حلاف وحلافةٌ كثيرُ الحلف، فإنه لا يكون كذلك إلا وهو كذاب "وذلك أن الكذاب لضعفه ومهانته إنما يتقي بإيمانه الكذب التي يجترأ بها على أسماء الله تعالى واستعمالها في كل وقت غير محلها"[١].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (سورة القلم: ١٧- ١٨) أي "حلفوا ليقطعن ثمرها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (سورة القلم: ١٨) أي ولا يقولون إنشاء الله[٢].

فالله سبحانه وتعالى حذر من كثرة الحلف حتى بالحق وأمر بحفظ اليمين قال تعالى بعد ذكره لكفارة اليمين ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (المائدة: ٨٩) كما نهى الله عن جعل اليمين عرضة، أو حجة لمنع الخير والإنفاق قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ (البقرة: ٢٢٤).

وفي الحديث قال ﷺ : ((**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى**))[٣] قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ (آل عمران: ٧٧).

وهذه تسمى اليمين الغموس التي تغمس صاحبها بالنار والعياذ بالله، فوصف الله صاحبها بأنه لا أخلاق له في الدنيا، وتوعده بالآخرة بالغضب عليه ولا يكلمه ولا ينظر إليه ولا يزكيه، وفوق هذا له عذاب شديد أليم بسبب هذه اليمين الكاذبة.

كما أن الله سبحانه وتعالى أمر بالوفاء باليمين وسماها عهد الله، وأوصى بعدم نقضها بعد توكيدها وانعقادها بالله سبحانه وتعالى تعظيماً له وتقديساً، قَالَ تَعَالَىٰ:

---

[١] ابن كثير: تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ج٤ ص٦٤.

[٢] الحسن البغوي: معالم التنزيل، مرجع سابق، ،ج٨ ص١٨٤.

[٣] البخاري: الجامع الصحيح، ج٨، (رقم الحديث: ٢١٨٥) ص ١٧٢.

﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (النحل: ٩١).

فعلى المربين في البيت والمدرسة وفي كافة المؤسسات التربوية حث المتربين على حفظ اليمين، ونهيهم عن كثرة الحلف حتى وهم صادقين ، وتعويدهم منذ الصغر على تعظيم الله، وتقديس أسمائه وصفاته وعدم التجرؤ عليه بالحلف الكاذب امتثالا لما جاءت به هذه السورة، وما أمر الله به في الآيات الأخرى، فذلك يحقق لهم ولمجتمعهم سعادة الدنيا والآخرة، لأنهم إذا تجرؤوا على الله باليمين الكاذب لم يبقى ما يعظمونه، وبالتالي لم يبقى لهم وازع ديني يردعهم عن ارتكاب المحرمات.

٢- منع الخير والشح:

قال تعالى ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ (القلم: ١٢)، المراد أنه "بخيل والخير المال[١]، " لا ينفقه في وجه الله وقيل هو الذي يمنع أهله وعشيرته عن الإسلام، يقول لهم من دخل منكم في دين محمد لا انفعه في شيء أبداً"[٢].

وقال تعالى ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ (سورة القلم: ١٧) الذين قالوا: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة القلم:٢٤).

يقول ابن تيميه "فيه بيان حال البخلاء، وما يعاقبون به في الدنيا قبل الآخرة من تلف الأموال، إما إغراقاً وإما إحراقاً، وإما نهباً وإما مصادرة، وإما في شهوات الغي وإما في غير ذلك مما يعاقب به البخلاء، الذين يمنعون الحق. وليس إقدام في صنايع المعروف"[٣].

فنهى الله عن طاعة الشحيح البخيل الذي يمنع الناس الخير، كما بين سبحانه عاقبة البخل ومنع الخير في قصة أصحاب الجنة، وصفت البخل من الصفات المذمومة في الإسلام، فقد ورد النهي عنها في القران الكريم في عدة مواضع قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الحديد :٢٤).

ووصف الله البخل بأنه شر وليس خير سواء لممسك أو للمجتمع كافة فيجب ألا يظن الشخص الذي يمسك المال ويحتفظ به دون أنفاقه على مستحقيه هو خير له سواء

---

[١] الزمخشري: الكشاف، مرجع سابق، ص٥٧٤ .

[٢] محمد الشوكاني: فتح القدير، مرجع سابق، ص١٥٢٧ .

[٣] ابن تيمية: دقائق التفسير، مرجع سابق، ج٥ ص١٩.

في الدنيا والآخر لأن المال مال الله جل وعلا له ملك السموات والأرض، إذا شاء سبحانه أخذ هذا المال وحرمه إياه مثل ما حدث لأصحاب الجنة الوارد ذكرها في سورة القلم، أو يعاقبه في الآخرة بأن يطوق بهذا المال بعذاب من النار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ (سورة آل عمران: ١٨٠)، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (سورة النساء: ٣٧).

كما أخبر الله سبحانه وتعالى إن الذي يبخل أنما يبخل على نفسه لأن الله غني عنه وعن ماله إنما أعطاه هذا المال لاختباره هل ينفق أو يمسك ويبخل به قال تعالى ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾(سورة محمد :٣٨).

فتوعد الله من يفعل ذلك بأن يعقبه نفاق بقلبه إلى يوم القيامة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (التوبة: ٧٥ – ٧٧).

كما أنّ الله مدح الأنصار لأنهم يحبون من هاجر إليهم ويؤثرون على أنفسهم، وينفقون أموالهم، كما وصف من يوق شح نفسه ويبعد عن البخل بأنه من المفلحين في الدنيا والآخرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحشر: ٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (التغابن: ١٦).

ولذلك تعوذ الرسول ﷺ من صفت البخل وقرنها بصفات قبيحة مثل الجبن والكسل وأرذل العمر، وقرنها بعذاب القبر. قال ﷺ **((أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْبُخْلِ وَالْكَسَلِ وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ))** [1].

---

[1] البخاري: الجامع الصحيح، ج٧، (رقم الحديث: ٤٣٣٨) ص ٣١٠ - ومسلم: صحيح مسلم، ج٨، (رقم

٣- الغيبة والنميمة:

قال تعالى: ﴿ هَمَّازٍ ﴾ أي: كثير العيب للناس والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء، "أي: مغتاب للناس يأكل لحومهم، والهمز أصله الغمز فقيل للمغتاب: هماز، لأنه يطعن في أعراض الناس بما يكرهون، وذلك غمز عليهم"[١].

﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ (سورة القلم) أي: "يمشي بين الناس بالنميمة، وهي: نقل كلام بعض الناس لبعض، لقصد الإفساد بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء"[٢].

فالغيبة: هي ذكر الشخص بالغيب فيما يكره.

والنميمة هي: "نَقْل الحديث من قَوم إلى قَوم، على جهة الإفسادِ والشَّرّ".[٣] وهي السعي بين الناس بالإفساد، لتحريض الناس بعضهم على بعض، والإيقاع بهم، وشحن قلوبهم بالعداء والضغينة"[٤].

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: **((أتدرون ما العَضْهُ؟)) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((نقل الحديث مِنْ بعض الناس إلى بعض؛ ليفسدوا بينهم))**[٥].

قال ابن حجر رحمه الله: "واختلف في الغيبة والنميمة هل هما متغايرتان أو متحدتان، والراجح التغاير وأن بينهما عموما وخصوصا وجهيا، وذلك لأن النميمة نقل حال الشخص لغيره على جهة الإفساد بغير رضاه، سواء كان بعلمه أم بغير علمه، والغيبة ذكره في غيبته بما لا يرضيه، فامتازت النميمة بقصد الإفساد، ولا يشترط ذلك في الغيبة، وامتازت الغيبة بكونها في غيبة المقول فيه، واشتركتا فيما عدا ذلك"[٦].

فالحاصل أن الغيبة والنميمة ويؤديان إلى نفس الخطر، وضررهما واحد فكلاهما

الحديث: ٤٨٧٩) ص ٢٢٨.

[١] ابن جرير الطبري: الجامع في تأويل القرآن، مرجع سابق، ج ٢٣ ص ٥٣٤ .

[٢] عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ٤٤٦

[٣] المبارك بن محمد ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ص ٩٤٣.

[٤] عبد الرحمن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ٢٤٦/٢.

[٥] البخاري: الأدب المفرد، ج٢، (رقم الحديث: ٤٢٥) ص ١٤٧. وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة، ج٣، ص ٣٤٤

[٦] أحمد بن ابن حجر: فتح الباري، مرجع سابق، ج١٠، ص ٥٨١.

يسبب العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع المسلم، وهذا خلاف ما جاءت به شريعة الإسلام من تقوية ترابط المجتمع والحفاظ على وحدته وتماسكه وخلق روح المحبة والود والسلام بين أفراده فالغيبة والنميمة من الآفات الاجتماعية الكبيرة، وجرمهما عظيم، وقد وردت الأحاديث في التحذير منهما، وبيان خطورتها على الفرد والمجتمع، فعن حذيفة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **((لا يدخل الجنة قَتَّات))**[1].

وعن أسماء بنت يزيد قالت: قال النبي ﷺ: **((ألا أخبركم بخياركم؟)). قالوا: بلى. قال: ((الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللّه، أَفَلا أُخْبِرُكم بِشِرَارِكم؟)). قالوا: بَلَى. قال: ((المَشَّاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبّة الباغون البُرَآء العَنَتَ))** [2].

دواعي الغيبة والنميمة:

الباعث على الغيبة النميمة "إما إرادة السوء للمحكي عنه، وإما إظهار الحب للمحكي له، أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل" [3].

حكم سماع الغيبة والنميمة:

وكلُّ مَنْ حُمِلت إليه نميمة وقيل له: قال فيك فلان كذا لزمه ستة أمور:

"الأول: أن لا يصدقه؛ لأن النَّمامَ فاسقٌ، وهو مردود الخبر.

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبّح فعله.

الثالث: أن يبغضَه في اللّه تعالى، فإنه بغيض عند اللّه تعالى، والبغضُ في اللّه تعالى واجب"[4].

الرابع: أن لا يظنّ بالمنقول عنه السوء لقول اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ (الحجرات: ١٢).

الخامس: "أن لا يحملَه ما حُكي له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك، قال اللّه تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ (الحجرات: ١٢). وأن لا يرضى لنفسه ما نهى النمّامَ عنه فلا

---

[1] البخاري: الجامع الصحيح، ج٧، (رقم الحديث:٥٧٠٩) ص٨٩..

[2] البخاري: الأدب المفرد، ج١، (رقم الحديث: ٣٢٣) ص ١١٥ - وحسنه الألباني: صحيح الأدب المفرد، ص ١٣٣.

[3] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج٣ ص١٣٩.

[4] يحيى بن شرف النووي: الأذكار، المكتبة الثقافية ، بيروت، ص ٥٣٩.

يحكي نميمته[1].

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن الغيبة، وشبه المغتاب بأنه يأكل لحم أخيه ميتاً، وهذا شر تشبيه لزيادة التنفير منها، والابتعاد عنها قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (سورة الحجرات: ١٢).

فيجب على المربين النهي عن الغيبة والنميمة والتنفير منها أشد التنفير، وإبعاد النشء عنها بكل الطرق والوسائل المتاحة لهم، وتبيين خطرها وأضررها على الفرد والمجتمع، وتبيين عقوبتها الدنيوية والأخروية، وتعويد المتربين منذ الصغر على الكلام الطيب في غيبة زملائهم أو إخوانهم، وعدم السماح لهم بنقل الكلام على وجه الإفساد فإن ذلك يشجعهم على التعود على هذه الصفات، ويستحسنوا ممارستها، ويجب عدم استخدام الأطفال من قبل أبائهم أو من قبل مربيهم في التجسس ونقل الكلام، أو استخدامهم بالمراقبة السرية فإن ذلك يعودهم على ممارسة هذه الصفات، فتشكل شخصياتهم عند الكبر، وتصبح صفات ملازمة لهم يصعب التخلص منها.

٤- التعدي على الناس والغلظة والجلافة:

قال تعالى ﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ (سورة القلم : ١٢) المعتدي الذي "يتعدى على الخلق في ظلمهم، في الدماء والأموال والأعراض و أَثِيمٍ أي: كثير الإثم والذنوب المتعلقة في حق الله تعالى، و﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ (سورة القلم: ١٣) أي: "غليظ شرس الخلق قاس غير منقاد للحق ﴿زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ أي: دعي، ليس له أصل و لا مادة ينتج منها الخير، بل أخلاقه أقبح الأخلاق، ولا يرجى منه فلاح، له زنمة أي: علامة في الشر، يعرف بها"[2].

يقول القرني في وصفه: "يعتدي على حقوق الله وحقوق خلقه، لا تردعه تقوى، كثير الأثام من خصام، وأكل حرام، وأذية أنام،... شديد في كفره قوي في مكره، ممعن في فجورة، فاحش في أفعاله لئيم خصاله، غير منسوب الأب، فلا مروءة، ولا حسب ولا شهامة، ولا أدب"[3].

---

[1] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ١٤٠/٣،

[2] عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم المنان، مرجع سابق، ص٤٤٠

[3] عائض القرني، التفسير الميسر، مرجع سابق، ص١١.

نهى الله في هذه الآية عن الاعتداء على الناس بالإثم، بغلظة وشراسة، وبالأخلاق القبيحة، وقد نفر الإسلام من هذه الصفات وحذر منها وجعلها علامة الشر الدائم وهدد من يتصف بها بأن الله سوف يجعل له علامة يعرف بها، قال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ (سورة القلم: ١٦) أي " سنجعل على أنفه علامة يعرف بها"[1].

ولذلك تجد الناس يفرون منه، ويمقتونه ولا تجد له قبول في الأرض لا بالقول ولا بالفعل، ولذلك مدح الله رسوله بالرحمة واللين وأنها سبب التفاف الناس حوله، ولو كان غليظ جواض لفر الناس من حوله ولم يكن له قبول ولا طاعة، ولم تنتشر دعوته في أنحاء الأرض قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران:١٥٩).

وقد بيّن رسول الله ﷺ أن أهل الجنة كل لين هين متواضع النفس وأن أهل النار كل عتل شرس الطباع غليظ الخلق، قال ﷺ: ((**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**))[2].

فيجب تعليم النشء اللين والرحمة والابتعاد عن الغلظة والجلافة في القول أو الفعل، فالرحمة من صفات رسول الله والذين أمنوا معه، فمدحهم الله بتلك الصفات الحسنة، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ (الفتح: ٢٩)، يقول السعدي: أي: "جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون، قال تعالى: ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: ٢٩)،أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه،

---

[1] أبي بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، مرجع سابق، ص١٦٦٣.

[2] صحيح البخاري ،ج٦،(رقم الحديث:٤٥٣٧) ص ٢١٨- وصحيح مسلم، ج٨،(رقم الحديث:٥٠٩٢)، ص٤.

هذه معاملتهم مع الخلق، وأما معاملتهم مع الخالق فإنك تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا[1].

ووصف المؤمنين أن سيماهم في وجوههم أي: "هو السمت الحسن والخشوع والتواضع[2]. وهذا من التكريم لهم، أما الغليظ الجواض فتوعده بسيما ولكن على الأنف لإذلاله قال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ (سورة القلم: ١٦).

٥- الغضب والاستعجال.

لقد نهى الله سبحانه وتعالى عن العجلة والغضب ومشابهة نبيه يونس عليه السلام في ذلك، لأن يونس عليه السلام عجل عن أمر الله وذهب مغاضبا، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾، (سورة القلم: ٤٨)، "إن الله تعالى يعزي نبيه ﷺ ويأمره بالصبر ولا يعجل كما عجل صاحب الحوت" [3]. ولأن العجلة والغضب تستحق اللوم والعتاب ففي قول تعالى: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ (الصافات: ١٤٢)، أي: "فاعل ما يلام عليه والظاهر أن عجلته ومغاضبته لقومه وخروجه من بين أظهرهم قبل أن يأمره الله بذلك، ظنّ أنّ الله لا يقدر عليه، أي: يضيق عليه في بطن الحوت"[4]. فالله يأمر بالصبر وينهى عن العجلة قال في آية أخرى ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (سورة الأحقاف:٣٥) فعجلة نبي الله يونس عليه السلام أوقعته في الظلمات في بطن الحوت وفي أعماق البحر، وأخرجته من كونه من أولي العزم من الرسل.

فكم من غضب وعجلة أوقعت صاحبها في غياهب السجون، وظلمات الذل والمهانة، وكم من عجلة أوقعت صاحبها في سجن الأسرة في المستشفيات،وعلى كراسي المعاقين بسبب الاستعجال والسرعة فدائماً يكون في العجلة الندامة، فهل يتعظ المعتبرون.

وقد نهى الرسول ﷺ عن الغضب وأخبر أن الشديد القوي المتماسك هو من يستطيع أن يملك نفسه ويتحكم بها عند الغضب، ولا يدع الشيطان والهوى يتحكمان به فيندم

---

[1] عبدالرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ٧٩٥ .

[2] البغوي، معالم التنْزيل، مرجع سابق، ج ٧ ص ٣٢٣) .

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القران،مرجع سابق، ج ١٨ ص ٢٥٣.

[4] عبدالرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن،مرجع سابق، ص ٥٢٩.

على غضبه، عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**))[1].

٦- الحسد:

قال الله تعالى في سورة القلم: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ (القلم: ٥١) يقول ابن كثير "أي يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك"[2].

والحسد من الأمراض التي تصيب القلوب وهو من أخطرها وهو من الأمراض الاجتماعية الفتاكة، فساده على النفس كبير، وشره على المجتمع مستطير، ووباله خسران مبين، فهو باب لتمزيق العلاقات الاجتماعية، وتفتيت الصداقات وأواصر المحبّة والصلات بين الناس، ودافع للشحناء والبغضاء.

وكل الصفات المذمومة التي حذرت منها السورة من أول أسبابها الحسد، فهو "أول ذنب عصي الله به في السماء وأول ذنب عصي به سبحانه في الأرض، فحسد إبليس آدم وحسد قابيل هابيل والحاسد ممقوت، مبغوض مطرود، ملعون"[3].

والحسد: هو "تمني زوال النعمة من المنعم عليه"[4].

أقسام الحسد:

ينقسم الحسد من حيث الجواز وعدمه إلى قسمين:

أن يكره نعمة الغير ويحب زوالها مطلقاً، وهذا هو الحسد الممنوع، الذي ورد النّهي عنه، فعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً**))[5].

أن لا يحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن يشتهي لنفسه مثلها. وهذه

---

[1] صحيح البخاري: ج٥، (رقم الحديث:٥٦٤٩) ص ٧٢ - وصحيح مسلم، ج٦، (رقم الحديث: ٤٧٢٣) ص١٩.

[2] ابن كثير، تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ج٤ ص٣٦٩.

[3] محمد متولي الشعراوي، الحسد، المكتبة العصرية، ١٤٢٩هـ، ص١٢.

[4] أحمد بن حجر: فتح الباري، مرجع سابق، ٢١٩/١.

[5] صحيح البخاري: ج٧، (رقم الحديث: ٤٨٤٩)ص٩ - وصحيح مسلم، ج٦، (رقم الحديث ٢٥٦٣) ص٤١٤.

تسمى غبطة، وقد تختص باسم المنافسة[1]، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة، فإن كان في الطاعة فهو محمود، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (المطففين: ٢٦) وإن كان في المعصية فهو مذموم، وإن كان في الجائزات فهو مباح[2].

دوافع الحسد:

للحسد **دوافع كثيرة ومن أهمها:**

١- العداوة والبغضاء، وهذا أشد أسباب الحسد، فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه، أبغضه قلبه وغضب عليه، ورسخ في نفسه الحقد والحسد.

ذكر الماوردي أن من دواعي الحسد "بغض المحسود أن يأسى عليه بفضيلة تظهر، أو منقبة تشكر، فيثير حسدا قد خامر بغضاً، وهذا النوع لا يكون عاماً، وإن كان أضرها، لأنه لا يبغض كل الناس"[3].

٢- التعزز: وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره، فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علماً أو مالاً خاف أن يتكبر عليه، وهو لا يطيق تكبره، ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه. وليس من غرضه أن يتكبر، بل غرضه أن يدفع كبره، فإنه قد رضي بمساواته مثلا، ولكن لا يرضي بالترفع عليه.

٣- الخوف من فوت المقاصد: "وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، فإن كلّ واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده، ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الإخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال، وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ، وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى المال والجاه..." [4].

---

[1] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ١٧١/٣.

[2] أحمد بن: فتح الباري، مرجع سابق، ٢١٩/١.

[3] أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، دار الفكر، بيروت، ص: ٢٦١.

[4] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق: ٢ /١٩٢.

٤- حب التميز والرياسة: وطلب الجاه لنفسه من غير توصل إلى مقصود، وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر، وفريد العصر في فنه، وأنه لا نظير له، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك، وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه المنزلة، من شجاعة أو علم أو عبادة، أو صناعة أو جمال أو ثروة، أو غير ذلك مما يتفرد هو به، ويفرح بسبب تفرده.[١].

٥- خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى: فإنك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال، إذا وُصِف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه، وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به، فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده...هذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس، ورذالة في الطبع، عليه وقعت الجبلة، ومعالجته شديدة؛ لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة يتصور زوالها، فيطمع في إزالتها، وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته؛ إذ يستحيل في العادة إزالته.

٦- عدم العدالة بين الأبناء أو المتربين: "كتفضيل بعضهم على بعض لأسباب عاطفية بعيدة عن الإنصاف، فيؤدي ذلك إلى التحاسد بينهم، أو كتفضيل بعض الرؤساء في العمل لبعض الأفراد دون بقية زملائهم، لعلاقات خاصة أو مصالح شخصية لا تصلح معيارا للتفضيل، فيحصل الحسد والبغضاء والشحناء"[٢].

والحسد ممقوت مذموم في الشريعة الإسلامية، وهو من صفات إبليس وأعوانه، ومن صفات اليهود والكافرين الذين منعهم حسدهم من الإيمان بالله وتصديق الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ (النساء: ٥٤).

بل أنهم ودوا لو أن المسلمين يتركوا الإيمان حسد منهم أن يصيبهم الله بفضله ونعمته، وخوفا من أن يكون المؤمنين فوقهم في المنزلة عند الله جل وعلا في الدنيا

---

[١] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق: ١٩٢/٢.

[٢] خالد بن حامد الحازمي: مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، مرجع سابق، ص: ١٠٩.

والآخرة قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (البقرة: ١٠٩) .

فيجب على المربين تحري العدل بين المتربين سواء في البيت أو المدرسة، سواء في العطايا أو المعاملة، بالقول أو بالفعل، وذلك أحرى أن يتسرب إلى قلوبهم الحسد والعداوة وبالبغضاء، فيجب تقوية أصر المحبة بينهم والعمل على تقويتها، وتعليمهم المنافسة الشريفة التي تكون بالخير بدون مقت ولا بغض، ويجب عليهم تحذير الناس من مغبة الحسد، وانه شر عظيم وعاقبته شديدة في الدنيا والآخرة، فيجب توطيد النفس على حب الخير لناس، وإفشاء المحبة بينهم.

ومما يعين على ترك الحسد الدعاء بسلامة القلوب منه قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾(الحشر: ١٠).

وقد أمر الله رسول بالتعوذ بالله رب القلق من شر كل حاسد حاقد، استحوذ عليه الشيطان وأظله عن الطريق المستقيم وأدخل إلى قلبه أحب الصفات إليه، وهي صفة الحسد تمني زوال نعمة الله التي أنعمها على عبادة قال تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ (سورة الفلق: ١ - ٥)

فالحسد أخطر الأمراض التي تصيب القلوب فتدمرها، وتشقي صاحبها، وتجعله مهموم مغموم مما يصيب عباد الله من الخير والرحمة، فلا يهدأ له بال ولا يرتاح له خاطر كلما رأى نعمة من نعم الله تتنزل على من حوله من الناس، وود لو يستطيع فيمسكها ويمنع نزولها، وهو من مصائد الشيطان للإنسان، لأنه صفته الدائمة وذنبه الذي أخرج به من الجنة وطرد من رحمة الله بسببه، فيجب الحذر من أن يتسرب إلى القلوب فيمرضها، وإلى المجتمعات فيمزقها، فيصبح صاحبه في شقاء وتعاسة، والعياذ بالله من شر كل ذي شر ومن شر حاسد إذا حسد، والله أعلم، ، ، ، ، .

المبحث الثاني

المضامين الاجتماعية في سورة القلم

تمهيد

عرفنا أن سورة القلم من أوائل السور نزولا، ولذلك ركزت تركيزا واضحا، على إعداد المجتمع المسلم إعدادا جيدا، ففي بداية السورة نبهت بضرورة العلم وأهميته في تربية المجتمع، فأقسم الله بأدواته القلم والكتاب، وذلك في إشارة إلى ما عليه المجتمع المكي من الأمية والجهل.

كما حذرت الرسول صلى الله عليه من مداهنة المشركين، أو طاعتهم في بعض أمورهم وذلك كي ترسم للمجتمع المسلم خصائصه ومميزاته التي تختلف عن غيرها من المجتمعات، كما أنبهت إلى ضرورة انتزاع الأخلاق السيئة التي كان عليه المجتمع، فحذرت من طاعة أصحاب بعض الصفات السيئة، وهي بالحقيقة أخطر الصفات على الإطلاق التي تفكك أواصر المجتمع، وتمزق ترابطه، ولذلك حذر الله منها ومن أصحابها، فقال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (سورة القلم:١٠- ١٥).

كما بينت أهمية الرفقة الصالحة، وأهمية بذل الخير للفقراء والمساكين، وذلك في قصة أصحاب الجنة، الذين أجمعوا أمرهم على منع المساكين من ثمر جنتهم، فعاقبهم الله بإحراقها، فلم يستفيدوا منها لا في النفقة والأجر، ولا في ثمرها وحصادها.

وهذا ما سوف يتناوله الباحث في هذا المبحث وذلك من مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم التربية الاجتماعية وأهميتها

المطلب الأول: التربية الاجتماعية في سورة القلم

المطلب الأول

مفهوم التربية الاجتماعية وأهميتها

تمهيد:

يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته: "إن الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع، أي لا بدّ له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران"[1]. فالإنسان لابد أن يعيش في جماعة يأخذ منهم العادات والتقاليد، ويستفيد من خبراتهم في الحياة، كما أنه يتعاون معهم في تحقيق مصالحهم المشتركة، التي تعينه على تحصيل قوت يومه وغذاء فكره ومساعدته على مواجهة صعوبات الحياة، كما أنه يشاركهم في الأفراح والأحزان، لذلك لابد أن يكون الإنسان مهيأ لتعايش السليم مع مجتمعه، تعايشا خاليا من التعقيد والاضطراب النفسي، أو العزلة والانطواء، أو التمرد والنقمة على المجتمع، وهذا الذي اهتمت به التربية الإسلامية منذ بزوغ نور الوحي، وحتى ترسية قواعد النظام الإسلامي وإنشاء الدولة الإسلامية.

وسوف يتناول الباحث هذا المطلب من عدة محاور:

١- **مفهوم التربية الاجتماعية**

٢- **أهمية التربية الاجتماعية**

٣- **التربية الاجتماعية في الإسلام**

وذلك على النحو التالي:

أولاً: مفهوم التربية الاجتماعية:

يطلق اصطلاح التربية الاجتماعية على "التربية التي تساعد على إعداد الأفراد ليستطيعوا المساهمة في نشاط المجتمع مساهمة فعالة".[2].

وقيل: "نموّ الخبرات الاجتماعية، والتعايش مع الجماعة، ومعرفة قواعد وعادات الجماعة، ما تحرّمه وما تستحبه، وما توجبه على أفرادها، وأساليب السلوك

---

(١) عبدالرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ، ص٣٥

(٢) موسى أبو حوسة: قراءة في التربية الاجتماعية الإسلامية، المجلة الثقافية، العدد(٢٥) ص ٩٧ .

والمجتمع"[1].

وقيل: نموّ التصوّرات الاجتماعية والأفكار والأهداف المشتركة التي تنعكس في نفوس الأفراد نتيجة المشاركة في المناسبات الاجتماعية، كالأعياد والعبادات، ومظاهر الحياة بمختلف جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والحربية[2].

وقيل: هي "تأديب الولد منذ نعومة أظفاره على التزام آداب اجتماعية فاضلة، وأصول نفسية نبيلة، تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة، والشعور الإيماني العميق، ليظهر الولد في المجتمع على خير ما يظهر به، من حسن التعامل، والأدب، والاتزان، والعقل الناضج، والتصرّف الحكيم"[3].

ثانياً: أهمّية التربية الاجتماعية:

لا شكّ أنّ مسؤولية التربية الاجتماعية من أهمّ المسؤوليات في إعداد الولد لدى المربّين والآباء، بل هي حصيلة كل جانب من جوانب التربية، سواء كان ذلك الجانب إيماني أو تعبّدي أو علمي أو عقلي أو خلقي أو اجتماعي أو اقتصادي، لكونها الظاهرة السلوكيّة والوجدانيّة التي تربّي الولد على أداء الحقوق، والتزام الآداب، والرقابة الاجتماعية، والاتزان العقلي، وحسن السياسة والتعامل مع الآخرين.

ومن الثابت تجربة وواقعاً أنّ سلامة المجتمع وقوّة بنيانه وتماسكه مرتبطتان بسلامة أفراده وإعدادهم، ومن هنا كانت عناية الإسلام بتربية الأولاد اجتماعيّاً وسلوكيّاً. وإنّ الباحث المطّلع على نصوص هذا الدين الحنيف من قرآن كريم وحديث شريف ليدهش من غزارتها واستيعابها وشمولها ودقتها، إذ لم تدع جانباً من جوانب الحياة الاجتماعية إلا تناولته، وقالت كلمتها فيها.

وممّا يبرز لنا أهميّة التربية الاجتماعية أهميّة الحياة الاجتماعيّة للفرد، ويتجلّى ذلك فيما يلي:

١- تحقيق كثير من حاجات الإنسان الأوّلية التي لا تتمّ إلا بتعاون اجتماعي لتوفير الغذاء والمأوى.

---

(٢) عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص١١٩.

(٣) عماد محمد عطية: التربية الإسلامية، مصادرها وتطبيقاتها، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥هـ، ص٥٢.

(٤) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، القاهرة، ط٤، ١٤٢٦هـ، ٣٥٧/١.

٢- إشباع رغبات الفرد في الراحة والفرح والسعادة التي لا تكون إلا في روح جماعيّة، كالأعياد والأفراح والمناسبات.

٣- سعادة تكوين الأصدقاء واللقاء بهم، وعمليّات تجديد الصداقة، وإبداء أرائه وأفكاره عن طريق السماع والمحادثة مع الآخرين.

٤- تعلّم مهارات وخبرات وتجارب سلوكيّة عن طريق لقاء الآخرين اقتداءً وتقليداً، وإيحاءً ومناقشة.

٥- المساعدة في معرفة الإنسان نفسه عن طريق الاختلاط بغيره مقارنةً وتجاوباً.

٦- معاونة الآخرين له عن طريق حلّ مشكلاته بالمشورة والمعونة.

٧- الشعور بالعزّة والقوّة عندما يدرك الفرد أنّه عضو في جماعة.

٨- طمأنينة الفرد بالأمن النفسي نتيجة للأمن الجماعي الذي يحميه ويدافع عنه، واكتساب الإنسان القيمة الروحيّة والخُلقيّة عن طريق الجماعة ومؤسّساتها المختلفة[1].

هذا من أهمية وجود الحياة الاجتماعية للفرد، فهو لا يستطيع ان يعيش بدون مجتمع، فإذا لم يكن معد بتربية اجتماعية سليمة كان من الصعب التعايش مع هذا المجتمع، وبالتالي لا يستطيع تحقيق هذه الحاجات فتفوته بذلك كثير من الفرص، وتصبح حياته خالية من السعادة والألفة.

كما إن عدم تهيئته لتعايش مع مجتمعه بسلام ومحبة، سوف يولد لديه ردت فعل خطيرة، فقد يصاب ببعض الأمراض النفسية مثل الانطواء والتعقيد، أو قد تتحول ردة الفعل إلى الانتقام والسخط على مجتمعه، فقد يتحول إلى مجرم خطير، أو إرهابيا متطرف خارجا عن جماعة المسلمين، وهذا ما يبرز أهمية التربية الاجتماعية السليمة وأنها من الضروريات التي يجب التركيز عليها.

فعلى المربّين أن يُشمّروا عن ساعد الجدّ والعزيمة، ليقوموا بمسؤوليتهم الكبرى في التربية الاجتماعية على وجهها الصحيح، عسى أن يساهموا في بناء مجتمع إسلامي أفضل تقوم ركائزه على الإيمان والأخلاق والتربية الاجتماعيّة الفاضلة والقيم الإسلاميّة الرفيعة.

---

(١) عبد الحميد الهاشمي: الرسول العربي المربّي، مرجع سابق، ص٣٥٨.

ثالثاً: الحياة الاجتماعية في الإسلام:

كانت الإنسانية، قبل طلوع وبزوغ، فجر الإسلام تتعثر بين وحشية ضارية، وهمجية عائمة، واستبداد مروع، وكانت ترتكز على عقائد باطله، وتقاليد وعادات بالية غير صحيحة، وكان الجهل و الجمود و الاضطهاد و الاستعباد، واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان من سنة الحياة التي كانت منتشرة، فحيثما سرت في الأرض وجد طغاة ومستبدون، وكذلك وجدت الرؤساء الذين لا يؤمنون بحق الشعوب في الأمن و الحرية و الحياة، وهناك الأباطرة و الرؤساء الذين يعبثون في الأرض فسادا بالغزو و النهب و الاستعمار الهدام.

"فكانت هناك إمبراطورية الفرس بعقائدها الوثنية، ونظمها الاستعمارية القمعية، وسياستها المتعسفة الفاشلة، وحكامها الطغاة المتجبرين، وفي الجانب الأخر من نفس ذاك الزمان إمبراطورية الروم الشرقية تثير الرعب و الفزع في الأرض وتثير الفساد و وتصنع المحن لشعوب، وكانت الحرب مستمرة بين الطرفين، ويصلى بنهارها رعاياها الحائرون المفزعون، لقد كانت الأرض مملوءة بالشقاء و الحزن و الظلم و البؤس، ولم تجد حكمة الحكماء و لا الفلاسفة دواء لهذا الداء، ولا خلاص من هذا الهلاك، لأن الحكم كان حكم شهوه، و السيادة كانت الظلال، والحق كان للقوة و المال النفوذ، و الرأي الصائب دائما هو رأي الحاكم و الرئيس"[1].

أما في جزيرة العرب فلم تكن الحياة أقل سوء فقد كان هناك الجهل والأمية، والعادات المحرمة من وأد البنات واحتقار الأنثى وتوريث الزوجات وقتل الأبناء، إضافة إلى العبادات الدينية الفاسدة، من عبادة الأصنام والأوثان والأنصاب والأزلام، وكان بعضهم يعبد الكواكب والشمس، ومنهم الصابئة وعبدت النار "المجوسية، وكانت قد عرفت هذه الديانة عن طريق الفرس في الحيرة واليمن، كما انتشرت الزندقة بين صفوف سكان شبه الجزيرة في الحيرة. وبعض العرب أعتنق الديانات السماوية مثل اليهودية والنصرانية.

أما الأخلاق فكما بينت لنا السورة وجود بعض الأخلاق الفاسدة، التي كان عليها

(١) محمد عبد المنعم خفافجي: الإسلام والحضارة الإنسانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص٩٧.

بعض أفراد ذلك المجتمع، من الغيبة والنميمة ومنع الخير والظلم والعنجهية، والبطر واحتقار الناس والافتخار بكثرة المال والولد.

فجاء نور الإسلام وأحدث نقلة نوعية عظيمة، فأزال الظلام، ونشر العدل وساوى بين الناس، وحارب الظلم وكل الصفات السيئة، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (سورة الحجرات: ١٣).

ويقول سيد قطب: "كانت النقلة عظيمة بين الشرك بالله وتعدد الأرباب ، وعبادة الملائكة وتماثيلها، والتعبد للجن وأرواحها، وسائر هذه التصورات المضطربة المفككة التي تتألف منها العقيدة الجاهلية، وبين الصورة الباهرة التي يرسمها القرآن للذات الإلهية الواحدة وعظمتها وقدرتها، وتعلق إرادتها بكل مخلوق .

كذلك كانت النقلة عظيمة بين الطبقية السائدة في الجزيرة ، والكهانة السائدة في ديانتها، واختصاص طبقات بالذات بالسيادة والشرف وسدانة الكعبة والقيام بينها وبين العرب الآخرين، وبين البساطة والمساواة أمام الله والاتصال المباشر بينه وبين عباده كما جاء بها القرآن .

ومثلها كانت النقلة بين الأخلاق السائدة في الجاهلية والأخلاق التي جاء القرآن يبشر بها، وجاء محمد ﷺ يدعو إليها ويمثلها"[1].

إن التربية الاجتماعية في الإسلام تُكَوِّن موضوعا من أهم موضوعات التربية الإسلامية ذلك أن الإنسان اجتماعي بطبعه بحكم خلق الله تعالى له، "فطبيعة رسالة الإسلام طبيعة اجتماعية، وطبيعة جبلة الإنسان اجتماعية، فلا عجب إذن أن يركز الإسلام على تنمية العادات الاجتماعية السليمة في الفرد وعلى أن يغرس في شعوره وفي لا شعوره أنه في أسرة، وأنه في مجتمع، وأنه إنسان في عالم البشرية الواسع[2].

فقد ساوى الدين الإسلامي من الناحية الاجتماعية بين المسلمين كافة وأعطاهم نفس الحقوق وفرض عليهم نفس الواجبات ولم يسمح بأي تمييز بين مسلم عربي ومسلم أعجمي إلا بالتقوى..

وحرص الإسلام على العناية بترابط المجتمع عن طريق الصلوات الخمس وعند طريق

---

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن: مرجع سابق، ج ٧ ص ٢٨٤ .

[2] إسحاق أحمد فرحان: التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الفرقان، عمان، ط٣، ١٤٠٤هـ ص٧٤

الحج وعن طريق الزكاة ، ونشر الخير ، والترابط بين المسلمين يميزهم عن باقي الشعوب و الحضارات الأخرى، فالذي ينظر في جميع الأوامر والنواهي الإسلامية يجد أنها تحقق غرض الترابط الاجتماعي، فلا يكاد يوجد أمر بشعيرة من شعائر الإسلام إلا وهي تقوي الترابط الاجتماعي، ولا يكاد يخلو أمر نهى الله عنه إلا وهو يفكك أواصر الترابط الاجتماعي.

وحرص الإسلام أيضا على العناية بترابط الأسرة ورعايتها وحدد القران الكريم واجبات كل فرد في الأسرة وشدد على احترام الوالدين، وعلى مسؤولية الرجل في البيت وإشرافه على شؤون أسرته، وبين حقوق الأبناء والزوجة والنفقة والرضاعة والإرث والزواج والطلاق، ولا يكاد يترك أمر من أمور الأسرة ألا تناوله بالتفصيل، وذلك حتى تكون العلاقة الأسرية علاقة متينة واضح بعيدة عن الخلافات والنزعات.

و"أما المرآة فتمتعت بقسط كبير من الحرية، وكان من حقها اختيار زوجها، وطلب الطلاق منه وكذلك حقها في استثمار أموالها الخاصة، وحدد الشرع نصيبها من الميراث، وكان لها دور كبير في بناء المجتمع بل اعتمد عليها المجتمع اعتماد كليا في نشأت الأجيال القادمة من هذه الحضارة"[1].

أما العلاقات العامة بين أفراد المجتمع فقد بينها القران الكريم فحث على التآخي والوحدة والتمسك بحبل الله، وترك التفرقة والعداوة والبغضاء قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٣).

فبين الله حق المسلم على المسلم وحق الجار وحق الضيف وحق الصديق، وبين العلاقة بين الراعي والرعية وبين المسلم مع غير المسلم، وبين البيوع والعقود والشراكة التجارية والتعاملات، والحدود والعقوبات، ولم يدع أمر من أمور المجتمع إلا نظمها وحددها حتى يكون لناس مرجع ودستور يرجعون إليه عند الاختلاف، ويسيرون علي نهجه وطريقته، فيحفظ لهم دمائهم وأموالهم حتى يعيشوا بسلام ويحيوا حياة سعيدة منظمة مستقرة.

(١) محمد عبدالمنعم خفاجي، الإسلام و الحضارة الإنسانية، مرجع سابق، ص١١٠.

المطلب الثاني

التربية الاجتماعية في سورة القلم

تمهيد

ركزت سورة القلم تركيزا واضحا على إعداد المجتمع المسلم، لأنها نزلت في أول الوحي حيث كانت الحياة السائدة مفككة، تسودها معتقدات باطلة وعادات فاسدة، وأخلاق سيئة عملت على تمزيق ذلك المجتمع وتفكيكه، فكان لابد من انتزاع هذه الصفات من المجتمع، وإقناع الناس بصدق رسالة محمد ﷺ، وهذا أول بذرة غرسها الإسلام لتكوين المجتمع المسلم، وهو أهم غرض تناولته سورة القلم، فمن هذا المنطلق سوف يتناولها الباحث التربية الاجتماعية المتضمن في سورة القلم من عدة محاور وهي:

أولاً: التربية الاجتماعية في سورة القلم.

ثانياً: التضامن الاجتماعي.

ثالثاً: النهي عن المداهنة.

رابعاً: أهمية القرين.

أولاً: الترابط الاجتماعية في سورة القلم:

أقسم الله في بداية السورة بالقلم والكتاب وهي أدواة العلم والمعرفة، وذلك تعظيما وتشريفا لها، وفي هذا إشارة لذلك المجتمع بأنه ينقصه شيء عظيم وهو العلم، حيث كان مجتمع أمي لا يقرأ ولا يكتب، وليس له كتاب ولا نظام يسير عليه بل يتصرف بعنجهية وظلم، ويتبع ما تمليه عليه الأهواء وشهوات النفوس، ولذلك انتقدهم الله في وسط السورة بعدم وجود كتاب يأخذون منه شريعتهم، ويسيرون عليه، قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (سورة القلم: ٣٧- ٣٨)، فلو كان لهم كتاب يستمدون منه المعارف والعلوم، لما قالوا على الله بغير علم، أنه سوف يساوي بينهم وبين المسلمين في الجزاء والحساب.

فقد بينت سورة القلم للمجتمع المسلم المنهج الذي يجب أن يسيروا عليه، والأخلاق التي يجب أن يقتدوا بها، وهي أخلاق الرسول ﷺ حيث مدحه وأثنى عليه، أمر المسلمين باتخاذه قدوة لهم، وهذا يعتبر التطبيق العملي الواقعي لما جاء به القران من أخلاق وتعليمات، والذي أمرهم بإفراد العبادة لله وحده لا شرك له وأن يتركوا عبادة الأصنام

والأوثان، فيعبدوه وحده لا شرك له، وفق منهجه الذي رسمه لهم وفي ذلك تحقيق وحدة المعتقد ووحدة المنهج، بدل تعدد الآلة التي يعبدون من دون الله على حسب أهواءهم وفكرهم كل فرقة بما لديهم فرحون، فوحدة العقيدة هي وحدة المجتمع قال تعالى في دعوة يوسف عليه السلام:﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾(يوسف:٣٩)

ثم نهى الله سبحانه وتعالى عن أخطر الصفات الخلقية على المجتمع، وهي الغيبة والنميمة، وكثرة الحلف، ومنع الخير، وسوء الخلق العتل الغليظ المشهور بالشر، كما نهى عن البخل ومنع الفقراء والمساكين من أموال النفقة، وذم في نهاية السورة صفة الحسد، وهذه الصفات قد تناولها الباحث في المبحث الأول من هذا الفصل، وهي صفات خلقية، ولكنها تعتبر صفات اجتماعية أيضاً فتأثيرها على المجتمع أكبر وأخطر من تأثيرها على الفرد، وهذا ما يتضح من أثرها على الترابط الاجتماعي الذي سوف أبينه على النحو التالي:

أثر كثرة الحلف على الترابط الاجتماعي:

إن الذي يكثر الحلف يسبب له المهانة والذل، ويتجرأ على الحلف بالله كذبا، فيضعف الوازع الديني والرادع الداخلي، وقد جعلت الشريعة الإسلامية اليمين على المنكر في حالة عدم وجود بينة لدى المدعي، فإذا كان جرئ على الله باليمين الكاذب ضاعت الحقوق، واضطرب المجتمع.

كما أنّ الذي يحلف كاذب يغش الناس في معاملاتهم في البيوع وغيرها، لأن لمسلم مأمور بتصديق من حلف بالله، وهذا يسبب عدم الثقة بين أفراد المجتمع ويقلل من تعظيم اليمين عند العامة، وهذا ما وقع به آدم عليه السلام حيث حلف له إبليس أنه له من الناصحين للأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها فصدقه وأكل منها فعصى ربه فغوى ثم تاب عليه وهدى قال تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ (سورة الأعراف:٢١). وقد نهى الرسول ﷺ عن الحلف في التجارة والبيع والشراء قال ﷺ: ((مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ))[1]

[1] البخاري: الجامع الصحيح، ج٨، (رقم الحديث: ٢١٨٥) ص ١٧٢.

أثر النميمة على الترابط الاجتماعي:

النميمة لها مضار كثيرة، وآثار اجتماعية شنيعة، حيث إن نقل الكلام بين الناس بقصد الإفساد بينهم قد يتسبب في الفصل بين زوجين أو تشتيت أسرة مستقرة، أو إيجاد البغضاء بين الوالد وأولاده، أو بين الأخ وأخيه، أو بين الجار وجاره، أو بين الرئيس ومرؤوسه، أو بين الشيخ وتلميذه...الخ، "وهي من الأمراض الاجتماعية التي تعدّ مصدر الفرقة بعد الألفة، والبغضاء بعد المحبة، والعداوة بعد المسالمة، فبها تقطع العلاقات وتمزق أواصر الصلة، وتجلب لصاحبها العناء وكره الناس له"[1].

أثر الغلظة والقسوة على الترابط الاجتماعي:

ورد في السورة النهي عن الغلظة والقسوة والجلافة، فتأثيرها على المجتمع كبير لأن من يتصف بها يصعب التعامل والتعايش معه، ويصعب مرافقته ويصعب مناصحته، ويصعب توجيهه فبعنجهيته يرى نفسه المحق دائما ويرى رأيه هو الصواب، وبالتالي لا يمكن له أن يأخذ خبرات غيره ولا يعطي غيره ما عنده من خبرة، فيصبح منغلق على نفسه ممقوت منبوذ من الناس فيفوته الخير الكثير.

والمجتمع الذي يتصف بالعنجهية والغلظة تجده متنافر متباغض كل يسعى لمصلحة نفسه دون النظر بحقوق الآخرين والإحسان إليهم، ودون العيش بود وسلام ومع المجتمع المحيط به، وهذا يسبب التباغض والتنافر. ولذلك نهى الله عن هذه الصفات وحذر منها.

أثر الحسد على الترابط الاجتماعي:

للحسد آثاره الاجتماعية الخطيرة؛ "لأنه يشعل نار البغضاء، ويرفع راية العداوة بين الأقرباء والأصدقاء، ويمنع المساعدة والمعاونة بين الحاسد والمحسود، ويأكل قلب الحاسد حتى يحيله إلى إنسان قاسي القلب، شرس الطبع، يبغى لغيره السوء ويكره له الخير"[2].

ويعدّ الحسد من أسباب التمزق الاجتماعي؛ "إذ قد يدفع الحاسدَ قوةُ حسده وفورانُ غضبه إلى محاولة إزالة النعمة عن المحسود، فيرتكب في سبيلها الجرائم بالقول أو الفعل أو بهما معا، كما أنه أحد دوافع النميمة والغيبة في المحسود؛ إذ الحاسد يغتاب المحسود حتى يقلل من شأنه، كما أنه يؤدي إلى التباغض والشحناء نتيجة ما يكنه

---

[1] خالد بن حامد الحازمي: مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، مرجع سابق، ص: ٢٨.

[2] حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٢هـ ص ٨٤.

الحاسد للمحسود من حقد دفين"[1].

ثانياً: التضامن الاجتماعي :

في قصة أصحاب الجنة التي وردة في السورة يتبين ضرورة التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع الغني والفقير، وذلك بدفع أموال الصدقة وإعطاء الفقراء والمساكين من أموال الله التي جعلها لدى الأغنياء، فأصحاب الجنة أرادوا منع المساكين من ثمر جنتهم، فدمرها الله عليهم وأحرقها فطاف عليه طائف وهم نائمون فأصبحت كالصريم، وما كان ذلك العقاب إلا لعظم الذنب الذي اقترفوه، ولشدة خطورته وتأثيره على المجتمع، فاستئثار الأغنياء بالأموال يسبب تكدسها لديهم ويسبب العوز والفقر لدى المساكين، وبالتالي يتعالى الأغنياء ويحقد عليهم الفقراء، وهذا يسبب تفكك المجتمع وتنافره وتباغضه.

وهذا نفس السبب الذي جعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه يخوض حرب ضد المرتدين الذين منعوا الزكاة، وقاتلهم قتالا عنيفا، وسميت حربهم بحرب الردة.

فلولا علمه بأهمية هذا الأمر لتماسك المجتمع لما حاربهم عليه وقدم حربهم على حرب الكفار من الفرس والروم، فلم يُسير الجيوش للفتوحات حتى أرسى القواعد الأساسية لضمان وحدة المجتمع، ومنها إخراج الزكاة، التي تقوى العلاقة بين أفراده وتزيل الحواجز وتدفع التنافر والتباغض.

فيجب على المربين تعويد أبناءهم على الإنفاق وبذل الخير، ومساعدة المحتاجين والإيثار على أنفسهم، ويجب حض الأغنياء على أداء زكاة أموالهم والإنفاق في سبيل الله، وذلك لضمان حياة اجتماعية متكافلة ومتزنة، خالية من المشكلات والأزمات الاجتماعية والاقتصادية.

ولذلك تجد الأمم الكافرة الغربية يهرعون لمساعدة المحتاجين والمتضررين، في أعمال خيرية تطوعية، ومكافحة الفقر ومحاربة الأمراض كما يزعمون، وهم يعملون ذلك ليس دينا ولا حبا لتلك الشعوب، فتاريخهم حافل باستغلال الشعوب واستعمارهم وقتلهم بدون رحمة، وسلب خيراتهم، ولكنهم يفعلون ذلك لأنهم علموا بالتجارب انه لا يمكن أن يعيشوا بسلام وأمان، إلا إذا عملوا على مساعدة المحتاجين والفقراء.

---

[1] خالد بن حامد الحازمي: مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، مرجع سابق، ص ١١١.

أما نحن كمسلمين فديننا أمر في أول عهده بالإنفاق وإخراج الزكاة من أموال الأغنياء وتعطى للفقراء، ويعتبر ذلك دين يتقرب به إلى الله جل وعلا، يأجر فاعله ويعاقب تاركة، إضافة إلى ما يقصده الغرب من تماسك المجتمع وترابطه وحل المشكلات الاجتماعية التي قد تسبب الأزمات والاضطرابات التي لا يمكن السيطرة عليها، إذا أهملت هذه الشعيرة الإسلامية.

ثالثاً: النهي عن المداهنة:

المداهنة أو المجاملة ضرب من النفاق والملق "وحقيقة الدهان إظهار المقاربة مع الاعتقاد بالعداوة فان كانت المقاربة بالدين فهي المداهنة، وان كانت مع سلامة الدين فهي المدارة أي المدافعة"[1].

وفي سورة القلم إشارة إلى هذا الخلق القبيح في قوله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (سورة القلم: ٩) حيث أن المشركين طمعوا في مداهنة المسلمين لهم "ان يوافقهم الرسول ﷺ على بعض ما هم عليه، إما بالقول أو الفعل أو السكوت عما يتعين الكلام فيه"[2].

يقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآية: "فهي المساومة إذن، والالتقاء في منتصف الطريق، كما يفعلون التجارة، وفرق بين الاعتقاد والتجارة كبير فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شيء منها لأن الصغير منها كالكبير، بل ليس في العقيدة صغير وكبير. وإنها حقيقة واحدة متكاملة الأجزاء. لا يطيع فيها صاحبها أحد، ولا يتخلى عن شيء منها أبدا، وما كان يمكن أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق، ولا يلتقيا في أي طريق، وذلك حال الإسلام مع الجاهلية في أي زمان ومكان، جاهلية الأمس وجاهلية اليوم، وجاهلية الغد كلها سواء، الهوة بينها وبين الإسلام لا تعبر، ولا تقام عليها قنطرة، ولا تقبل قسمة ولا صلة" [3].

والمداهنة في القران الكريم وردت في مواضع أخرى وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾﴾ (الواقعة: ٨١) أي: "تريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا إليهم"[4].

---

[1] محمد بن العربي: أحكام القران، تحقيق علي البجاوي، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ص٦٤ ١٣٧٧هـ.

[2] عبدالرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص٨٧٩.

[3] سيد قطب: ، في ظلال القران، مرجع سابق، ٥ / ٢٩٤ .

[4] ابن كثير: تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ٢٩٩/٤.

وهم ما أرادوا من مداهنتهم للمسلمين ألا لتحقيق مصالحهم الذاتية، فهم بالحقيقة يتمنون لو يردوا المسلمين عن دينهم ويجعلونهم كفارا مثلهم، فنهى الله عن موالاتهم وطاعتهم، قال تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾(سورة النساء: ٨٩).

رابعاً: أهمية القرين:

ورد بيان أهمية القرين في سورة القلم وذلك بنهى الله جل وعلا رسوله عن طاعة المكذبين وأصحاب بعض الصفات السيئة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة القلم: ١٠)، والنهي عن طاعتهم نهي عن مصاحبتهم لأن القرين بالمقارن يقتدي، ولذلك بين الله حال قرناء السوء يوم القيمة، فيوم يندم المرء على طاعتهم، والاقتداء بهم قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأحزاب:٦٨).

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفرقان: ٢٧ – ٢٩).

أما من رفض طاعة قرين السوء فقد فاز يوم القيمة بجنات النعيم ولذلك ذكر الله لنا بعض الحوار الذي سوف يكون بين بعض القرناء قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الصافات: ٥٠ – ٦٠).

وكما بيّنت قصة أصحاب الجنة ما للقرين من تأثير على قرنائه، فهؤلاء الإخوة أحدهم كان صالحا ووصفه الله بأنه أوسطهم، فقد نصحهم من قبل أن يعزموا على منع المساكين ثمر جنتهم، ولكن لم يستمعوا لنصحه، وعندما وقع عليهم العذاب ذكرهم بنصائح لهم، ونفعهم ذلك بأن تابوا وسبحوا الله واعترفوا بذنبهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (سورة القلم: ٢٨- ٣٢).

فللقرين والصديق أثر كبير في تربية الفرد في المجتمع، حيث انّه كما قيل في المثل (الصاحب ساحب)، فإذا ما كان الملازم صالحاً كان من لازمه صالحاً أيضاً، والعكس صحيح، إن كان فاسداً فكذلك الملازم له يكون كذلك غالباً.

ولبيان أن القرين يؤثر في قرينه أنه يحدث بين قرناء السوء خلاف وعداوة يوم القيامة لأنه يعلم أن قرينه هو سبب غوايته وظلاله عن الحق فقد تأثر به واقتدى بأثره ولذلك تحدث بينهم الخصومة يوم القيمة قال تعالى في هذا: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (سورة الزخرف: ٦٧).

قال الطبري رحمه الله : "المتخالُّون يوم تقوم الساعة على معاصي الله في الدنيا بعضهم لبعض عدوٌّ يتبرّآ بعضهم من بعض، إلا الذين كانوا تخالُّوا فيها على تقوى الله"[1].

وقال القرطبي رحمه الله: "الأخلاّء يوم القيامة يعادي بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، إلا المتّقين، فإنّهم أخلاّء في الدنيا والآخرة"[2].

من خلال النظر في الآيات السابقة وتفسير علماء المسلمين لها نرى أنّ من العوامل الهامّة في تكوين الولد إيمانيّاً ونفسيّاً، وإعداده خُلقيّاً واجتماعيّاً، ربط الولد منذ نعومة أظفاره بالصحبة المؤمنة الصالحة، ليكتسب منها ما يُنمّي شخصيته من علم نافع، وأدب سامٍ، وأخلاق قويمة.

ومن الأمور التي ينبغي على المربّي أن يلحظها ويهتمّ بها ربط الولد بأربعة أصناف من الأصحاب:

١- صحبة البيت، من إخوة وقرابة، وصحبة الحيّ، من أولاد حيّه وجيرانه في المسكن الذي يقطن فيه، وفي الحيّ الذي يقيم فيه ويترعرع في أحضانه.

٣- صحبة المسجد، من أولاد سنّه الذين اعتادوا صلاة الجماعة والجمعة وحضور الدروس في المسجد الكائن في حيّهم.

٤- صحبة المدرسة أو العمل، من أولاد في صفّه أو سنّه في المدرسة التي يتعلّم منها وينتمي إليها، أو العمل الذي يعمل فيه ويتكسّب منه وينتمي إليه.

---

[1] ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القران، مرجع سابق، ٦٣٩/٢٠.

[2] أبو عبد الله القرطبي: الجامع لأحكام القران، مرجع سابق، ١٠٩/١٦.

وحينما يتعاون ويتضافر توجيه البيت مع الربط بالصحبة الصالحة، سواء أكانت صحبة مدرسة أو عمل أو حيّ أو مسجد، فلا شكّ أن الولد ينصلح حاله، ويستقيم أمره، وتتكامل شخصيته، ويظلّ دائماً على العهد والاستقامة والأخلاق.

وقد قال الرسول ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يُحذيَكَ، أو تشتري منه، أو تجد منه ريحاً طيّبة، ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك، أو تجد من ريحاً منتنة»[(١)].

وللقرين والملازم والصاحب والصديق الصالح صفات من أهمها ما يلي[(٢)]:

١- الحبّ في الله، فقد قال ﷺ: «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما، وأن يحبّ المرء لا يُحبّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار»[(٣)].

٢- لا يقاطع إخوانه ولا يهجرهم، فقد قال ﷺ: «لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيّام، يلتقيان، فيُعرض هذا ويُعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[(٤)].

٣- أن يكون سمحاً عفوّاً عن إخوانه، قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٤).

٤- أن يلقى إخوانه بوجه طليق وأن يكون رفيق رحيما بهم، يساعدهم ويقف معهم في وقت الشدة ،قال تعالى:﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (سورة المائدة:٥٤).

٦- أن لا يغتاب إخوانه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (سورة الحجرات: ١٢).

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، رقم الحديث (٢١٠١). ومسلم: صحيح مسلم، رقم الحديث (٢٦٢٨).

(٢) محمّد الهاشمي: شخصيّة المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنّة، ط،٤دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٠هـ، ص١٣٨ بتصرف.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، رقم الحديث (١٦). ورواه مسلم: صحيح مسلم، رقم الحديث (٤٣).

(٤) البخاري: الجامع الصحيح، رقم الحديث (٦٢٣٧). ومسلم: صحيح مسلم، رقم الحديث (٢٥٦٠).

٧- أن يكون كريم يؤثر إخوانه على نفسه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (سورة الحشر: ٩).

الفصل الخامس
الأساليب التربوية المستنبطة من سورة القلم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : أسلوب التربية بالقدوة الحسنة.

المبحث الثاني : أسلوب التربية بالقصة.

المبحث الثالث : أسلوب التربية بالترغيب والترهيب.

المبحث الرابع : أسلوب التربية بالحوار.

الفصل الخامس

الأساليب التربوية الواردة بالسورة

تمهيد:

يتميز المنهج التربوي الإسلامي بأساليبه المتعددة والمتنوعة بحسب مناسبتها لتحقيق الغرض المنشود منها، "على أنها تتكامل فيما بينها لتناسب كل المواقف التربوية وتتكيف حسب الأغراض المطلوبة"(١). "فنجاح العملية التربوية يعود إلى كيفية استخدم المربّي لهذه الأساليب التربوية المتنوعة، ومدى قدرته على تفعيلها وتوظيفها لتهيئة النفوس وتربيتها، وإلى حسن الاستفادة منها في المواقف التربوية المختلفة"(٢).

"وتأتي أساليب التربية الإسلامية على صور متنوعة ومختلفة لاستمالة قلوب المتربين فتؤثر في نفوسهم، وتدفعهم إلى التزام السلوك الخيّر، إذ لو أنها أتت على صورة واحدة لكانت عديمة الفائدة وقليلة الأثر"(٣).

ومن ثم واستناداً إلى تنوع أساليب التربية الإسلامية وتعددها، فإنه يجب على المربِّي أن يختار منها ما يراه مناسباً لطبيعة المتربّي، ومؤثراً في نفسه مما يدفعه إلى التفاعل السليم مع توجيه التربية الإسلامية وإرشاداتها.

وقد حفلت سورة القلم بالعديد من الأساليب التربوية المتنوعة، والتي تؤدي بمجموعها إلى تحقيق الأهداف التربوية بشكل فعّال ومثمر وهي:

- أسلوب القدوة .
- أسلوب القصة.
- أسلوب الترغيب والترهيب.
- أسلوب الحوار.

---

(١) محمد منير مرسى: أصول التربية وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠م، ص ١٤٩.

(٢) صالح بن علي الشهري: مقدمة في التربية الإسلامية، الدار الصولتية للتربية، الرياض، ١٤٢٤هـ، ص ٧١.

(٣) خليل بن عبد الله الحدري: التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها: رسالة ماجستير منشورة قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ، ص ١٩٧.

وسوف يقوم الباحث باستخراج هذه الأساليب من سورة القلم، وأن يلقي الضوء على كل أسلوب منها بشيء من التفصيل، قبل هذا لابد من معرفة معنى الأساليب:

معنى الأساليب:

قبل أن نذكر الأساليب الواردة بالسورة لا بد إن نعرج على المقصود من الأساليب

الأسلوب في اللغة:

يعرفه علماء اللغة "كل طريق ممتد فهو أسلوب.. والأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب."[1].

واصطلاحاً:

يعرف أبو العينين الأسلوب التربوي بقوله: " الأسلوب التربوي هو الإجراء المحدد لنقل المعلومات أو المعارف أو المهارات أو الاتجاهات والقيم بهدف تحقيق هدف تربوي مرغوب فيه"[2].

ويعرف يالجن مصطلح أساليب التربية الإسلامية بقوله: "مجموعة الطرق المعينة على تحقيق مقاصد هذه التربية في المجالات المختلفة"[3].

ويعرفها الحازمي: بأنها الطرق التربويّة التي يستخدمها المربّي لتنشئة المتربّين التنشئة الصالحة[4].

وبالتالي فإن الأساليب هي الطريقة التي يمكن من خلالها إيصال المعلومة للمتلقي بسهولة، بحيث أنها ترسخ في ذهنه لأطول فترة، فلاختلاف مدى الاستيعاب لدى المتلقين، فإنه لا بد من تنوع أساليب إيصال المعلومات لهم، وهذا هو منهج القران الكريم، فنجد سورة القلم مع قصرها، ألا أنها تحتوي على مجموعة من الأساليب التربوية، المتداخلة مع بعضهاإلى حد ما، وهذا أحرى بأن يصل المراد إلى عامة البشر.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج ١ ص ٤٧٣.

[2] علي مصطفى خليل أبو العينين: القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ، ص ١٣٠.

[3] مقداد يالجن: مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، دار عالم الكتاب، ط١، الرياض، ١٤١٩هـ، ص: ١٣٣.

(٢) خالد الحازمي : أصول التربة الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٧٥.

المبحث الأول

أسلوب التربية بالقدوة الحسنة

تمثل القدوة أهم مقومات النجاح في أي عملية تربوية، لأنها تمثل الواقع الحقيقي للمنهج الذي يراد التربية به، ولهذا كان أسلوب القدوة أنجح الأساليب التربوية، بل يتربع قمة الأساليب التربوية المؤثرة في العملية التربوية، حيث يترجم الكلمات إلى مواقف وأفعال، ويحول العبارات إلى سلوكيات وأخلاق، فتتربى النفوس من خلاله تربيه صحيحة مؤثرة، منطلقة من واقع محسوس، بعيداً عن المثاليات المجردة.

يقول قطب: "من السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل تخيل منهج وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول، ولكن هذا المنهج يظل حبراً على ورق... يظل معلقاً في الفضاء، ما لم يتحول إلى حقيقة واقعية تتحرك في واقع الأرض، ما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه، عندئذ يتحول المنهج إلي حقيقة... يتحول إلى حركة... يتحول إلى تاريخ، لكي يعرف الناس أنه حق، ثم يتبعوه"[1].

وسورة القلم ركزت على أسلوب الاقتداء وذلك بعرضها بعض نماذج التي يمكن أن يقتدى بها، ففي بداية السورة عرضت لنا أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وهو قدوة لجميع المسلمين، كما عرضت لنا قصة أصحاب الجنة وكيف أن الكفار شابهوهم في حالهم ومقالهم، كما نهت الرسول ﷺ من الاقتدى بيونس عليه السلام في عدم صبره واستعجاله أمر الله.

من هنا سوف يتناول الباحث أسلوب القدوة من المحاور التالية:

المطلب الأول : مفهوم القدوة .

المطلب الثاني: أسلوب القدوة في سورة القلم .

المطلب الثالث: أهمية أسلوب القدوة آثارها التربوية.

ويتضح ذلك على النحو التالي:

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشرق، القاهرة، ١٤١٥هـ ١/١٨٠.

المطلب الأول

مفهوم القدوة

تعريف القدوة في اللغة:

القدوة هي الأسوة، وتأتي في اللغة بالكسر والضم ويراد بها " الاقتداء بالغير ومتابعته والتأسي به "[1]. قال ابن منظور: " يقال: قِدْوَة وقُدْوَة لما يقتدى به، والقُدْوَة والقِدْوة: الأسوة "[2].

تعريف القدوة في الاصطلاح:

عرفها أبو لاوي بقوله: "المراد بالقدوة في إطار التربية الإسلامية: إحداث تغيير في سلوك الفرد في الاتجاه المرغوب فيه عن طريق القدوة الصالحة، وذلك بأن يتخذ شخصاً أو أكثر يتحقق فيهم الصلاح ليتشبه ويأخذ عنهم سلوكه، وأن يهيئ له أشخاصاً صالحين ليكونوا له موضع قدوة، ويجنبه الأشخاص السيئين لئلا يقتدى بهم"[3].

كما عرفها الحدري تعريفاً أشمل - كما يراه الباحث- بأنها: " مثال من الكمال النسبي المنشود، يثير في النفس الإعجاب، فتنجذب إليه انجذاباً شديداً، وتتأثر به تأثراً عميقاً، يرسخ فيها القناعة التامة به، والحب الكامل له"[4].

---

[1] محمد عبد الرؤوف المناوي، : التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار المفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠هـ، ٥٧٧/١،.

[2] ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ١٧١/١٥،

[3] أمين أبو لاوي، أصول التربية الإسلامية، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٩ هـ، ص: ١٧٣.

[4] خليل بن عبد الله الحدري، : التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها، رسالة ماجستير منشورة، مرجع سابق، ص: ٢٠٠.

المطلب الثاني

القدوة في سورة القلم

قد اشتملت سورة القلم على نموذجين من الناس يمكن الاقتدى بهم.

النموذج الأول: أصحاب الصفات العليا والأخلاق العظيمة متمثلا بالرسول ﷺ فهو صاحب الأخلاق العظيمة قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم: ٤) فهو قدوة كل مسلم يجب اتباعه والسير على نهجه وسيرته. يقول ابن حزم "من أراد خير الآخرة وحكمة الدنيا وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها واستحقاق الفضائل بأسرها فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ وليستعمل أخلاقه سيرته ما أمكنه"[(١)].

النموذج الثاني: أصحاب الصفات التي نهت الآيات عن طاعة من اتصف بها من الكذب وكثرة الحلف والغيبة والنميمة والاعتداء والكبر والبخل قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ (القلم: ١٠ - ١١)، وكما نهت الآيات عن الاستعجال والغضب وعدم الصبر، فقد نهت عن الاقتداء بصاحب الحوت قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ (القلم: ٤٨) أي لا تفعل مثل فعله وهو العجلة والغضب.

ولذلك يمكن تقسيم القدوة على وجه العموم إلى نوعين رئيسيين كما يلي:

النوع الأول: القدوة الحسنة

القدوة الحسنة "هي المثال الواقعي للسلوك الخلقي الأمثل وهذا المثال قد يكون مثالاً حسياً مشاهداً ملموساً يقتدى به، وقد يكون مثالاً حاضراً في الذهن بأخباره وسيره، وصورة مرتسمة في النفس بما أثر عنه من سير، وقصص، ومن أنباء، وأقوال وأفعال"[(٢)]. وكلما كانت القدوة صالحة تتخذ من الإسلام منهجاً وسلوكاً كلما ارتقت في سلم الكمال البشري لتكون مثالاً، وواقعاً حقيقياً يمثل السلوك الخلقي الأمثل الذي ينبغي التأسي به.

وانطلاقاً من هذا يمكن تقسيم القدوة الحسنة الصالحة إلى قسمين:

---

(١) علي ابن أحمد ابن حزم، الأخلاق والسير، تحقيق د. الطاهر أحمد مكي، مصر دار المعارف، ١٩٨١م ص١٠٩.

(٢) عبد الرحمن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ص: ٢٠٣.

القسم الأول: القدوة المطلقة: وهي التي بلغت منتهى الكمال البشري ويتمثل في الإقتداء بالنبي ﷺ في أقواله وأفعاله وسيرته، لأنه عليه الصلاة والسلام قد بلغ منتهى العصمة والكمال البشري، فلا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فعلى قوله تقاس الأقوال، وعلى فعله تقاس الأفعال، أمتاز عن غيره من البشر بعظم خلقه قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم: ٤)، لذا كان قدوة حسنة لمن كان يريد النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢١). "أي قدوة صالحة تقتدون به ﷺ في القتال والثبات في مواطنه"[1]. فيجب قراءة سيرته، واتباع سنته، ومعرفة أخلاقه وتعاملاته مع أصحابه وأعداءه، ومع زوجاته والآل بيته، ومع الناس جميعا في إقامته وسفره، فأنه هدى ونور يستضاء به ﷺ.

القسم الثاني: القدوة المقيدة: وهي التي تُتّبع ويقتدى بها في المعروف ليس إلاّ، "ويدخل في هذا النوع الإقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم، والإقتداء بالعلماء الربانيين، والإقتداء بالوالدين، والإقتداء بالمعلم. فهؤلاء وغيرهم ليسوا معصومين من الخطأ، فهم بشر يصيبون ويخطئون، والمسلم يروض نفسه على الإتباع في الحق، وترك الإتباع في الباطل[2].

إن الأسوة الحسنة ليست فقط للإتباع والتأسي في العبادات والطاعات وتلقين العلم، بل هي أعظم أسلوب أخلاقي وتربوي لغرس وتنمية وتفعيل وتشريب القيم والمبادئ الحسنة في نفس المتربي، فالمتربي يتشرب العادات والأخلاق التي يتمثل بها الأسوة الحسنة من تعاون واضح ومحبة وألفة وطيب معاملة وتناصح وتواصي بالبر والتقوى بين الأسوة الحسنة والمتأسي به، بالإضافة إلى تَشَرُّب أخلاق الصبر والأناة والتحمل والنظر بعين الشفقة والرحمة في تعامل من يتأسى به مع من حوله، وهكذا فإن المتأسي يتأثر ولو بشيء قليل من هذه الصفات والأخلاق وأصول التعامل والتربية مع المتربين .

---

(١) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير للجزائري، مرجع سابق، ج ٣ / ص ٢٨٠.

[2] الحدري: التربية الوقائية في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

النوع الثاني: القدوة السيئة:

وهي عكس القدوة الحسنة تماماً، فهي تعني " المتابعة والسير على خلاف ما جاءت به الشريعة الإسلامية "[1]. قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (القلم: ٨) وقال: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾ (القلم: ١٠ – ١٢) فالله تعالى نهى عن طاعة أصحاب هذه الصفات "والنهي عن طاعة المرء نهي عن التشبه به فلا يطاع الكذاب الحلاف ولا يعمل بمثل عمله فالأخلاق مكتسبة بالمعاشرة: ففيه تحذير عن اكتساب شي من أخلاقهم بالمخالطة لهم، فليأخذ حذره، فإنه محتاج إلى مخالطتهم لأجل دعوتهم إلى الله تعالى"[2] وهذا النوع قد جاء النهي والتحذير من الإقتداء بمن كان يتصف به،قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (الحشر: ١٩)، وقد ذم الله التقليد الأعمى، والاقتداء بالآباء الذين كانوا على ظلال أو خطأ قال سبحانه واصفاً حال الكفار في اقتدائهم بآبائهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ (البقرة: ١٧٠). "تضمنت هذه الآية الكريمة تسفيه رأي الكفار وبيان شدة ضلالهم في تقليدهم آباءهم هذا التقليد الأعمى"[3].

وقد ورد نظير هذا كثير في القران الكريم، فقد انتقد سبحانه وتعالى كفار قريش، وذلك بسبب إصرارهم على الإقتداء بآبائهم الأولين بدون علم ولا هدى، فهذا الإقتداء الخاطئ هو السبب في امتناعهم عن قبل الحق، والإيمان بالله قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ (البقرة: ١٧٠) وكقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (المائدة: ١٠٤)

وفي هذا بيان لناس أن ليس كل ما عليه الآباء من عادات وتقاليد وعقيدة قد

---

[1] حسين بن علي العمري: بعض الأساليب التربوية المستنبطة من تعامل الرسول ﷺ لاسيما مع زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وآثارها التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ ، ص: ٩٩.

(٢) ابن تيميه، دقائق التفسير، مرجع سابق، ج٥ ص١٥ .

(٣) محمد أمين الشنقيطي، أضواء البيان، مرجع سابق، ج ٧ ص ٢٠٠ .

يكون صالحا، بل لابد من تمحيصه وتدقيقه وعرضه على كتاب الله وسنة رسولهﷺ وعلى العقل السليم الصحيح، فإن كان خيرا يأخذ به وإن كان شر فيترك.

وبين سبحانه وتعالى أن ما وجدوا عليه آباءهم من الكفر والضلال طريق من طرق الشيطان يدعوهم بسلوكها إلى عذاب السعير، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (لقمان:٢١).

وقال تعالى في عقوبة من أطاعوا كبراءهم طاعة عمياء بدون تمحيص، واقتدوا بهم فجزاءهم النار بما كفروا وضلوا عن سبيل الله: ﴿ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾ ﴾ (سورة الأحزاب: ٦٦)،

يقول السعدي: "فاكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هذا فآباؤهم أجهل الناس، وأشدهم ضلالاً وهذه شبهة لرد الحق واهية، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، فلو هدوا لرشدهم، وحسن قصدهم، لكان الحق هو القصد، ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره، تبين له الحق قطعا، واتبعه إن كان منصفا"[1].

ولا شك أن القدوة المقصودة في هذه الدراسة هي القدوة الحسنة الصالحة الملتزمة بمنهج الإسلام، والمتابعة للرسول ﷺ فيما جاء به عن ربه عز وجل.

(١) عبدالرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ٨١.

المطلب الثالث

أهمية أسلوب القدوة وآثارها التربوية

لقد أولى الإسلام جانب القدوة اهتماماً كبيراً لمالها من الدور العظيم في تشكيل الشخصية الإنسانية والتأثير البالغ في تعديل السلوك البشري، وذلك أن لسان الحال أفضل من لسان المقال. فالإنسان مهما كان استعداده للخير عظيماً وفطرته سليمةً نقية، فإنه لا يمكن أن يستجيب لنداء الخير ما لم ير مربيه وقدوته ومَثَله الذي يحتذي به في قمة الأخلاق الفاضلة والمثل العليا، إذ من السهل توجيه الفرد وتعريفه بمنهج الإسلام وتعاليمه ومبادئه ولكن من الصعب استجابته لذلك إذا رأى من يقوم بتوجيهه غير ملتزم به، يخالف قوله فعله، وهذا من أشد المخالفات التي مقتها الله عز وجل بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ ﴾ (الصف: ٢)، يقول قطب:

"من السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل تخيل منهج وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول، ولكن هذا المنهج يظل حبراً على ورق... يظل معلقاً في الفضاء، ما لم يتحول إلى حقيقة واقعية تتحرك في واقع الأرض، ما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه، عندئذ يتحول المنهج إلي حقيقة.. يتحول إلى حركة.. يتحول إلى تاريخ، لكي يعرف الناس أنه حق، ثم يتبعوه"[1].

ولذا كان اهتمام القرآن كبيراً ببيان القدوة المثلى التي ينبغي التأسي بها الذين يمثلون واقعاً حقيقياً للمنهج الرباني وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ، فقال سبحانه: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١ ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (الممتحنة: ٤). بل أمر الله عز وجل نبيه محمد ﷺ وهو المعصوم المؤيد بالوحي، والذي بلغ ذروة الكمال البشري، أمره الإقتداء بهدي الأنبياء قبله، فقال سبحانه في سورة الأنعام بعد أن ذكر ثمانية عشر نبياً: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾(الأنعام: ٩٠) وهذا يدل على عظم أثر القدوة في تشكيل الشخصية الإنسانية.

---

[1] محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ١/ ١٨٠.

ويرجع الميداني هذا التأثير إلى عدة أسباب ركز عليها الإسلام ومنها:

- "أن في فطرة الإنسان ميلاً قوياً للإقتداء.
- أن المثال الحي الذي يتحلى بجملة من الفضائل السلوكية، يعطي غيره قناعة بأن بلوغها من الأمور التي هي في متناول القدرات الإنسانية، وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال.
- أن المثال الحي المرتقي في درجات الكمال السلوكي، يثير في الأنفس الاستحسان والإعجاب "[1].

وانطلاقاً مما سبق فإن أحوج ما يحتاجه الولد هو أن يرى القدوة الحسنة فيمن حوله خاصة الوالدين والأخوة والمعلم، لأن في فطرة الإنسان نزعة التقليد والمحاكاة للآخرين وخاصة الأطفال الصغار، " فالطفل لابد له من قدوة حسنة في أسرته ووالديه لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية وينهج على نهجها الرفيع. والتلميذ في المدرسة لا بد له من قدوة حسنة يراها في كل معلم من معلميه ليقتنع حقاً بما يتعلمه، وليرى فعلاً أن ما يطلب منه من السلوك المثالي أمر واقعي ممكن التطبيق، وأن السعادة الحقيقية الواقعية لا تكون إلا في تطبيقه "[2].

ولا يخفى ما للقدوة من أثر عظيم على سلوك الأطفال، بل وفي عملية التربية والتعليم ككل، فالمعلم يمثل للطفل النموذج المثالي الذي يحاول محاكاته وتقليده والاقتداء به، ولهذا فقد كان السلف يحرصون على اختيار المعلم الذي يتولى تربية أبنائهم وتعليمهم، يقول عتبة بن أبي سفيان موصياً معلم أولاده: "ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت"[3]، فالمعلم يكون غالباً محل إعجاب وتقدير التلاميذ - وخاصة الصغار - ولهذا فهم يحاكونه ويقتدون به من حيث يشعرون أو لا يشعرون، يقول قطب: "قدرة الطفل على الالتقاط الواعي وغير الواعي كبيرة جداً أكبر مما نظن عادة، ونحن ننظر إليه على أنه كائن صغير لا يدرك ولا يعي!"[4].

---

[1] عبد الرحمن حبنكة الميداني، : أسس الحضارة الإسلامية، دار القلم، دمشق، ١٤٠٢هـ، ص: ٨٠.

[2] عبدالرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مرجع سابق، ص: ٢٥٧.

[3] محمد ابن سحنون: آداب المعلمين، مراجعة وتعليق: محمد العروسي المطوي، تونس، ١٣٩٢هـ، ص ٤٨.

[4] محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، مرجع سابق، ١١٧/٢.

الآثار التربوية لأسلوب القدوة:

للقدوة آثار تربوية عظيمة، من أهمها يقظة القلب وانشراح الصدر: فالاقتداء بالصالحين من أعظم عوامل صلاح القلب ويقظته وطرد الغفلة، ويتأتى ذلك من خلال التأثر بأخلاقهم وأفعالهم، وهذا ولا شك سبب من أهم أسباب انشراح الصدر.

اقتناع الناس وامتثالهم لما يدعو إليه الإنسان القدوة: وهذا نابع من محبة الناس للإنسان القدوة وامتثال ما يدعو إليه بارتياح ورحابة صدر، والاقتناع التام بما يطرحه ويدعو إليه.

القدوة الحسنة تولد الدافعية للإقبال على الصالحات وتكون سبباً للاجتهاد في الطاعات والبعد عن المعاصي والذنوب، والإقبال على الله عز وجل. لما لها من تأثير في نفوس الآخرين وحرصهم على التأسي به.

تربي القدوة الحسنة على حسن الأخلاق وطيب المعاشرة و التناصح والتعاون والتواصي بالبر والتقوى، والنظر إلي الآخرين بعين الرحمة والشفقة.

تمثل القدوة الحسنة أعظم ما يغرس القيم والمبادئ الحسنة بكفاءة وبفاعلية أكبر من أي أسلوب آخر وبطريقة غير مباشرة.

أنها سبب لمحبة الله عز وجل: وذلك عندما يكون الاقتداء بالقدوة الحسنة المطلقة المتمثلة في النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (آل عمران: ٣١). "فجعل الله اتباع نبيه محمد ﷺ علمًا لحبه، وعذاب من خالفه"[1].

الاقتداء بالنبي ﷺ سبب لحصول رحمة الله عز وجل، يقول الله عز وجل: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾ (الأعراف: ١٥٦- ١٥٧).

(١) محمد القرطبي، الجامع لأحكام القران، مرجع سابق ٦ / ٣٢٢.

المبحث الثاني
أسلوب التربية بالقصة

تمهيد:

القصة لها قدرة عظيمة في جذب النفوس، وحشد الحواس كلها للقاص، وهي أحدى الوسائل الناجحة لعرض المادة العلمية سهلة وواضحة، بإسلوب شيق وجذاب ولذا اعتنى القرآن الكريم بذكر القصص لِما فيها من تسلية النفس، وتقوية العزائم، وأخذ العِبر والاتعاظ، والتعليم بالقصص يشوق المتعلمين، ويشد انتباههم، ويؤثر في عواطفهم ووجدانهم، ويربطهم نفسياً بالمواقف التي يواجهونها، فيسعدوا لسعادتها ويحزنوا لحزنها، ولهذا نجد أن القصة الصادقة إذا وضعت في قالب عاطفي مؤثر تحرك الدوافع الخيرة لدى الإنسان، وتطرد النزعات الشريرة عنه؛ فهي تجعل المتلقي سامعاً أو قارئاً أو مشاهداً يتأثر بأحداثها ومواقفها، فيميل إلى الخير ويفعله، ويمتعض عن الشر ويجتنبه. وبذلك تؤدي القصة دوراً مفيداً في تربية النشء وحملهم على مكارم الأخلاق.

والقصص تمثل جزء كبير في القران الكريم لها خصائص ومميزات وأهداف تختلف عن غيرها من القصص، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (يوسف: ٣)، ومن أهم أهدافها أخذ العبرة من تلك القصص قال تعالى﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (يوسف: ١١١).

وقد وردت في سورة القلم قصتين تربويتين الأولى قصة أصحاب الجنة والثانية قصة نبي الله يونس عليه السلام، وسوف يقوم الباحث بتناول أسلوب القصة من عدة محاور:

المطلب الأول : مفهوم القصة.

المطلب الثاني: القصص في القران.

المطلب الثالث: القصة في سورة القلم.

المطلب الأول
مفهوم القصة

معنى القصّة في اللغة:

هي الخبر، و القَصَصُ، والقِصَص: جمع القَصّة التي تُكتب، والقَصص بالفتح: الخبر المقصوص وقصَّ علي خبره يقصه قصا: أورده[1].

ومنه "القص وهو تتبع الأثر، والقَصص: الأثر والقصص: الأخبار المتتبعة"[2].

واصطلاحاً:

عرف بعضهم القصة في الاصطلاح بأنها "تصور الحياة في فترة من فترتها بكل جزئيتها وملابستها وتفصيلاتها كما تمر في الزمن ممثلة في الحوادث الخارجية والمشاعر الداخلية"[3].

وقد عرفها بعضهم بأنها "حكاية نثرية عن أحداث سابقة فيها العبرة والعظات، تعرض في أسلوب بديع مشوق جذاب، تؤثر في النفوس وتهدي إلى الدين، وترشد إلى الحق، وتأمر بالفضائل وتنهى عن الرذائل"[4].

أما القصة التربوية فقد اختصرها الحازمي على القصة الحقيقية فقط فقال: "هي الخبر الصادق المنقول لفظاً أو كتابة،أما ما يختلق من أكاذيب ، فليس من الصدق في شيء وبالتالي، لا ينبغي نقلها أو استخدامها.[5].

أما القصة في القرآن الكريم فإنها تختلف عن غيرها من القصص، نظرًا لما فيها من خصائص تميزها عن غيرها؛ من صدقٍ في الواقعية التاريخية، وجاذبيةٍ في العرض والبيان، و شموليةٍ في الموضوع، وعلوٍ في الهدف، وتنوعٍ في المقصد والغرض، ووضوحٍ في

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ٧٤/٧.

[2] الحسن بن محمد الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن،دار الفكر، بيروت، ص (٦٧١).

(٣) محمود الشريف، القصة في القران، دار مكتبة الهلالي، بيروت، ص٢١ .

(٤) شمس العالم كبير، أساليب معالجة الأخطاء السلوكية من منظور الشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ، ص٢٩٧.

[5] خالد الحازمي: أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٨٩.

الإعجاز، وجاءت في القران بألفاظ كثيرةً منها القصص،والنبأ، والخبر، والمَثَل.

المطلب الثاني

القصص القرآني

لقد جاء القرآن الكريم داعيًا إلى الهداية والرشاد، بأساليبَ شتى ؛ فتارةً بالوعد والوعيد، وتارة بالإقناع العقلي، وتارة ثالثة بوخز الضمير والوجدان، ورابعةً بتوجيه الفطرة إلى حقيقتها، وخامسة بالإعجاز بشتى ألوانه، وأحياناً كثيرة: بأسلوب القصص، الذي هو أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان، وأكثر العوامل النفسية تأثيرًا فيه، وذلك لما في هذا الأسلوب من المحاكاة لحالة الإنسان نفسه، فتراه يعيش بكل كيانه في أحداث القصة، وكأنه أحد أفرادها، بل وكأنه هو بطل القصة أو الشاهد فيها، فيَرَى من خلالها كلٌ من الصالح والطالح ما في نفسه من أحاسيس، وما في خَلَده من أحاديث، وما يجري حوله من أحداث وحوار.. كل ذلك من خلال تجاوبه مع القصة.. فالقصة لا سيّما إن كانت بأسلوب شيِّق، وبيان رائق لها من التأثير والجاذبية مالا تبلغه أيُّ وسيلة أخرى من الوسائل الدعوية أو التعليمية أو التربوية، فكيف إذا كانت بأسلوب رباني معجز، له من الواقعية والصدق ودقة التصوير، ومِن السِمَاتِ ما ليس لغيره!! من هذا المنطلق سوف يتناول الباحث موضوع القصص القرآني من ثلاثة محاور وهي:

- أهمية القصة في القران.
- خصائص القصص القرآني.
- أهداف القصص القرآني.

ويتضح ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: أهمية القصة في القرآن الكريم:

القصّة ذات أهمّية كبرى في سرعة نفاذها، وقوّة تأثيرها، واستمرار أثرها، إذا ما قورنت بالكلام العادي المرسل؛ لأنّها تمثّل الحياة بكلّ معانيها، من نشاط وحركة وتفكير وانفعال ومواقف، كما أنّ الإنسان يميل بفطرته إلى سماع القصّة أو قراءتها أو روايتها.

والإسلام في نظامه التربوي النفسي يستخدم كلّ أسلوب تربويّ مشروع ليصل إلى نفوس الناس ومداركهم، والقصّة تمثّل إحدى هذه الأساليب الهامّة، والتي "تبرز أهميتها من التأثير العميق الذي تتركه في ذهن المستمع، أو القاري، وتتجاوز ذلك إلى التأثير في سلوكه وأفكاره"[1].

والقرآن الكريم يضمّ طائفة هي أحسن القصص الهادفة التي تضمّ إلى جمال الأسلوب قوّة العاطفة الحيّة، وصحّة الفكرة ووضوحها، "فالقصّة في التربية الإسلاميّة هي واقعيّة صادقة قائمة فعلاً في الوقت الحاضر، أو كان لها وجود حقيقيّ في التاريخ الصحيح الصادق، وهذا ما تنفرد به القصّة الإسلاميّة التربويّة عن غيرها الذي يعتمد القصص الخرافيّة أو الأساطير اليونانيّة"[2].

ومن أهمية القصة في القران الكريم ما يلي:

ورودها منسوبة إلى رب العزة والجلال في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ (يوسف: ٣). أي: "نذكر لك الأمر على ما كان عليه، كأنك تشاهد وكأنك حاضر"[3].

إن الله أمر الله رسوله ﷺ أن يقص على الناس ما أوحي إليه من القصص قال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ (الأعراف: ١٧٦) أي: "فاسرد أخبار القرون، فيكون ذلك عبرة لهم ورادعاً عن التكذيب وأن يكونوا أخباراً شنيعة تقصّ كما قصّ خبر ذلك المنسلخ"[4].

والقصة مَعلم بارز من مَعالم القرآن الكريم لتوضح الحقائق وإزالة الشبهات قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ (النمل: ٧٦).

إن القَصُّ بالمفهوم العام كان من مهمات الرسل عليهم الصلاة والسلام فهم أرسلوا كي يقصوا على الناس آيات الله حتى يعرفوا الحق من الباطل قال تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ (الأنعام: ١٣٠).

وحياة الأنبياء هي محور القصص، وهم موضع القدوة والأسوة قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ (الأنعام: ٩٠) ولذلك؛ "كانت القصة ولا تزال مدخلا

---

(١) خالد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٨٩ .

(٢) عبد الرب نواب، الدعوة إلى الله تعالى، دمشق، دار القلم، ١٤١٠هـ، ص: ١٤٤ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القران العظيم،مرجع سابق ٦ / ص ٢٢٠.

(٤) محمد بن يوسف بن حيان، تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ج ٥ / ص ٤٩٤.

طبيعيا يدخل منه أصحابُ الرسالاتِ والدعواتِ، والهداةُ، والقادةُ، إلى الناس وإلى عقولهم وقلوبهم، ليلقوا فيها بما يريدونهم عليه من آراءَ، ومعتقداتٍ، وأعمالٍ. ولقد أصبحت الفنون كلها اليوم من وراء القصة..." [1].

وقد اهتم الرسول ﷺ بالقصة كوسيلة تربوية، وجاء كثير من القصص في السنة فكان يورد لأصحابه قصص حدثت في الماضي بأسلوب تربوي شيق ، "فقد اهتمت السنة النبوية بأسلوب القصة، كوسيلة تربوية فعالة في التوجيه، والإرشاد والموعظة والعبرة بما جرى لأبطالها وركزت أيضا على القصص ذات التأثير الروحي والخلقي والاجتماعي والإنساني، مستهدفة غرس الخير والفضائل والقيم والمبادئ والمثل العليا في النفوس وترقية الوجدان وتهذيب السلوك فهي تدعو إلى الهداية والصلاح في الدارين"[2].

ثانياً: خصائص القصص القرآني:

يتميز القَصَص القرآنيّ عن غيره من سائر القصص بخصائص يعلو بها جلالةً وقداسةً، ويزداد بها بلاغة وإعجازًا، ويعظم بها أهمية وتأثيرًا، وبهذه الخصائص استحق أن يُوسَم بأحسن القصص في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ (يوسف: ٣). فمن تلك الخصائص:

١. الحقائق التاريخية: ونعني بها أن كل ما في قَصص القرآن الكريم من أخبار الأولين هي حقائق تاريخية صادقة لا يصادمها عقل، ولا يخالفها نقل،" وسواءٌ في تلك المصداقية ما كان من أخبار الأنبياء مع أقوامهم، وما كان من قبيل المعجزات وخوارق العادات، كانفلاق البحر وكلام الهدهد والنملة، وليس فيها أي نوع من التناقض أو الاختراع، ولا أي شكل من أشكال الخيال أو التصوير المجرد عن الحقيقة، ولا أي صورة من صور الرمز أو الإشارة"[3].

٢. الشمولية فقصص القرآن الكريم شاملة من عدة جهات[4]:

أ- "في حصر النفوس المخاطبة وطِباعها ووجهاتها ومكامن شعورها..

---

[1] عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار الفكر العربي القاهرة، ١٩٧٤م، ص: (٧).

(٢) عبدالحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، مرجع سابق ص ٢١٨.

[3] بدرية بنت العثمان، بلاغة القرآن الكريم، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ص: (١٠٥).

[4] عبد الرب نواب، الدعوة إلى الله تعالى، مرجع سابق، ص: (١٦٢) .

ب- في تنويع الأساليب والوسائل الملائمة لكل جنس وطبقة ولون..

ج- ومن حيث الزمن ؛ فالقصة تتحدث عن الماضي والحاضر والمستقبل".

د- من حيث شمولية موضوعاتها ؛ فكما أنك تجد في موضوعات القرآن الكريم شمولاً فكذلك تجد في قصص القرآن الكريم شمولاً لكل تلك الموضوعات، من عقائد وعبادات وأخلاق وآداب اجتماعية واقتصادية وسلطانية وغير ذلك.

٣. كونها هادفة: فالغاية الأولى من قصص القرآن الكريم هي تأملها وأخذ العبرة منها وتصحيح العقائد والأخلاق، حتى ينصلح الفرد والمجتمع، وليست الغاية قاصرةً على إمتاع النفوس بسماع قصص مسليِّة أو بطولات خيالية، أو إظهارَ براعة أدبية مجردة عن هدف الإصلاح ، كما هو الحال في عامة الفنِّ القصصي، وليست الغاية أيضا سردًا تاريخيًا جافا، كما هي مهمة المؤرخين، فالقرآن الكريم بكل ما فيه من قصص وغيرها هو كتاب هداية وعبرة بالدرجة الأولى، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (يوسف: ١١١).

٤. الإعجاز القصصي: إن القصة تمثل جزءًا كبيرًا من القرآن الكريم، وبالتالي فهي كسائر القرآن في كل خصائصه وسِمَاته العامة، ومن ذلك كونه معجزً ؛ فوجوه الإعجاز التي تجدها في سائر القرآن الكريم تجدها في القصص، لكن القصص يزيد على ذلك بوجوه أخرى من الإعجاز تميزه عن غيره.. فمن تلك الوجوه التكرار الهادف ؛ حيث تجد في كل موطن من العبر واللطائف والإشارات ما لا تجده في نفس القصة في موطن آخر، فليذلك "يعجز أي إنسان مهما أوتي من البيان عن التنويع في قصة واحدة بضروب من الفصاحة، دون أن تظهر عليه علامات الضعف أو الرِّكَّة أو التفكك أو التكلف. ومنها: إخباره عن قصص ماضية دارسة صدَّقها أهل الكتاب. ومنها: إخباره عن قصص مستقبلة غيبية.. منها ما صدقتها الأيام، ومنها ما سيقع"[1] وغير ذلك مما هو مبسوط في مظانِّه من كتب الإعجاز.

ثالثاً: أهداف القَصَص القرآنيّ:

"إن الهدف الأول من القصص القرآني لا يتجاوز المحور الأعظم لأهداف القرآن

[1] وهبة الزحلي، القصة القرآنية هداية وبيان، دار الخير، بيروت، ١٤١٣هـ، ص: (٥).

الكريم، ألا وهو كونه هداية للناس أجمعين فالقصة القرآنية تمثل جزءاً كبيراً من القرآن الكريم، وهي تتحد مع ما سواها مصدرًا وموضوعًا وغايةً"[1]، ولكن إذا ما أردنا شيئاً من التفصيل فإننا نستطيع أن نجمل أهداف القصص القرآني في النقاط التالية وذلك من خلال ما أشارت إليه آيات القرآن الكريم متفرقة في معرض حديثها عن قَصص متعددة:

١. تثبيت قلب النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ (هود:١٢٠) أي: "وكل أخبار نقصها عليك، من أنباء الرسل المتقدمين قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين، كل هذا مما نثبت به فؤادك يا محمد أي: قلبك، ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسْوةً"[2]، ففي أخبار المرسلين وتكذيب أقوامهم تسلية وتصبير لقلب النبي ﷺ وللمؤمنين والدعاة من بعده على ما يلقاه من أذى المشركين وتكذيبهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الأنعام: ٣٤).

٢. إثبات صدق النبي ﷺ في رسالته ؛ لأن دعوة الأنبياء واحدة ومنهجهم واحد، وبالتالي فإن النبي ﷺ لم يأتي بشيء جديد مبتدع على الفطرة البشرية، كما قال جل شأنه: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: ٩) وقال أيضاً: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (النحل: ٤٣). ومن وجه آخر؛ "حيث ينبئ النبي ﷺ بأخبار الأمم السابقة والقرون الساحقة مما لا يعلمه أحد من كتاب العرب فضلا عن أميٍّ مثلِهِ ﷺ"[3] وهذا ما أشار إليه الحق سبحانه وتعالى حين قال وهو يعرض قصص الأنبياء الواردة في سورة هود: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (سورة هود:٤٩) وأيضاً حين قال سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه ﷺ في سورة القصص بعد عرض شيق وطويل لنبأ موسى

---

[1] عبد الرب نواب، الدعوة إلى الله تعالى، مرجع سابق، ص: (١٥٨- ١٦٠).

(٢) ابن كثير، تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ٤ /٣٦٣.

(٣) وهبة الزحلي، القصة القرآنية هداية وبيان، مرجع سابق، ص ٢٣.

وفرعون: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (القصص: ٤٦) فإخباره بأمور حدثت في الماضي غير معلومة له ولقومه دليل على أنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى له من الله سبحانه وتعالى.

٣. الاعتبار والاتعاظ من خلال النظر في سنة الله النافذة في هذا الكون، فالعاقبة دائما للمتقين، والبوار والخزي دائماً على الظالمين، وما أكثر الآيات التي تأمرنا بالسير في الأرض للنظر والاعتبار من عواقب وآثار الماضين، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (يوسف: ١١١) أي: "تنبيهاً على أن حسن هذه القصة إنما كان بسبب أنه يحصل منها العبرة ومعرفة الحكمة والقدرة، والعبرة: التأمل والاتعاظ والاعتبار بأن نقيسَ أنفسنا على السابقين ممن قصَّ الله علينا نبأهم بالحق، فنعلمَ أنَّ سنة الله ماضية فينا كما خلت في الذين من قبلنا، إن خيراً فخير وإن شراً فشر"[(١)].

٤. تصحيح العقائد الفاسدة وتثبيت العقائد الصحيحة "ومحورها أمران: الإيمان بالله وحده، والإيمان بالبعث بعد الموت، وهذا ظاهر من خلال دعوات الرسل والأنبياء جميعاً لأقوامهم"[(٢)].

٥. تقويم الخلق والسلوك الفردي والجماعي، وتحقيق خلافة الإنسان في الأرض، وهذا ظاهر من خلال معالجة كل نبي لصفة معينة في قومه عدا الكفر كان يسعى لإصلاحها؛ "فالقصص يصوِّرُ مثلاً شناعة ما كان عليه قوم لوط.. وما كان عليه أهل مَدين.. وما كان عليه الطغاة والمفسدون من ظلم وجور ومنع للفقراء.. وتصوِّر أيضاً شناعة الحسد الذي حمل أحد ابني آدم على قتل أخيه.. وشناعة طبائع اليهود... وفي جانب آخر تصور ما كان عليه الأنبياء والصالحون من صبر وعدل وعطاء.. وكيف حقق سيدنا سليمان عليه السلام وغيره الخلافة في الأرض على أساس من

(١) محمد عمر الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ٩ / ١٣٠.

(٢) عبد ربه السيد الحافظ، بحوث في قصص القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٨٦.

العدل والخلق والاستقامة"[1]، وكما عالجت قصة أصحاب الجنة الواردة في سورة القلم ظاهرة البخل ومنع الخير ، وعالجت قصة صاحب الحوت الواردة بالسورة الاستعجال والغضب وعدم الصبر، وهكذا في جميع القصص الواردة بالقران الكريم.

وثمة أهداف أخرى كثيرة لمن تأملها من أولي الألباب، مثل التوكل على الله، لاسيما بالنسبة للدعاة والمصلحين، وانتهاج الأسوة الحسنة في الأنبياء، والتجمل بمكارم الأخلاق، وتعلم آداب الحوار، والجدال بالحسنى، وأساليب الدعوة إلى الله تعالى، وكيف يدخل الداعية إلى قلوب المدعوين، ومعرفة طبائع الناس عامةً عند كفرهم وإيمانهم، وطبائع أقوام بعينهم مثل بني إسرائيل، وكيفية التعامل معها، وتشخيص أمراض المنحرفين والمعاندين، وكيفية معالجتها، وغير ذلك.

هذا ما يتعلق بأهداف القصص القرآني عموماً، أما "إنْ أردنا تفصيلاً أكثر فإننا سنجد أنفسنا أمام بحر لا ساحل له ولا قرار، حيث إنَّ المتدبر لقصص القرآن الكريم واجدٌ في كل قصة، بل في كل آية، وفي كل كلمة والتفاتة قرآنية، من الأهداف والعبر والإشارات واللطائف.. ما تعجز عنه الألسن ولا تبلغ مداه الإفهام"[2]، وصدق الله العظيم إذ يقول مبيناً تلك الأهداف العظيمة من القصص: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ (يوسف: ١١١). وقوله تعالى لما ذكر قصة فرعون: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾ (النازعات: ٢٦)، "والاعتبار أنْ يقرن الشّيْءُ بِمِثْلِهِ فَيُعْلَمَ أَنَّ حُكْمَهُ مِثْلُ حُكْمِهِ أي أَنَّ مَنْ عَمِلَ مِثْلَ أَعْمَالِهِمْ جُوزِيَ مِثْلَ جَزَائِهِمْ ؛ لِيَحْذَرَ أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَ أَعْمَالِ الْكُفَّارِ ؛ وَلِيَرْغَبَ فِي أَنْ يَعْمَلَ مِثْلَ أَعْمَالِ الْمُؤْمِنِينَ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ"[3] وتأمَّلْ كيف جاء لفظ [عبرةٌ] منكرًا ليفيد الشمول والعموم؛ ففي قصصهم عبرة عن كل شيء، وفي كل شيء من قصصهم عبرة.. ولكنْ مَن يستخرجُ تلك الدرر والجواهر؟!!.. إلا من آتاه الله عقلا نيرًا وقلبًا مبصرًا.. ولذلك جعل العبرة في الآية السابقة قاصرة على أولي الألباب.

---

(١) عبد الرب نواب، الدعوة إلى الله تعالى، مرجع سابق، ص١٧٥.

(٢) وهبة الزحلي، القصة القرآنية، مرجع سابق، ص٣٦ .

(٣) ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، مرجع سابق، ج ٣ / ١٤٥.

المطلب الثالث

القصة في سورة القلم

احتوت سورة القلم على قصتين الأولى: قصة أصحاب الجنة، والثانية: قصة نبي الله يونس عليه السلام.

القصة الأولى: قصة أصحاب الجنة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ (القلم: ١٧) أي: "بلونا قريش كما بلونا أصحاب الجنة، وهذا مثل ضربه الله لكفار قريش، فيما أنعم به عليهم من إرسال الرسول العظيم الكريم إليهم، فقابلوه بالتكذيب والمخالفة"[١]..

وقصتهم كما يرويها بن كثير "أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن، كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء. وقيل من أهل الحبشة، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها، يرد فيها ما تحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل، فلما مات وورثه بنوه قالوا: لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئا للفقراء، ولو أنا منعناهم لتوفير ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء"[٢].

فيشبه الله سبحانه وتعالى بلاء قريش وهو إغداق النعيم عليهم بما ابتلي به أصحاب الجنة، بما أنعم عليهم بهذه الجنة من خير، ولكن سوء نيتهم وإضمارهم الشر كان سبب في حرمانهم منها، كذلك كفار قريش جحودهم لنعمة الله سيكون سبب في عقابهم، وإنما سيقت هذه القصة لكفار قريش وغيرهم ممن أنعم الله عليه من البشر

---

[١] محمد بن احمد الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، مرجع سابق، ص٢٥٨.

[٢] ابن كثير، تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ج٤ص٣٦٧.

لأخذ العظة والعبرة كي لا يصيبهم ما أصاب القوم.

ما يستفاد من قصة أصحاب الجنة:

١- عند سرد القصة يجب أن تبدأ بأسلوب تشويق، حتى تشد انتباه المستمع، وذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ فهذا يشد انتباههم ولسان حالهم يقول كيف بلانا، فجاء الجواب ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ فيتشوقون لمعرفة قصتهم ولسان حالهم يقول وما هو بلائهم وما هي قصتهم ولماذا شبهنا الله بهم، فيأتي ذكر القصة في تسلسل وتشويق.

٢- يجب ربط القصة بالواقع حتى تكون قريبة لذهن، ولذلك نجد في قصة أصحاب الجنة مشبه ومشبه به، ووجه لشبه بينهما، فالمشبه هم كفار قريش، والمشبه به أصحاب الجنة، ووجه الشبه أن الله أعطى كل منهما نعمة وفضل فظنوا أنهم قادرين عليها ولا تزول عنهم ولذلك أقسموا على ذلك، وهذا يقتضي أن تكون النتيجة واحدة، فالنتيجة هناك أن الله أهلك ثمر أصحاب الجنة، وحرمهم منه، فأنه قادر أن يهلك قريش، أو يحرمهم من النعمة التي هم فيها، ولذلك جاء الربط في نهاية القصة أيضا بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (القلم: ٣٣) يعني قد يكون عقابهم في الدنيا شديد ولكن هناك عقاب آخر أشد وأكبر وهو في الآخرة يوم القيامة.

عند سرد القصة يجب عدم تشعبها والاقتصار على المراد منها ومن الملفت للنظر، إن القرآن في عرضه لهذه القصة لا يحدثنا عن الموقع الجغرافي للجنة، هل كانت في اليمن أو في الحبشة، ولا عن مساحتها ونوع الثمرة التي أقسم أصحابها على صرمها.. لأن هذه الأمور ليست بذات أهمية في منهج الوحي، إنما المهم المواقف والمواعظ والأحداث المعبرة، سواء فصل العرض أو أختصر

إن العزم مم يؤخذ به الإنسان لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ (الحج: ٢٥) فقد جعل وقوع العذاب، على إرادة المعصية والعزم عليها في البيت الحرام، وفي الصحيح عن النبي ﷺ (**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار قيل فهذا القاتل**

فما بال المقتول؟ قال: إنه أراد قتل صاحبه)[1]. فهذا محمول على العزم المصمم، أما ما يخطر بالبال من غير عزم فلا يؤخذ به أحد.

أهمية القرين الصالح: فهؤلاء الإخوة أحدهم كان صالح ووصفه الله بأنه أوسطهم، فقد نصحهم من قبل أن يعزموا على منع المساكين ثمر جنتهم، ولكن لم يستمعوا لنصحه، وعندما وقع عليهم العذاب ذكرهم بنصائح لهم، ونفعهم ذلك بأن تابوا وسبحوا الله واعترفوا بذنبهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (القلم: ٢٨ - ٣٢).

تحذير من صفة البخل: لأن بخلهم وحبهم للمال هو الذي دفعهم للعزم على المعصية، وحرمان المساكين من العطايا التي كان أبوهم يؤديها لهم يقول ابن تيمية عن قصة أصحاب الجنة "فيه بيان حال البخلاء، وما يعاقبون به في الدنيا قبل الآخرة من تلف الأموال، إما إغراقا، إما إحراقا، إما نهبا وإما مصادرة، وإما في شهوات الغي، وإما في غير ذلك مما يعاقب به البخلاء، الذين يمنعون الحق" فيجب على المتربي أن يستشعر أن ما بين يديه من مال إنما هو مال الله الذي اوجب عليه الإنفاق منه، فإذا بخل عاقبه الله بباب من الشر يذهب فيه أضعاف ما بخل به.

٧- إن من أهم الحكم التي وراء أخذ الله الناس بالبأساء والضراء وألوان من العذاب في الدنيا، هو تصحيح مسيرة الإنسان بإحياء ضميره واستثارة عقله من خلال ذلك، كما قال ربنا عز وجل: ﴿ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (الأنعام: ٤٢).

٨- ضرورة الاستماع لمن أراد الإصلاح: وترك التعنت والإصرار على الرأي واتباع الهوى وما تشتهي النفس، وتجاهل نداء المصلحين الذين يريدون مصلحة الجميع، فلو أن أصحاب الجنة استمعوا رأي أخوهم المصلح من قبل عزمهم، وتركوا التعنت والأنانية، وحب المال، لكان خيرا لهم ولحفظ الله لهم جنتهم، ولكن الطمع أذهب مالهم بأكمله بما فيه مال الصدقة.

فما أحوجنا أن نتأمل قصة هؤلاء الأخوة الذين اعتبروا بآيات الله، وراجعوا أنفسهم بحثا

---

[1] البخاري: الجامع الصحيح، ج١، كتاب الفتن، (رقم الحديث: ٣٠) ص٥٤.

عن الحقيقة لما رأوا جنتهم وقد أصبحت كالصريم، فنفير من أنفسنا ليغير الله ما نحن فيه. إذ ما أشبه تلك الجنة وقد طاف عليها طائف من الله بحضارتنا التي صرمتها عوامل الانحطاط والتخلف ولو أنهم استمعوا إلى نداء المصلحين لما ابتلوا بتلك النهاية المريعة. وهكذا كل أمة لا تفلح إلا إذا عرفت قيمة المصلحين، فاستمعت إلى نصائحهم، واستجابت لبلاغهم وإنذارهم.

القصة الثانية: قصة نبي الله يونس عليه السلام:

قد وردة قصة نبي الله يونس في سورة القلم بالإشارة إليها فقط ولم ترد كاملة وذلك لأنه قد أدت الغرض الذي ذكرت من أجله وهو الخطأ الذي وقع فيه وهو الاستعجال وعدم الصبر ولم يرد ذكر اسم يونس عليه السلام في هذه القصة قال تعالى ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ (القلم: ٤٨). وقد وردت في مواضع أخرى من القران بشيء من التفصيل قال الله تعالى﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨﴾ (يونس: ٩٨)

وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ (الأنبياء: ٨٧ - ٨٨).

وقال تعالى في سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ١٤٨﴾ (الصافات: ١٣٩ - ١٤٨).

والقصة يونس عليه السلام كما يرويها سيد قطب " لقد سمي ذا النون أي صاحب الحوت لأن الحوت إلتقمه ثم نبذه، وقصة ذلك أنه أرسل إلى قرية فدعا أهلها إلى الله فاستعصوا عليه، فضاق بهم صدراً، وغادرهم مغاضباً، ولم يصبر على معاناة الدعوة معهم، ضاناً أن الله لن يضيق عليه الأرض، فهي فسيحة، والقرى كثيرة، والأقوام متعددون، وما دام هؤلاء يستعصون على الدعوة، فسيوجهه الله إلى قوم آخرين. ذلك معنى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ (الأنبياء: ٨٧) أي: أن لن نضيق عليه، وقاده غضبه الجامح،

وضيقه الخانق، إلى شاطئ البحر، فوجد سفينة مشحونة فركب فيها، حتى إذا كانت في اللجة ثقلت، وقال ربانها: إنه لا بد من إلقاء أحد ركابها في البحر لينجو سائر من فيها من الغرق. فساهموا فجاء السهم على يونس، فألقوه أو ألقى هو بنفسه، فالتقمه الحوت وهو ﴿مُلِيمٌ﴾ أي مستحق للوم، لأنه تخلى عن المهمة التي أرسله الله بها، وترك قومه مغاضباً قبل أن يأذن الله له. وعندما أحس بالضيق في بطن الحوت سبح الله واستغفره وذكر أنه كان من الظالمين، وقال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (الأنبياء: ٨٧) فسمع الله دعاءه واستجاب له، فلفظه الحوت: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ (الصافات: ١٤٣ – ١٤٤)، وقد خرج من بطن الحوت سقيماً عارياً على الشاطئ: ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ (الصافات: ١٤٦) وهو القرع، يظلله بورقه العريض ويمنع عنه الذباب الذي يقال إنه لا يقرب هذه الشجرة، فأرسله الله إلى قومه وهم مائة ألف ويزيدون فآمنوا معهم فكشف الله عنهم العذاب ومتعهم إلى حين الأجل المعلوم[1].

ما يستفاد من قصة يونس عليه السلام الواردة في سورة القلم:

١- أنه يكفي إيراد جزء من القصة، إذا كان يؤدي الغرض المراد منه، وكان معلوم للمتلقي، لأنا نلاحظ أن الله في سورة القلم لم يذكر قصة يونس عليه السلام كاملة، بل اكتفى بجزء بسيط منها، وهو ما يتناسب مع سياق السورة، والغرض من ذكر القصة حث الرسول ﷺ على الصبر، وعدم التعجل في إتمام الدعوة إلى الله ولا تفعل مثل ما فعل صاحب الحوت " لا يكن حالك مثل حاله، أي كحال أو كقصة صاحب الحوت"[2].

٢- النهي عن العجلة والغضب: لأن يونس عليه السلام عجل عن أمر الله وذهب مغاضبا، "إن الله تعالى يعزي نبيه ﷺ ويأمره بالصبر ولا يعجل كما عجل صاحب الحوت[3]"، "ولأن العجلة والغضب تستحق اللوم والعتاب ففي قول تعالى: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: "فاعل ما يلام عليه والظاهر أن عجلته ومغاضبته لقومه وخروجه من بين

(١) سيد قطب، في ظلال القران، مرجع سابق، ج٥ص١٦٩.

(٢) محمد بن يوسف بن حيان، تفسير البحر المحيط، مرجع سابق، ١٠ / ٣٢٤.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القران،مرجع سابق، ١٨/ ٢٥٣.

أظهرهم قبل أن يأمره الله بذلك، ظن أن الله لا يقدر عليه، أي: يضيق عليه في بطن الحوت"[1] فالله يأمر بالصبر وينهى عن العجلة قال في أية أخرى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ (الأحقاف: ٣٥) فعجلة نبي الله يونس عليه السلام أوقعته في الظلمات، فكم من غضب وعجلة أوقعت صاحبها في غياهب السجون، وظلمات الذل والمهانة، وكم من عجلة أوقعت صاحبها في سجن الأسرَّة في المستشفيات، وعلى كراسي المعاقين بسبب الاستعجال والسرعة فدائما يكون في العجلة الندامة، فهل يتعظ المعتبرون.

٣- فضل التوبة: والإنابة إلى الله والتسبيح فهي التي أنجت يونس عليه السلام مما كان فيه قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ (الصافات: ١٤٣ - ١٤٤) وكان تسبحه عليه السلام في بطن الحوت: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (الأنبياء: ٨٧) يقول الجزائري "فضيلة دعوة ذي النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. إذ ورد أنه ما دعا بها مؤمن إلا استجيب له، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٨) يقوي هذا الخبر"[2]. فنفعته توبته وتسبيحه ولذلك أصبح حاله أفضل مما كان قبل المعصية واستفاد بفضل هذه الدعوة عدة أمور:

أ- استجاب الله دعائه فتاب عليه قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾.

ب- تداركته رحمة من الله ونجاه من بطن الحوت، "فلفظه وهو سقيم الجسم، ولكنه محمود عند الله وليس مذموم وهذا بنعمة الله وفضله"[3]، قال تعالى: ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾﴾ (القلم: ٤٩).

ت- أرسله الله واجتباه وجعله من الأنبياء الصالحين المقربين قال تعالى: ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ (القلم: ٥٠).

ث- أصلح الله قومه وكشف عنهم العذاب ومتعهم في الدنيا متاع حسنا في رغد من العيش وسلام إلى حين، قال تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ

(١) عبدالرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص ٥٢٩.

(٢) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ص ١٣٦٧.

(٣) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ١٢ / ١٦٤.

فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ (الصافات: ١٣٩ - ١٤٨). وأصبحوا أكثر الأمم عددا وأقواهم إيمانا قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ (يونس: ٩٨).

٤- وجوب التمسك بالصبر قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ (القلم: ٤٨) الذي عدم صبره أوقعه في مأزق كبير فلولا تسبيحه لله وتوبته لهلك في الدنيا والآخرة وهذا فيه "موعظة التحذير من الوقوع فيما وقع فيه يونس من غضب ربه ألاَ ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ (القلم : ٤٨ - ٤٩) وليعلم الناس أن الله إذا اصطفى أحداً للرسالة لا يرخص له في الفتور عنها ولا ينسخ أمره بذلك لأن الله أعلم حيث يجعل رسالاته"[1]. وعدم الصبر أخرجه من كونه من أولي العزم من الرسل الذين تمسكوا بالصبر لذلك أمر الله نبه محمد ﷺ بالاقتداء بهم بالصبر مثل ما صبروا قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: ٣٥).

٥- تعويد المتربين على التأدب مع الرسل والصالحين وأولي الفضل، وحتى لو ذكر موقف أو خطأ حصل لهم على سبيل الاعتبار منه فلا بد أن يكون بتأدب، حيث أن الله لم يذكر الخطأ الذي وقع فيه نبيه يونس عليه السلام بل اكتفى بالحث على الصبر، وذكر القصة وحتى لا يخطأ احد من الناس ويسب نبي الله، مدحه مباشرة على توبته وذكر تعالى أنه اجتباه وجعله من الصالحين، بفضل توبته قال تعالى: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (القلم: ٥٠). فلا يجوز التنقص من قدر يونس عليه السلام، "ولهذا لما خشي الرسول ﷺ على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له بالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة"[2]. **جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: "ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متَّى: ونَسَبَه إلى أبيه"[3].**

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ص ٣٧٠.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، ج١٣، ص ٢٠٦.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ج١١، (رقم الحديث: ٣١٦١)، ص ٢٢١ - صحيح مسلم ، ج١٢، (رقم الحديث:٤٣٨٢)، ص ٨٣ .

المبحث الثالث

أسلوب التربية بالترغيب والترهيب

ينبني هذا الأسلوب التربوي الإسلامي على ما فطر الله تعالى عليه الإنسان من الرغبة في الثواب والمكافأة، وحُبّ اللذة والنعيم والرفاهية، وحسن الثناء، وطرد الهمّ؛ لذلك نجد أن الله يرغب في ذلك ويعمل على تحقيقه، كما فطره أيضا على بغض العقاب، وما يترتب عليه من الألم والخوف، ولذا فأنه يرهبه وينفر منه "ولهذا يتأكد أهمية التأثير الكبير لهذا الأسلوب في توجيه سلوك الإنسان من خلال استخدام الثواب والعقاب"[1].

وقد ورد أسلوب الترغيب والترهيب في سورة القلم في أكثر من موضع ومناسبة في السورة قال تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾ (القلم: ٣٤) أي " إن للمتقين في الآخرة جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص، لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا[2]. وقال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (القلم: ٤٤). يقول الرازي "وهذا وعيد شديد لمن يكذب بما جاء به الرسول ﷺ من أمر الآخرة وغيره"[3].

وسوف يقوم الباحث بتناول أسلوب الترغيب والترهيب من ثلاثة محاور:

المطلب الأول : مفهوم الترغيب والترهيب .

المطلب الثاني: أهمية الترغيب والترهيب.

المطلب الثالث:. الترغيب والترهيب في سورة القلم

وهي على النحو التالي:

---

(١) عبد الحميد الصيد الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، مرجع سابق، ص ٦٤٦.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القران،مرجع سابق، ١٨ / ٢٤٦ .

[3] محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج ١٥ / ص ٤٧٥.

المطلب الأول

مفهوم الترغيب والترهيب

الترغيب:

الترغيب لغة:

مصدر رغب وأصله من مادة (ر غ ب) ومن معانيها: "الطلب لشيء ما، فالرغبة في الشيء الإرادة له كما أن صيغة التفعيل هذه ربما دلت على معنى إحداث أو تكوين فعل ما مناسب لمادة الكلمة[1].

والترغيب في الاصطلاح :

هو "وعد يصحبه تحبيب وإغراء، بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة مؤكدة خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيّء ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده"[2] قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ (القلم: ٣٤).

وهذا الأسلوب كثيرا ما استخدمه القران الكريم فبين الله جزاء المتقين، وجزاء المؤمنين وما أعده الله لهم في الدنيا والآخرة من جناة النعيم، والتي جاء وصفها في آيات كثيرة وما فيها من النعيم الدائم الذي لا يزول، وما فيها من الملذات والشهوات والحور الحين، وما فيها من السعادة والسرور، وما فيها من الأنهار والبساتين، وما فيها من القصور واللؤلؤ والمرجان، كل ذلك جاء وصفه بالتفصيل في الكتاب العزيز، وما جعله الله إلا لحث الناس على الإيمان به، والتمسك بدينه، وإفراد العبادة له وحده وتعلق القلوب به سبحانه وتعالى، وترك ما سواه من عبادة الأصنام والأوثان، وعبادة العباد، ليكون الدين الخالص لله، فهذا ترغيب فيما عند الله من الجزاء.

الترهيب:

الترهيب لغة: مصدر من مادة رهب والتي تعني "الخوف والفزع ويأتي بمعنى رهب: بالكسر، يرهبه، رهبةً، ورهبا بالضم ورهبا بالتحريك أي: أخافه، وترهب غيره إذا

---

[1] أحمد فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ٤١٥/٢.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية: مرجع السابق: ص ٢٥٩.

توعده، واسترهبه أخافه وتوعده"[1].

الترهيب في الاصطلاح :

هو "وعيد وتهديد بعقوبة تترتّب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده"[2] قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ (القلم: ٤٤ - ٤٥).

وكثيرا ما يرد في الكتاب العزيز هذا الأسلوب، فقد جاء التخويف من عقاب الله وجاء ذكر يوم القيامة وما فيه من الأهوال والأمور العظام، كما جاء وصف النار بالتفصيل، فجاء وصف شدة حرها زمهريرا، ووقدها الناس والحجارة وما عليها من الملائكة الغلاظ الشداد، وما فيها من العذاب المقيم، وما فيها من الأغلال والسلاسل، وما فيها من شجرة الزقوم وطعام الأثيم، وما جاء في القران بأنه يستحقها العصاة المذنبون، والذين كذبوا بآيات الله وكذبوا رسوله ﷺ، وما جعل الله ذلك ألا لحث الناي على الأيمان ولتعظ من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ولكي يحذرها الناس ويبتعد عن الأسباب التي توجب سخط الجبار، فهذا ترهيب مما أعده الله من العقاب لكل من خالف أمره، وأتبع نفسه هواها.

---

[1] مجد الدين محمد الفيروزبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ، ج ١ ص ٢١٥.

(٢) عبدالرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية: مرجع سابق ، ص٢٥٩.

المطلب الثاني

أهمية أسلوب الترغيب والترهيب

الترغيب والترهيب أسلوب تربوي فعّال يعتمد على تقديم المسوغات والأسباب قبل المكافأة والتأديب. وهو أحد الأساليب التربوية المؤثرة التي يستخدمها القرآن الكريم والسنة النبوية لترغيب الإنسان في امتثال أوامر الله، وترهيبه بالانتهاء عما نهى الله عز وجلّ عنه.

وأسلوب الترغيب والترهيب "يقوم على عاطفتي الخوف والرجاء، وهما خطّان متقابلان في النفس الإنسانية"[1] فقد مدح الله تعالى أهل الخوف والرجاء بقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ (الزمر: ٩). ففي هذا إثارة لانفعال الخوف من الله سبحانه وتعالى، والرجاء فيه عز وجلّ. قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (السجدة: ١٦).

فهو أسلوب تربوي متناسب مع فطرة النفس البشرية التي تقوم على حُبّ جلب الخير ودفع الشر مما يقوّي ميل الإنسان للاستجابة لمؤثرات هذا الأسلوب التشويقية والتعزيزية. فهو بهذا يُحذِّر ويُخوِّف من مخالفة المأمور واقتراف المحذور مما يجعل العملية التربوية فعّالة.

وتأتي أهمية هذا الأسلوب التربوي من كونه ضابطاً لسلوك الإنسان، ومحدِّداً لتصرفاته وذلك بإشعاره بتحمّله لمسؤولية أعماله قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ (الزمر: ٧).

فعلى المربّي المسلم أن يستخدم أسلوب الترغيب والترهيب في تربية النشء، كأن يعاملهم بالرفق واللين والرحمة، وأن يمدح ويثني على المواقف الحسنة للمتربين، وأن يبارك لهم جهودهم في مجال البر والمواظبة في الدراسة مما يؤدي إلى مضاعفة الجهود للتحلّي بالأخلاق، والجَدّ في الطلب، وتطبيق العلم قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ

(١) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية: مرجع سابق: ص ١٢٧.

ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ (الزمر: ١٠). وأن يعتدل في الترهيب واستخدام العقاب كما يقول أحد المربّين: "والتربية الإسلامية تستخدم أسلوب الثواب والعقاب، فإذا ما أجاد المتعلم، فإنه يثاب إثابة حسّية ومعنوية، أما إذا وقع في الخطأ، فإنه يسامح وينصح، ثم إذا تكرر الخطأ فإن العقوبة هي الحلّ"[1].

ولهذا فإن المربّين المسلمين "كانوا يدركون ما لدى الطفل الصغير من ميل إلى حُبّ الثناء والمدح والبروز، فيثنون عليه كلما قال أو فعل جميلاً، ويشجعونه على الاستمرار في ذلك. ولم يكثروا من اللوم والذمّ لأن ذلك يميت قلبه"[2].

ونظراً لتناول سورة القلم مضامين التربية الإيمانية والعقيدة الإسلامية الصحيحة والتأكيد على ضرورة غرسها في نفوس المتربّين، فقد تعرضت هذه السورة لأسلوب الترغيب والترهيب في آيات كثيرة ليتسنّى للمربِّين ترغيب النشء في الجنة، أو ترهيبهم من عذاب الله الشديد. وهذا الأسلوب التربوي من أعظم الأساليب لتربية الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر في نفوس النشء.

ويعدّ أسلوب الترغيب والترهيب من أهم الأساليب التربوية التي تعتمد عليها التربية الإسلامية في ضبط سلوك المتربي، "وذلك أنه يمكن للإنسان في ضوء هذا الأسلوب أن يتحكم في تصرفاته وسلوكه ويصلح مواقفه بقدر معرفته بالنتائج المترتبة على تصرفه وسلوكه. هل هي ضارة أم نافعة سارة أم مؤلمة"[3].

وتعتني التربية الإسلامية بأسلوب الترغيب والترهيب لما له من تأثير كبير في نفوس النشء في تنمية الجانب الديني والخُلقي. فالقرآن الكريم يعلق النتائج الطيبة على السلوك الطيب ويربطه بالثواب والجنة، ويعلق النتائج السيئة بالسلوك السيئ ويربطه بالعقاب والنار وأهوال يوم القيامة قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (القلم: ٣٣) وقال: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ (القلم: ٣٤).

ففي هذه الآيات توضيح لأهمية أسلوب الترغيب والترهيب، مما يُفزع ويُخوّف من

---

(١) علي خليل أبو العينين: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٢٤٠.

(٢) محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١١٤.

(٣) بلقيس داغستاني: التربية الدينية والاجتماعية للأطفال: مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٣٠هـ ص ٨٩.

عقاب الله، ويزجر دوافع الشر لدى الإنسان.

ومن ثم "فإن أسلوب الترغيب والترهيب له تأثير كبير في تحريك الخوف والرجاء في النفس الإنسانية، لأنه أسلوب ذو تأثير فعّال، ومولد لحافز ذاتي في داخل النفوس"[1].

كما إن السنة النبوية المطهرة تزخر بأمثلة كثيرة استخدم فيها اسلو الترغي والترهيب وذلك من أجل غرس العقيدة الصحيحة، والأخلاق الفاضلة في نفوس المسلمين ، فقد بين النبي ﷺ أهمية تنمية خُلق الصدق في نفوس المتربّين باستخدام أسلوب الترغيب والتحبيب، والثناء الجميل، واستئصال خُلق الكذب بأسلوب الترهيب والتنفير والتخويف، يقول ﷺ: **(عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البرّ وإن البرّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً)**[2]

"فعلى المربّي أن يهتم بهذا الأسلوب التربوي في صياغة شخصيات المتربّين لإثارة الحوافز الذاتية التي تفتح للنفس باب الرجاء، ويقطع عليها وسائل الشرور، ويحقق التربية الإسلامية المطلوبة"[3].

فلأهمية هذا الأسلوب نجد انه كثر استخدامه في القران الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وجميع الأوامر الإلهية في الكتاب والسنة نجد أن فعلها قد قرنه الله بثواب معين، فمثلا الصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينها، ولصائمون باب الريان في الجنة لا يدخله غيرهم، وضمن الرسولﷺ بيت بأعلى الجنة لمن حسنة خلقة، ومن يسر على مسلم يسر الله عليه يوم القيامة وما يزال الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه، وغير ذلك من الثواب الذي أعده الله لأهل طاعته، ووعدهم به، كي يسارعوا في الخيرات.

كذلك النواهي لو أطلعنا عليها لنجد أنها مقرنة بعذاب الله، وعقابه في الدنيا والآخرة، فلا يدخل الجنة نمام، ولا من في قلبه مثقال ذرة من الكبر، ومن تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه، ودخلت امرأة النار في هرة، وتوعد عاق والديه

---

(١) عبد الرحمن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية: مرجع سابق: ٢٠٥/١.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، ج١٣، (رقم الحديث: ٤٧٢١) ص١٦.

(٣) خليل بن عبد الله الحدري: التربية الوقائية في الإسلام: مرجع سابق: ص ٢٨١- ٢٨٢.

بعقوبة الدنيا والآخرة. وهكذا

المطلب الثالث

الترغيب والترهيب في سورة القلم

من خلال سورة القلم نلاحظ ورود أسلوب الترغيب والترهيب جليا ففي بداية السورة، يقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾ (القلم: ٣) أي "لك الأجر والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق وصبرك على إذاهم"[1] فهذا ترغيب لرسول ﷺ بالاستمرار في الدعوة، وعدم التأثر باتهام الكفار له بالجنون، لأن له الأجر من الله غير المقطوع ولا المنقوص.

ثم خوف وهدد الكفار الذين يتهمون رسوله بالجنون قال تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾ (القلم: ٥ - ٧).

"في هذا الخبر تعزية لرسول الله وتسلية له ليصبر على دعوة الله وفيه تهديد ووعيد للمشركين"[2] وهنا جمع بين أسلوب الترغيب والترهيب في آن واحد.

ثم بعد ذكره لمجموعة من الصفات المنهي عنها هدد أصحاب هذه الصفات السيئة والذي كذب برسالة محمد بوضع علامة وسيما يعرف بها بالشر، ﷺ فقال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ (سورة القلم: ١٦).

ثم بعد ضرب المثل لكفار قريش بقصة أصحاب الجنة المليئة بالعضات والعبر هددهم بأنه سوف يحرمهم من النعمة التي هم عليها كما حرم أصحاب تلك الجنة قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (القلم: ٣٣) " أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات وبدل نعمة الله كفرا"[3].

فأي أسلوب أعظم من هذا الأسلوب وأي تخويف وترهيب أبلغ من ذكر قصة حدثت بالماضي وربط العقوبة التي حلت بأصحابها، بوقوع مثلها على من وقع بنفس الخطأ.

ثم جاء ترغيب المتقين بالجزاء العظيم قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ

---

[1] ابن كثير، تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ج٤ ص٣٦٢.

[2] الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ص١٦٦٥

[3] ابن كثير، تفسير القران العظيم،مرجع سابق، ج٤ ص٣٦٧.

ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ (القلم: ٣٤ - ٣٥) "أي أنحيف في الحكم ونجور فنجعل المسلمين والمجرمين متساوين في العطاء والفضل"[1] والثواب والعقاب، وهذا دافع لناس حتى يؤمنون بالله، ويتقوه ويسارعون في الخيرات لأن الجزاء ليس متساوي.

ثم يبين لنا الله عقوبة الذي يرفض السجود لله في الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (القلم: ٤٢ - ٤٣). أي "لا يبقى مؤمن إلا سجد، ويقسو ظهر الكافر فيكون عظما واحدا[2]"، وهذا تخويف لم رفض السجود في الدنيا وخالف أمر الله بأن الله سوف يجازيه مثل عمله فيقسو ظهره يوم القيمة فلا يستطيع السجود، يوم يكون السجود تكريما وشرفا وعزة لصاحبه. يقول السعدي: "فيسجد المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله، طوعًا واختيارًا، ويذهب الفجار المنافقون ليسجدوا فلا يقدرون على السجود، وتكون ظهورهم كصياصي البقر، لا يستطيعون الانحناء، وهذا الجزاء من جنس عملهم، فإنهم كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود لله وتوحيده وعبادته وهم سالمون، لا علة فيهم، فيستكبرون عن ذلك ويأبون، فلا تسأل يومئذ عن حالهم وسوء مآلهم، فإن الله قد سخط عليهم، وحقت عليهم كلمة العذاب، وتقطعت أسبابهم، ولم تنفعهم الندامة ولا الاعتذار يوم القيامة، ففي هذا ما يزعج القلوب عن المقام على المعاصي، ويوجب التدارك مدة الإمكان"[3].

قال تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ (القلم: ٤٤ - ٤٥). يقول سيد قطب: "وهو تهديد مزلزل فالجبار القهار القوي المتين يقول للرسول ﷺ «خل بيني وبين من يكذب بهذا الحديث وذرني لحربه فأنا به كفيل»[4] وهذا تخويف من الله سبحانه وتعالى بأنه سوف يعاقبهم بنفسه عقابا شديد، وذلك باستدراجهم بالخيرات والنعم وهم لا يشعرون ويعطيهم الأماني والأمل ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وفي هذا يقول تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى

---

[1] الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ص١٦٦٧.

(٢) ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، ج ٢٣ ص ٥٥٤ .

(٣) عبدالرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق ص ٨٨١ .

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن ، مرجع سابق، ٧ ص ٣٠٣.

ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (المؤمنون: ٥٥ - ٥٦)، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (سورة الأنعام: ٤٤) أي "لما نسوا ما ذكروا به استدرجناهم بفتح أبواب كل نوع من أنواع الخير عليهم ،حتى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ، من الخير على أنواعه فرح بطر وأشر وأعجبوا بذلك وظنوا أنهم إنما أعطوه لكون كفرهم الذي هم عليه حقاً وصواباً: ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ أي فجأة وهم غير مترقبين لذلك والبغتة: الأخذ على غرّة من غير تقدمة أمارة"[1] وفي هذه السورة يقول تعالى: ﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ (سورة القلم: ٤٥)، أي : "أوخرهم وأنظرهم وأمدهم وذلك من كيدي ومكري بهم فهو عظيم لمن خالف أمري وكذب رسلي واجترأ على معصيتي"[2].

قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ (سورة القلم: ٤٨) "أي لا تكن مثله في الغضب والضجر والعجلة...أي لا تكن حالك كحالة وقت ندائه... قال قتادة: أن الله يعزي نبيه ﷺ، ويأمره بالصبر، ولا تعجل كما عجل صاحب الحوت"[3].

وهنا إشارة من الله إلى قصة نبيه يونس عليه السلام والعقاب الذي عاقبه به بسبب عجلته وغضبه المخالف لصبر الذي أمر الله به رسوله في أول الآية ،" فنهى عن التشبه به في السبب الذي أفضى به إلى هذه المناداة وهي مغاضبته التي أفضت به إلى حبسه في بطن الحوت وشد عليه حتى نادي ربه وهو مكظوم"[4]

فيتضح كيف أن الله استخدم أسلوب الترغيب بثوابه والترهيب من عقابه، وكيف إن الله استخدمهما بطرق مختلفة على حسب العمل، من هنا يتبين ضرورة استخدام المربي لأسلوب الترغيب والترهيب، وحتى ينجح في عملية التربية لا بد أن لا يجعل المصيب كل المخطأ ولا المجتهد كل المتواكل.

---

(١) الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ٢ / ٤١٣ .

(٢) ابن كثير، تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ٤/ ٣٦٩ .

[3] الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ص١٥٢١.

[4] ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، مرجع سابق، ص٤٤.

ما يستفاد من أسلوب الترغيب والترهيب الوارد في سورة القلم:

لقد تناولت سورة القلم أسلوب الترغيب والترهيب في جميع أشكاله الوعد والوعيد، التحفيز والتهديد، الثواب والعقاب، يمكن أن نلخص ما يستفاد من هذا الأسلوب في سورة القلم بالنقاط التالية:

١. أن أسلوب الترغيب والترهيب لا غنى عنه لأي أحد من البشر حتى الأنبياء والمرسلين، لأن النفس البشرية فطرة على حب اللذة والنعيم والرفاهة، وحسن الثواب، كما فطرة على بغض العقاب، وما يترتب عليه من خوف وألم لذلك تفر منه، لذلك نجد أن الله يذكر رسوله بأن له الأجر العظيم على أداء الرسالة واحتمال أذى الكفار البدني والمعنوي قال تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾ (القلم: ٢ – ٣) أي: "بل لك الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على إبلاغك رسالة ربك وصبرك على أذاهم"[(١)] كما أن الله استخدم أسلوب العقاب مع يونس عليه السلام، وذكر محمد ﷺ بالعقاب الذي حل به، بسبب الاستعجال وترك الصبر، فإذا علم المربي هذا وجب عليه استخدام أسلوب الترغيب والترهيب، والثواب والعقاب أثناء العملية التربوية، بل يجب استخدامه في جميع المؤسسات التي تتعامل مع الإنسان.

٢. يجب عدم المساواة بين المحسن والمسيء بالثواب والعقاب، قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥﴾ (سورة القلم: ٣٥) أي: "أفنجعل أيها الناس في كرامتي ونعمتي في الآخرة الذين خضعوا لي بالطاعة، وذلوا لي بالعبودية، وخشعوا لأمري ونهيي، كالمجرمين الذي اكتسبوا المآثم، وركبوا المعاصي، وخالفوا أمري ونهيي؟ كَلا ما الله بفاعل ذلك"[(٢)]، فالله جعل المساواة بين المحسن والمسيء ظلم وجور بل جعله استحالة في حق نفسه أن يساوي بينهما، فهذا دافع وترغيب لناس حتى يؤمنوا ويسارعوا بالخيرات، ويجعل المحسن يزيد إحسانا والمسيء يقلع عن إساءته.

---

(١) ابن كثير، تفسير القران العظيم، ج٤ص٣٦٢.

(٢) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القران، مرجع سابق، ٢٣ / ٥٥٢.

والحكم بالمساواة بين المحسن والمسيء "أخبر أن هذا حكم باطل في الفطر والعقول، لا تليق نسبته إليه سبحانه"[1] وهذا قد ورد كثيرا في كتاب الله قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (السجدة : ١٨)، وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ (الحشر : ٢٠) وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ (ص: ٢٨) فإذا علم المربي هذا علم انه لا يمكن نجاح أي عملية تربوية أو غير تربوية إلا بعدم المساواة بين المحسن والمسيء.

٣. قبل إيقاع العقاب يجب توضيحه وتصويره والتهديد به، ويكون معلوم خبره قبل إيقاعه ولا يكون تنفيذه فجأة دون مقدمات، فيجب التحذير منه أولا وتصويره للمتلقي حتى يعلم أسباب العقاب فيتجنبها وأسباب الثواب فيفعلها، وهذا هو منهج التربية الإسلامية، وذلك لأن الثواب والعقاب ليس هو المقصود بذاته أنما المقصود منه ضبط السلوك، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة نوع الثواب والعقاب المقدر على الفعل سواء حسنا أو سيئا.

٤. يجب أن يُذكر أصحاب المعاصي والذنوب، بأن ما بأيديهم من خيرات، وما تأتيهم مستقبلا وهم مصرون على معاصيهم ليست تحفيزا لهم على الزيادة بالمعصية والاستمرار عليها، بل هو إملاء واستدراج لهم حتى إذا أخذهم عاقبهم عقوبة قاسية، قال تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ (القلم: ٤٤ – ٤٥) أي: "سنكيدهم من حيث لا يعلمون، وذلك بأن يمتعهم بمتاع الدنيا حتى يظنوا أنهم متعوا به بخير لهم عند الله، فيتمادوا في طغيانهم، ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون وأُمْلِي لَهُمْ: برهة من الدهر على كفرهم وتمرّدهم على الله لتتكامل حجج الله، إن كيدي بأهل الكفر قويّ شديد"[2]. فصاحب المعصية إذا لم يجد رادع، زاد في غيه وتمادى بمعصيته، وعم شره فهو يرى أن الخيرات تجري بيده، ويزيد ماله وولده وجاهه، ولم يرى عقاب يردعه، فوجب أن نذكره بأن هذا أمهال له واستدراج من الله أن لم يتب سوف يقع عليه العقاب الأليم

(١) محمد أمين الشنقيطي، أضواء البيان، مرجع سابق، ٤ / ٢٥٦.

(٢) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القران، مرجع سابق، ٢٣ / ٥٥٢.

قال تعالى ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (سورة المؤمنين: ٥٤-٥٦) وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ٤٤).

٥. الجزاء من جنس العمل: لو دققنا النظر في الثواب والعقاب الوارد في سورة القلم لنجد أن الثواب والعقاب موافق للعمل، ومبدأ الجزاء من جنس العمل هو مما اختصت به الشريعة الإسلامية، ففي سورة القلم يرد مبدأ الجزاء من جنس العمل واضح جليا في عدة مواقع منه:

أ- قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾ (سورة القلم: ٣) أي: "وإن لك يا محمد لثوابا من الله عظيما على صبرك على أذى المشركين إياك غير منقوص ولا مقطوع"[١]. يقول الرازي: أي "إنه غير ممنون عليك لأنه ثواب تستوجبه على عملك، وليس بتفضل ابتداء إن لك على احتمال هذا الطعن والقول القبيح أجراً عظيماً دائماً، وقال آخرون : المراد إن لك في إظهار النبوة والمعجزات، في دعاء الخلق إلى الله، وفي بيان الشرع لهم، هذا الأجر الخالص الدائم، فلا تمنعك نسبتها إياك إلى الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم، فإن لك بسببه المنزلة العالية عند الله.[٢]" ولأن رسول الله يقوم بعمل غير محدود من أداء مهمة الرسالة ونصح الأمة وهدايتهم، وتعليمهم الأصول والفروع والأخلاق الفاضلة والصبر على أذاهم، واحتمال مشاق الدعوة، والجهاد في سبيل الله، وفضله على الأمة غير محدود، فقد أخرجهم من الظلمات إلي النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، حتى أصبحت أمته خير امة أخرجت لناس ملكوا الأرض وقادوا الناس إلى الخير، إلى يوم القيامة، كل ذلك جعل أجره غير م مقطوع ولا منقوص ولا محدود "ووصفه غير مقطوع يسير في انسجام مع ما يتسم به الرسول ﷺ من عطاء متجدد للأمة من بعده، وذلك من فضل الله"[٣].

(١) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٢٣ / ٥٢٨.

(٢) محمد عمر الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج ١٥ / ص ٤٣٥.

(٣) إبراهيم سعد الدوسري، الجانب الخلقي من سورة القلم، مرجع سابق، ص٣٩.

ب- يقول تعالى بعد ذكر صفات المتكبرين : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ (القلم: ١٣) أي جواض مستكبر ثم قال في جزاء هذا ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾ (القلم: ١٦) أي "سيفعل به في الدنيا من الذم والإشهار بالشر ما يبقى فيه ولا يخفى به، فيكون ذلك كالوسم على الأنف ثابتا بينا"[1] واستحق هذه العقوبة الظاهرة لأن الجرم ظاهر لناس خبثه وشره عليهم كبير، من غيبة ونميمة ومنع الخير وتكبر على خلق الله، يقول ابن تيمية: "فأخبر سبحانه أنه لا بد أن يسم صاحب هذه الأخلاق الخبيثة على الخرطوم، وهو أنفه الذي هو عضوه البارز، الذي يسبق البصر إليه عند مشاهدته، لتكون السيما ظاهرة من أول ما يرى، وهذا ظاهر في الفجرة الظلمة".[2] ولأنه تكبر على خلق الله فكان حق على الله أن يجازيه من جنس عمله، وان يذله بوسمه على انفه الذي هو علامة العزة والعنفوان، ولذلك تجد أصحاب هذه الصفات غير مقبولين من المجتمع تفر منهم الناس وتبغضهم.

ت- وفي قصة أصحاب الجنة الذين اقسموا على حرمان المساكين من ثمار الجنة فقالوا ﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (القلم: ٢٤) فحرمهم الله من ثمار جنتهم قبل أن ينفذوا مؤامرتهم قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (القلم: ٢٦ - ٢٧). فجزاهم من جنس عملهم، وهنا ملاحظة أن الله لم يهلك أصحاب الجنة بأنفسهم بل حرمهم من ثمار جنتهم وهذا كان كافي لردعهم.

ث- قال في حق من رفض السجود لله سبحانه وتعالى في هذه الحياة الدنيا فسوف يدعى الناس إلى السجود له يوم القيامة فيسجد من كان يسجد في الدنيا ولا يستطيع السجود من كان يرفضه بالحياة الدنيا قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (القلم: ٤٢ - ٤٣).

ج- في حق نبيه الله يونس عليه السلام عندما استعجل أمر الله وخرج مغاضبا فكان عقابه أن حجزه الله في بطن الحوت في الظلمات فالحجز عقاب العجلة

---

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق، ج١٥ ص ٣٧.

(٢) ابن تيميه، دقائق التفسير، مرجع سابق، ٥/ ١٨ .

والظلمة عقاب الغضب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾ (القلم: ٤٨ - ٤٩).

المبحث الرابع
أسلوب التربية بالحوار

تمهيد:

للحوار أهمية كبيرة في مجال التربية لأن بني آدم ليسوا على وتيرة واحدة ومستوى واحد في الفهم والاستيعاب وقبول الحق والإذعان له، فهناك الشخص المنصف الذي يدرك الحق ويقبله وينصاع له من أول وهلة وهناك المتردد والشاك، ومثل هذا يكفي معه النصح والتذكير لإقناعه وهناك المعاند والمجادل الذي يحتاج إلى محاورة ومجادلة ومبادلة الجج حتى يتم أقناعه وقد أشار الله سبحانه إلى هذه الأصناف في قوله تعالى مخاطبا رسوله محمد ﷺ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل: ١٢٥).

قال السعدي: "فان كان المدعو يرى ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى الباطل فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا"[1].

والقران الكريم: "استخدم طريقة الحوار في أكثر من موقع بشكل جميل معجز، ومقنع في ذات الوقت، وتضمن ألوان متعددة من الحوار، كالحوار التعبدي والخطابي، والحوار الوصفي، والحوار القصصي، والحوار الجدلي"[2].

وقد تناولت سورة القلم أسلوب الحوار في ذكر قصة أصحاب الجنة عندما أرادوا صرم ثمرها وحرمان المساكين منه فحرمهم الله منها، كما تناولت حوار الله سبحانه وتعالى مع كفار قريش، على شكل عدة استفهامات لإقناعهم بصدق رسالة محمد ﷺ.

وسوف يتناول الباحث أسلوب الحوار من ثلاثة محاور وهي:

المطلب الأول: مفهوم الحوار.

المطلب الثاني: أهمية الحوار.

المطلب الثالث: الحوار في سورة القلم .

---

[1] عبدالرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص(٣٧٩).

[2] عبدالرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مرجع سابق، ٢٥٠.

المطلب الأول

مفهوم الحوار

الحوار لغة:

من مادة (ح ور) والتي تعني الرجوع يقال:حار إذا رجع والعرب تقول: الباطل في حور أي في رجع[1].

والمحاورة: مراجعة النطق والكلام في مخاطبة وهم يتحاورون: أي يتراجعوا الكلام بينهم"[2].

والحوار حديث يجري بين شخصين أو أكثر"[3].

ويعرف الحوار اصطلاحاً:

بأنه " مناقشة بين طرفين أو أطراف، يقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حقٍ، ودفع شبهة، وردُّ الفاسد من القول والرأي"[4].

وقيل الحوار هو "أن يتبادل الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين ، وقد يصلان الى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما بالأخر"[5].

ويعرف مقداد يالجن الحوار التربوي الإسلامي بأنه "ضرب من المناقشة المنظمة التي تتم بين الطرفين في موضوع محدد في ضوء أدب إسلامية بقصد إحقاق الحق وإبطال الباطن"[6].

---

[1] أحمد فارس: معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج ٢ ص١١٧.

[2] ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج٤ ص ٢١٧.

(٣) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار المعارف، مصر، ١٤٠٠هـ، ص٢٠٥.

(٣) صالح بن عبد الله بن حميد: أصول الحوار وآدابه، جدة، دار المنارة، ١٤١٥هـ، ص٦.

(٥) عبدالرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مرجع سابق، ص٢٠٦ .

(٦) مقداد يالجن، تربية الأجيال على أخلاقيات وآداب المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية، ص١١.

المطلب الثاني
أهمية أسلوب التربية بالحوار

قد تدعو الحاجة في معالجة بعض الأخطاء السلوكية مع المتربي للتوصل للحق، أو البحث عن الصواب أو الحقيقة الغائبة إلى طريقة المحاورة والمناقشة التي يطرحها المربي حتى يتمكن من إيصال الأفكار إلى المتربين بطرقة سهله تكشف من خلالها الإشكاليات التي قد تكون عالقة في أذهانهم،

ومما يؤكد أهمية أسلوب التربية بالحوار أن القرآن الكريم أكثر من استخدامه وذلك في مواطن عديدة، فهو حافل بنماذج من الحوارات التي جرت بين أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام وبين أقوامهم، وغيرها من الحوارات المتعددة التي وردة بالقران الكريم ومن نماذج الحوار في القران الكريم، الحوار بين رب العزة والجلال مع ملائكته الكرام في قصة جعل خليفة في الأرض، وحوار الله سبحانه وتعالى مع إبليس الرجيم في قصة تكريم الله لأبونا ادم عليه السلام بأمره لسجود له عند نفخ الروح فيه، وهذه القصة هي الفارق بين الخير والشر، وهي بداية العداوة والمكائد الشيطانية لإظلال آدم وذريته وتحويلهم عن الطريق المستقيم، حوار نبي الله نوح عليه السلام مع قومه، والذي ذكر فيها كيف انه حاور قومه في جميع المواقف سرا وجهارا ليلا ونهارا، حتى يتمكن من إيصال الحق لهم وعندما مارس معهم جميع إشكال الحوار، ولم يستطع إقناعهم علم انه قد حق عليهم العذاب، ومن ذلك ما قصه الله عز وجل لنا حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود، حوار موسى عليه السلام مع فرعون ومع قومه في قصص عديدة مع اليهود ومنها عندما أمرهم بذبح بقرة، وحوار موسى عليه السلام مع الخضر في قصة تربوية تعليمية، وغيرها من المواقف التي ذكرها لنا الله جل شانه في كتابه الكريم، ومنه قصة حوار أصحاب الجنة لما اتفقوا على جنيها ولا يزكوا ثمارها التي وردة في سورة القلم موضوع البحث. وغير ذلك من النماذج العديدة الواردة في القران الكريم.

ومما يؤكد أهمية هذا الأسلوب أن الله سبحانه وتعالى أمر به، وحث رسوله عليه

في أكثر من موضع قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ (النحل: ١٢٥) أي: "من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كما أمر موسى وهارون، عليهما السلام، حين بعثهما إلى فرعون فقال: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ ﴾ (سورة طه: ٤٤)"[1]. وقال تعالى ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

ومما يدل على أهمية الحوار أن النبي ﷺ استخدم أُسلوب التربية بالحوار في تعليم الناس وتغيير قناعاتهم الخاطئة، وقد تحاور مع امرأة كانت تجادله بشأن زوجها فقال تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ﴾ (المجادلة: ١) ومن أشهر المواقف التربوية التي استخدم فيها النبي ﷺ أسلوب التربية بالحوار كان مع الشاب الذي استأذنه في الزنا، كما يروى هذه الحادثة أبو أمامة ﷺ قال: (**إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: ادنه فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: ولا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهّر قلبه، وحصّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء**)[2]، فكان هذا نموذجاً رائعاً من نماذج التربية بالحوار ومثله في السنة كثير. فالحوار "مطلب شرعي، وضرورة تربوية لا مندحة عنه، لذا استخدمه النبي ﷺ، هذا الأسلوب في كثير من

(١) ابن كثير، تفسير القران العظيم ، مرجع سابق، ٦١٣/٤.

(١) أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، مرجع سابق، ج٦، (رقم الحديث: ٢١٨٣٦)، ص٣٤٢ – صححه الألباني، السلسلة الصحيحة، ج١، ص٣٦٩ .

المواقف، وذلك بطرح الأسئلة على أصحابه ليثير انتباههم ويحرك ذكاءهم، ويسقيهم المؤثرة في قالب الإقناع والمحاجة"[1].

إن أسلوب التربية بالحوار يعتبر أكثر قبولاً في النفوس وأعمق أثراً في الطلاب، وذلك لأن المعلم باستخدامه أسلوب الحوار يستطيع أن يتعرف على مقدار المعلومات والمعارف الموجودة عند الطلاب، كما يُمَكِّن المعلم من التعرف على استشكالات الطلاب الفكرية والخبرات السلبية التي مروا بها لعلاجها، فيستطيع أن يتلقى المعلم من خلال هذا الأسلوب التغذية الراجعة من الطلاب، وكل ذلك يتم في جو من الفاعلية والنشاط بين المعلم وطلابه.

كما أن أسلوب التربية بالحوار يساعد على الابتكار ولاسيما أن الأمر المطروح يفكر فيه ليس عقل واحد بل عقول المتحاورين فيفتح أبواب الإبداع ويدور في الحوار على ألسنة المتحاورين ما لا يدور في خاطر الذات بمفردها، فتتلاقح الأفكار.

ويسهم أسلوب التربية بالحوار على تنمية مهارات الذات من فنون الاتصال ومراعاة الفروق الفردية، وأساليب الإقناع، وكيفية إثبات الحجة، وفن الاستماع للغير.

ويعمل هذا الأسلوب التربوي على إزالة الضغائن لأن الضغينة تنبت في أجواء انغلاق النفس على ذاتها فتمنع وتحول مبدأ الأعذار عن الآخرين لأنه لم يسمع منهم، بيد أن الحوار يزيل تراكمات النفوس من بعضها على بعض، "فهو من أهم العوامل التي تدعم أواصر التعاون والتلاحم والتواد والتالف بين أفراد الأسرة والمجتمع، والقضاء على الفرقة والنزاع والخلاف، وذلك لأن الحوار البناء يساعد على تبادل الآراء المفيدة، وزيادة الثقة المتبادلة، وإقناع أحد الطرفين"[2].

ويبقى الحوار مُشبِعاً للحاجات الفطرية من الكلام والسماع والعلاقات الاجتماعية لأن النفس بطبيعتها تميل على هذه الصفات والحوار تتعدد فيه هذه المنافع من مشارب متلونة.

ومما يبرز أهمية الحوار في حياة الطالب، أن مهارة الحوار تُكسِب الطلاب في

---

(١) جار الله الحداش، المهذب المستفاد لتربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، المكتبة الإسلامية، عمان، ١٤٢١هـ، ص٣١٠.

(٢) سعيد بن فالح المغامسي، التربية بالحوار مع الشباب وأثرها في تحصينهم من الانحرافات الفكرية والسلوكية، مدار الوطن، الرياض، ١٤٢٥هـ، ص٧٣.

مضمون تطبيقاتها مجموعة من الآداب مثل التواضع وخفض الجناح على مائدة العلم، ومنها تَعَلُّم حسن الاستماع للآخرين واحترامهم وعدم وضع حكم مسبق عليهم.

ويمكن تلخيص أهمية أسلوب التربية بالحوار بالنسبة للطالب في[1]:

١. تُمَكِّن الطالب من كسب حب الآخرين والتواصل معهم.
٢. تمنح الطالب القدرة على التأثير في الآخرين وإقناعهم.
٣. تساعدهم على تنمية وتطوير وزيادة معارفهم وأفكارهم ومهاراته.
٤. تحفظ وتوفر للطالب الكثير من الوقت والجهد.
٥. تمنح الطالب الثقة في النفس وتقدير وإعزاز الذات من خلال الارتقاء بمستواه الحضاري في التعامل مع الآخرين والقدرة على المحافظة على حقوقه وإمكانية الرد على الشبهات، وإجلاء الحقائق والمفاهيم غير الواضحة".

ما ينبغي على المعلم مراعاته لتطبيق أسلوب الحوار:

وحتى تتحقق أهداف هذا الأسلوب التربوي فإنه مما ينبغي على المعلم مراعاته عند استخدام هذا الأسلوب هو تلخيص ثمرة الحوار، "وذلك لتلافي ما قد يقع من إطالة المدرس في الإجابات عن بعض الأسئلة أو لحمله للإجابة عن أسئلة بعيدة عن الموضوع فيكون ذلك "سبباً لتقطيع المعلومات وبعثرتها لأن الإجابة قد يشترك فيه أكثر من طالب واحد ولذا لابد للمدرس من تجميع تلك المعلومات وإعادة إلقائها على الطلاب"[2]، وهذا يحمل المعلم لتنظيم عملية الحوار وتقنينها بخطة زمنية لكل محور حتى لا يتشعب الحوار بطريقة تُنسي بعضها بعضاً.

ومما ينبغي على المعلم مراعاته في أسلوب التربية بالحوار تحديد الهدف عند فتح باب الحوار، وعدم السخرية بإجابات الطلاب والاستنقاص منها فهو دافعاً لعدم مشاركتهم وتقبلهم بعد ذلك. وبالمقابل فإن المعلم يتولى عملية إدارة الحوار لاسيما إذا كانت بين الطلاب حتى يكون بشكل منظم وهادئ بعيدا عن الفوضى والمشادة، وكذلك يجب أن يكون في عملية الحوار مرجع مسلم به بين الأطراف المتحاورون فإذا

---

(١) إبراهيم الديب: أسس ومهارات بناء القيم التربوية وتطبيقاتها في العملية التعليمية، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، ١٤٢٧هـ، ص٢٢٢.

(٢) محب الدين أحمد أبو صالح: أساسيات في طريق التدريس العامة (مفاهيم – خطوات – مهارات – أنشطة)، دار الهدى للنشر والتوزيع : الرياض، ١٤٠٩هـ، ص٨٤ .

"وُجد الخلاف، واحتدم النقاش... يتم الرجوع عند الاختلاف إلى القرآن الكريم، وإلى صحيح السنة، وإلى القواعد الثابتة المستقرة، أو إلى ما كان عليه السلف الصالح ﷺ، المهم أن نتفق على أمور تكون مرجعًا عند الخلاف "[1] ويُحاكم إليها نتائج الحوار.

تقنيات الحوار وآدابه:

إن تقنيات الحوار وآدابه تجعل للحوار ثمرة حتى وإن اختلف المتحاورون، وتربي العقول على منهجية صحيحة لمعرفة الحقيقة وكيفية الحصول عليها وقبولها من الآخر، فلذلك يجدر بالمُعلم طرح هذه الآداب والتقنيات التي تمكن الطالب من الاستفادة من هذا الأسلوب التربوي، و يجدر تذكير الطلاب بهذه الآداب قبل استخدام أسلوب الحوار خصوصاً إذا لم يُستخدم معهم هذا الأسلوب من قبل، يقول طارق الحبيب عن آداب الحوار وتقنياته ما خلاصته:

- "أن يكون طلب الحق والإخلاص من أجل التوصل له، هو هدف بين المتحاورين.
- أن لا يستأثر المحاور بالحديث لوحده، ويطيل الكلام فيُنسي بعضه بعضا.
- أن يكون المحاور مستمعاً بارعاً بالأذن وطَرْف العين، وحضور القلب، وإشراقة الوجه.
- أن لا يقاطع الطرف الآخر في حواره واحترام حديثه.
- البدء بنقاط الاتفاق وتجنب عرض نقاط الاختلاف في بداية الحوار لأنه يوقف الحوار من أوله.
- فهم الشخصية المُحَاوِرة بإفساح المجال له بالبدء في الحديث حتى يقتصر الحوار على قدر احتياج الطرف الآخر من الحوار.
- تدعيم كل أطروحة إلى ما يدعمها بالحجة والبرهان لا بمجرد الكلام.
- الاعتراف بالخطأ حال التنبه بالصواب، بل ويشكر صاحبه أن أرشده إليه.
- عدم رفع الصوت أثناء الحوار فالحجة الواهية لا يدعمها الصوت المرتفع" [2].

ويُضاف أيضاً أدب "التواضع وتجنب الغرور والتزام الأسلوب المهذب الخالي من كل ما لا يليق"[3] سواءً كان من القول أو الفعل أثناء الحوار.

---

(٣) سلمان بن فهد العودة: أدب الحوار، الرياض: العبيكان، ١٤٢٤هـ، ص٢٤- ٢٩.

(١) طارق بن علي الحبيب: كيف تحاور، مؤسسة الجريسي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٩، ص١٣.

(٢) محمد سيد طنطاوي: أدب الحوار في الإسلام، مصر: نهضة مصر، ٢٠٠٢ م، ص١٦.

المطلب الثالث

الحوار في سورة القلم

ورد أسلوب الحوار في سورة القلم في ثلاثة مواضع وهي:

الموضع الأول: حوار أصحاب الجنة مع بعضهم، قال تعالى: ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ (سورة القلم: ٢١-٢٤) من خلال سرد القصة وكما بينت سابقا، أن أحد الإخوة لم يكن موافق على منع المساكين من ثمر جنتهم، بل هو بمثل ما عليه أبوهم، ولذلك عندما وقع عليهم العذاب، ذكرهم بحواره معهم سابقا قال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (سورة القلم: ٢٨) عندما أشدت النقاش بينهم واللوم قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (سورة القلم: ٣٠) أي: "يحاور بعضهم بعضًا"[(١)] فعندما ذكرهم وصلوا إلى نتيجة وهي أنهم كانوا على خطأ وأن أخيهم مصيب قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (سورة القلم: ٢٩) وآت الحوار ثمرته بأنهم تابوا ورجعوا إلى الله قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ (سورة القلم: ٣٢) أي: "إن أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنعت آباؤنا، فدعوا الله وتضرعوا فأبدلهم الله من ليلتهم ما هو خير منها"[(٢)].

الموضع الثاني: حوار الله سبحانه وتعالى مع كفار قريش في قوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (سورة القلم: ٣٥) يقول قطب: "يدخل معهم في جدل لا تعقيد فيه كذلك ولا تركيب. ويتحداهم ويحرجهم بالسؤال تلو السؤال عن أمور ليس لها إلا جواب واحد يصعب المغالطة فيه"[(٣)]. وقد بينت في سبب نزول الآية "كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها، فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المؤمنين قالوا: إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هي في الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا، وأقصى أمرهم أن يساوونا"[(٤)]، فنزلت الآيات

---

(١) محمد جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القران، مرجع سابق، ٢٠ / ٤٠٦.

(٢) محمد القرطبي، الجامع لأحكام القران، مرجع سابق، ١٨ / ٢٤٥ .

(٣) سيد قطب، في ظلا ل القران، مرجع سابق، ٧ / ٢٨٤ .

(٤) محمد القرطبي، الجامع لأحكام القران، مرجع سابق، ١٨ / ٢٤٦ .

تحاورهم حول هذه الشبه التي أثاروها، وحاورهم عن طريق طرح الأسلة، والتي إجابتها محل اتفاق فقال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (سورة القلم: ٣٧-٣٨) أي: أفبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف، مُتضمن حكما مؤكدًا كما تدعونه؟"[1] فالجواب لا فسألهم: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (سورة القلم: ٣٩) فالجواب لا إذن من أين أتيتم بهذه الشبه لا يوجد دليل عليها ثم سألهم ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ الجواب في اعتقاد كفار مكة نعم لهم شركاء، فجاء طلب الدليل منهم على وجود الشركاء من دون الله، فسألهم ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾﴾ (سورة القلم: ٤١) طبعا لا يوجد عندهم شركاء لله أنما يعبدون أصناما لا تضر ولا تنفع.

الموضع الثالث: الحوار مع كفار قريش حول موضوع السورة العام وهو صدق رسالة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (سورة القلم: ٤٦)، أي: " هل سألت هؤلاء القوم أجرا يُجهدهم، فلا يستطيعون الإسلام"[2]. وهذا أيضاً بطريقة طرح الأسئلة التي جوابها؟ لا فكأن السؤال ما هي مصلحة محمد من الدعوة إلى عبادة الله، هل طلب منهم أجرا على دعوته لم، طبعا لا جاء الجواب في سورة أخرى من القران قال تعالى: ﴿... فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ (سورة يونس: ٧٢) فهو يطلب الأجر من الله الذي أعطاه إياه في أول السورة بقوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾ (سورة القلم: ٣) فبما أن محمد ليس لديه مصلح دنيوية في دعوته لهم ، فهل عندهم علم أو هدى أفضل مما جاء به محمد، وهل لديهم أدلة على ما هم عليه من الكفر وعبادة الأصنام، لذلك جاء السؤال الثاني بقوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ (سورة القلم: ٤٧) أي: "من ثم فهم على ثقة مما في الغيب، فلا يخيفهم ما ينتظرهم فيه، فقد اطلعوا عليه وكتبوه وعرفوه؟ فكتبوه ضامناً لما يشتهون؟ ولا هذا ولا ذاك؟ فما لهم يقفون هذا الموقف الغريب المريب؟"[3].

فهذه النقاشات والحوارات والتساؤلات أتت ثمرتها فبسببها أقتنع كثير من قريش،

---

(١) ابن كثير، تفسير القران العظيم، مرجع سابق، ٤ / ١٩٨.

(٢) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القران، مرجع سابق، ٢٢ / ٤٨٤.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ٧ / ٣٠٤.

برسالة محمد وأنه نبي مرسل من عند الله وأن ما يدعو إليه هو الحق، ولذلك أمنوا معه وصدقوه بعد أن عادوه وحاربوه في أول الدعوة.

ما يستفاد من الحوارات الواردة في سورة القلم:

١. تحديد الهدف المراد من الحوار. فعندما تحاور أصحاب الجنة كان الهدف هل يمنعوا المساكين من ثمر الجنة أو يعطوهم ، وعندما حاور الله كفار قريش في الموضع الثاني، كان الهدف واضح وهو عدم مساواة المسلمين بالمجرمين، وفي الموضع الثالث كان الهدف هو إثبات صدق رسالة محمد ﷺ.

٢. طريقة طرح الأسئلة في الحوار، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (سورة القلم: ٣٧) وقال تعالى: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (سورة القلم: ٤٦)، طريقة طرح الأسئلة في الحوار استخدمها القران كثيرا قال تعالى: ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (سورة الصافات: ١٥٦- ١٥٧)، وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (سورة الطور: ٣١- ٤٣)، وهذه الطريقة مفيدة إذا تم تخطيط الأسئلة بشكل جيد، فهي تختصر الوقت على المتحاورين، كما أنها تقرب الأفكار بشكل أكثر، كما إنها تشد أفكار المتحاور حيث أنه يستعد للإجابة على التساؤلات المطرحة، كما إنها لا تطيل الجدل بين المتحاورين بل كل ما يحتاجه هو الإجابة على هذه الأسئلة حتى يتوصل إلى النتائج.

٣. عند فتح باب الحوار يبدأ بمناقشة الأمور المتفق عليها أولا فالله سبحانه وتعالى طرح على كفار قريش الأسئلة المتفق على إجابتها ،وترك الإجابة لهم حتى يستنتجوا النتائج من تلقاء أنفسهم، ثم طرح عليهم السؤال محل الخلاف وهو قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ فإجابة السؤل باعتقاد كفار قريش نعم لهم شركاء يدعونهم من دون الله

فسألهم عن الدليل فقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ (سورة القلم: ٤١) أي "ليحضروهم حتى يرى هل هم بحال من يضر وينفع أم لا"[1] فلن يستطيعوا أن يأتوا بهم لأنهم مجرد حجر لا يضر ولا ينفع.

٤. المحاور قد لا يقتنع من أول مرة فقد يكابر في بداية الأمر . فيجب عدم اليأس من أقناعة بل تركه فترة حتى يأخذ فرصة لكي يرجع إلي عقله أو يمر بموقف يقنعه مثل ما حصل لأصحاب الجنة فإنهم لم يقتنعوا بقول أخيهم إلا بعد ما وقع عليهم العذاب، فكان حواره من قبل قد سهل عليه المهمة، فما كان من إلا أن ذكره بقوله لهم، حتى يرجعوا إلى رشدهم ويتوبوا إلى الله، كذلك كفار قريش لم يقتنعوا بالنقاشات التي أوردها الله لهم في كتابه أو على لسان رسوله، في بادئ الأمر ولكن بعد فترة، أمنوا جميع قريش والعرب مع محمدﷺ. فليعلم المربي أن مجرد إن المتربي يتقبل الحوار فهذا إنجاز كبير أم الاقتناع فيأتي لاحقا ولا يشترط أن يكون من أول جلسة.

٥. الحوار يحتاج إلى صبر، فليس كل المتحاورين يتفهمون أسلوب الحوار بل قد يسمع المحاور من متحاورة كلام جارح فأن لم يتحلى بالصبر لا يستطيع أن يقنع متحاورة بجميع الأفكار التي يريد طرحها، فهاهو سيد الأنبياء والمرسلين عندما كان يحاور قريش هم لم يتعودوا على هذا الأسلوب بل لا يؤمنون إلا بمبدأ القوة فقط، سمع منهم أشد أنواع الأذى فالتهموه بالجنون وبالسحر وغير ذلك فأمره سبحانه وتعالى بالصبر قال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة المزمل: ١٠) وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ (سورة القلم: ٤٨) وشواهدها بالقران الكريم كثير. والله تعالى أعلم...

(١) عبد الحق ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق، ج٦ص٣٩٣ .

الفصل السادس

التطبيقات التربوية للمضامين الواردة في سورة القلم من خلال الأسرة

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : التطبيقات التربوية للمضامين الإيمانية والتعبدية.

المبحث الثاني: التطبيقات التربوية للمضامين الأخلاقية والاجتماعية.

المبحث الثالث: التطبيقات التربوية للأساليب.

مقدمة

إن الأوساط التربوية بمجموعها تؤدي دوراً فعّالاً مؤثراً ومهمّاً في تطبيق المضامين التربوية، وترجمتها عملياً، وجعلها واقعاً ملموساً مما يؤدي إلى اقتطاف ثمارها اليانعة، والاستفادة منها في القيام بعملية التربية في جميع المجالات الحياتية، لتتحقق بذلك السعادة الدنيوية والأخروية. فهذه المؤسسات التربوية كثيرة، ولا يسعنا في هذا البحث استيعابها جميعا، ولكن الباحث سوف يتناول الأسرة لتطبيق المضامين التربوية الواردة في سورة القلم، وذلك لأن الأسرة هي اللبنة الأساسية في المجتمع المسلم، والمعقل الأول الذي يتربّى فيه الطفل تربية إسلامية صحيحة ويتلقى فيه الفضائل الخلقية وغير ذلك من العادات والتقاليد.

كما أنها بمثابة المشرف على جميع المؤسسات التي لها علاقة بتربية أبناءها، فهي تستطيع أن تغير المدرسة التي يدرس بها الطفل، كما تستطيع أن توجد له الرفقة الصالحة، وتستطيع إلى حد ما أن تتحكم في القنوات الفضائية والوسائل الإعلامية، وغيرها من الوسائط التربوية، فإن الأسرة إلى حد ما تستطيع التحكم بجميع المؤسسات التربوية.

كما أن الأسرة هي التي تتلقى الطفل في بداية حياته، وهي التي تنمي لديه الجوانب العاطفية والوجدانية بالحب والحنان، والجوانب النفسية، والتي لها الدور الأساسي في تشكيل حياة الطفل، وما سوف يترتب عليها من قوة التحصيل الدراسي والتوافق الاجتماعي مما يحقق له حياة هادئة ومتزنة.

وسوف يتناول الباحث هذا الفصل من ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: التطبيقات التربوية للمضامين الايمانية والتعبدية.

المبحث الثاني: التطبيقات التربوية للمضامين الأخلاقية والاجتماعية.

المبحث الثالث: التطبيقات التربوية للأساليب التربوية.

وقبل البدء في التطبيقات التربوية للمضامين الواردة في سورة القلم لابد أن نتعرف على مفهوم الأسرة، ودورها التربوي وذلك على النحو التالي:

مفهوم الأسرة

الأسرة في اللغة: هي الدرع الحصين. وأسرة الرجل هي عشيرته، وأهل بيته، ورهطه الأدنون منه لأنه يتقوى بهم [1].

وفي الاصطلاح: يمكن تعريف الأسرة بأنها: الأقرباء الذين يعيشون في مكان واحد ويتفاعلون فيما بينهم.

وتعرف الأسرة في الاصطلاح التربوي: بأنها المؤسسة الاجتماعية التي تحتضن الطفل وتهتم بتعديل سلوكه، وتعتني بتعليمه وتربيته في حياته [2].

دور الأسرة في تربية الأبناء

الأسرة هي اللبنة الأساسية في المجتمع المسلم، والمعقل الأول الذي يتربّى فيه الطفل تربية إسلامية صحيحة ويتلقى فيه الفضائل الخلقية وغير ذلك من العادات والتقاليد. وينشأ الطفل ويتربّى في هذا المحضن ما دام على قيد الحياة لأنه لا يهتم بالإنسان في أيام طفولته فحسب، وإنما يعنى بمراحل النمو الأخرى ليتم التوازن والتكامل بينها، ويتعود تقليد الكبار في أسرته فيما يفعلون فإذا وجدهم ملتزمين بالشرائع الإسلامية قائمين بأداء الفرائض والواجبات فإنه يتأثر بهم في كل صغيرة وكبيرة.

لقد أولت التربية الإسلامية الأسرة مكاناً هامّاً ووضعت على عاتقها عبء تربية الأبناء قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ (سورة التحريم:٦).

وهذا واضح في وقوع مسؤولية تربية الأولاد على الأسرة ووقايتهم من الخسران المبين بتربيتهم على الإيمان بالله تعالى ليفوزوا بسعادة الدارين.

فعلى الأب والأم تقع مسؤولية تنشئة الأبناء وإنقاذهم من الضياع والنار التي هي مصير كل من لم يؤمن بالله، "وهذه المهمة تزداد أهمية في الوقت الراهن لتدفق الوسائل الإعلامية خارج البيت والمدرسة، ليست في كل الأحيان موافقة لما تسعى إليه التربية الإسلامية كالمذياع والتلفزيون وكثير من المجلات الخليعة والشبكة العنكبوتية

(١) ابن منظور: لسان العرب: مرجع سابق: ١٤١/١.

(٢) أحمد أبو هلال وآخرون: المرجع في مبادئ التربية، ص ٤٣٢.

(انترنت) والقنوات الفضائية وغير ذلك مما تسرِّب إلى أيدي كثير من الأطفال من الأمور المخالفة للدين الإسلامي الحنيف والخالية من الأخلاق الفاضلة، ولذلك فلا بد للأبوين أن يكونا يقظين حذرين في وقاية أولادهم من احتيال هذا الغزو الإعلامي"[1] .

فالأسرة المسلمة هي نواة المجتمع المسلم، وهي مبدأ التربية والصلاح وتقويم الأخلاق، وإسداء التوجيهات والإرشادات لأبنائها، فللوالدين دور مهم في بناء شخصية الطفل بناء سويًّا، من الجهة الجسمية وكذا النفسية حتى يشب سويًّا، يقول الإمام أبو حامد الغزالي: "اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأؤكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه؛ فإن عُوِّد الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عوّده الشر وأُهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له"[2].

(١) عبد الرحمن النحلاوي : أصول التربية الإسلامية: مرجع سابق: ص ١٢٤.

(٢) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج٣، ص٧٢.

المبحث الأول

التطبيقات التربوية للمضامين الإيمانية والتعبدية

تمهيد

إن للتطبيقات التربوية الواقعية أهمية كبيرة في تعويد النشء على أداء الواجبات الإسلامية الصحيحة، وغرس الفضائل الإيمانية الدافعة إلى عبادة الله وحده، وتذوق حلاوة الإيمان، والتنعمّ بما يمارسونه من العبادات الشرعية لأنهم يدركون أن لهم نعمتين: نعمة أخروية يرجون بها ثواب الله، ونعمة دنيوية يتنعمّون بما أُحلّ لهم فيها قاصدين بذلك القيام بعبادة الله. يقول السعدي: "المؤمن بالله حقاً قد تنعّم بعبادة الله راجياً ثوابه، وتنعّم بنصيبه من الدنيا على الوجه الأكمل، فإنه تناوله من حله ووضعه في محله، قاصداً به قيام ما عليه من الواجبات مستعيناً به على عبادة ربّه" [1]. وتتجلى التطبيقات التربوية لمضامين التربية الإيمانية والتعبدية المستنبطة من سورة القلم من خلال الأسرة والتي يمكن من خلالها ترجمة هذه القضايا إلى واقع ملموس كما يلي:

أولا: التطبيقات التربوية للمضامين الإيمانية

(١) أن تكون الأسرة "قدوة صالحة للأولاد في تحقيق الإيمان بالممارسة العملية للأعمال المؤدية إلى تنمية الإيمان بالله ككثرة تلاوة القرآن وتدبره بحضرة الأبناء وتعويدهم على ذلك لاسيما السور القصار لأنها تشتمل على أصول الإيمان" [2]. وتوضيح لهم أهمية الإيمان بالله سبحانه وتعالى وأنه مفتاح السعادة بالدنيا والآخرة.

(٢) أن يذكّروا الأبناء بنعم الله تعالى على الإنسان وبيان ما حباهم المولى عز وجلّ من الفضائل والإكرام، وما رزقهم من أنواع الطيبات وما سخّره لهم مما يدفعهم إلى الاعتراف بالنعم والشعور بالتقصير في جنب الله. فيجدون في جميع جوانب الكون مجالاً خصباً للتذكير بنعم الله الشاملة. وفي ذلك يقول ابن تيمية: "ففي كل ما

---

(١) عبد الرحمن السعدي: المجموعة الكاملة للسعدي: ثقافة إسلامية، مرجع سابق: ١/٣٧٧.

(٢) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن: مرجع سابق: ص ٦٣.

خلقه الله إحسان إلى عباده، يحمد عليه حمد شكر، وله فيه حكمة تعود إليه، يستحق لأجلها أن يحمد عليه حمداً يستحقه لذاته" [1]. ويحذرهم من عاقبة البطر والكفر بنعمة الله جل وعلا، مثل ما حصل من أصحاب الجنة، الذين اغتروا بنعمة الله عليهم، وأرادوا أن يمنعوا المساكين من ثمرها، فعاقبهم الله وأحرق جنتهم،ففشلوا بالامتحان الذي امتحنهم الله به قال تعالى ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ (سورة القلم) فلو أنهم شكروا الله على نعمته التي أنعم عليهم بها، وأتوا حقها كما أمرهم جل وعلا، لزادهم الله خيرا في الدنيا والآخرة، وهذا ما يجب غرسه في نفوس الأبناء، كي يعلموا أن ما أعطاهم الله من خير إنما هو امتحان للإنسان أيشكر أم يكفر بنعمة الله، فإن شكر زاده الله قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (إبراهيم: ٧) وإن كفر نعمة الله وجعل هذا الخير والمال الذي أتاه الله إياه وسيلة للفساد في الأرض والتكبر على عباد الله، ووسيلة للعنجهية والظلم، كان عقاب الله شديد، ومن ذلك العقاب أن الله سوف يحرمه هذا المال كما حرم أصحاب الجنة ثمر جنتهم.فهذا يُربّي عند الإنسان التواضع وعدم التطرّف أو الغرور.

(٣) تنمية حب الرسول ﷺ في قلوب المتربين، وتبين أخلاقه العظيمة التي كان يتصف بها، وضرورة الدفاع عنه، وأول طريقة لدفاع عنه هي الطريقة التي دافع الله عنه بها في سورة القلم هي توضيح أخلاقه التي كان يتصف ﷺ بها قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ (سورة القلم) فليس هو بالمجنون كما زعم كفار قريش الذين هلكوا، وبقي اسمه ﷺ عاليا مرفوعا، وبقي دينه ذكر للعالمين إلى يوم الدين ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (القلم) وما هو بالإرهابي كما يزعموا كفار اليوم الذين سيهلكون، وتبقى كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى،وأنه ﷺ ما جاء ألا هدى لناس ورحمة للعالمين، لم يطلب أجر من احد من البشر على تبليغه دين الله قال تعالى: ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (سورة القلم) أنما أجره على الله هو الذي يعطيه لأجر الكامل﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ (سورة القلم) فيجب غرس كل هذه المبادئ في نفوس الناشئين، وتعميق حب المصطفى ﷺ في نفوسهم

(١) ابن تيمية: الحسنة والسيئة، مرجع سابق، ص ٧١.

حتى يجعلوه قدوة لهم، في إيمانهم وعبادتهم، وفي أخلاقهم وجميع تعاملاتهم مع الله أو مع الناس.

(٤) كما يجب على الأسرة أن تهتم بتربية أبناءها على الإيمان باليوم الآخر وذلك كما بينته الآيات الواردة في السورة فيؤمنوا بالجنة والحساب، الثواب للمتقين، والعقاب للعاصين المفرطين وأن الله لن يساوي يوم القيامة بين المسلم والكافر ولا بين المطيع والعاصي، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ (سورة القلم) كما يجب على الأبوين أن يبينا عقوبة من يرفض السجود لله بالدنيا والوقوف عند محارمه واجتناب نواهيه وهي العقوبة التي وردت في سورة القلم، وهي إن الله سوف يحرمه من السجود له يوم القيمة يوم يكون السجود تكريما وتشريفا للإنسان فلا يستطيعون في ذلك اليوم السجود عقابا لهم قال تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (القلم: ٤٢ - ٤٣).

فلإيمان باليوم الآخر يؤدي إلى:

أ- "تربية الشعور الحقيقي بالمسؤولية.

ب- تحقيق الأخلاق الفاضلة المطلقة في سلوكنا وحياتنا تحقيقاً فعلياً مستمراً ثابتاً غير متقلّب، بلا نفقا ولا رياء.

ت- انضباط جميع الدوافع والغرائز، والتحكّم في هذه القوى الغريزية الجامحة.

ث- إيثار الآخرة على الدنيا، والصبر على الشدائد.

ج- تربية العقل على الفطرة السليمة"[1].

ح- الحرص على طاعة الله رغبة في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

خ- تسلية المؤمن عمّا يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

د- استشعار كمال عدل الله تعالى، حيث يُجازي كلاً بعمله مع رحمته بعباده.

(١) عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص٨٥ باختصار.

ثانيا: التطبيقات التربوية للمضامين التعبدية

(١) يجب على الأسرة تعليم أفرادها عند البلوغ مفهوم العبادة بمعناها الشامل وأن تبين لهم "أن ذلك غير محصور في أداء الشعائر التعبدية فحسب، وإنما تشمل جميع الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة التي يحبها الله عز وجلّ ويرضاها" [١].

(٢) وعلى الأسرة المسلمة أن تغرس تقوى الله عز وجلّ في نفوس أولادها، وذلك بأن تكون قدوة لهم بتطبيق التقوى في جميع مجالات الحياة، وأن تهتم بتعليمهم أهمية تقوى الله وأنها مركب النجاة في الدنيا والآخرة، وأن يجعلوا تقوا الله معهم أين ما كانوا وحيث ما حلو وأن يراقبوه في السر والعلن، كما قال ﷺ **((أتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن))**[٢] وان جزاء ذلك عند الله عظيم في الدنيا والآخرة.

(٣) على الأسرة أن تكثر من الاستغفار والإنابة إلى الله في اليوم والليلة لتكون قدوة لأولادها في ذلك، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (سورة التحريم: ٨). واستجابة لأمر النبي ﷺ حيث قال: **((أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة))**[٣] . "وفي هذه النصوص دليل واضح على اعتناء التربية الإسلامية بتربية المسلمين على خلق الرجوع والإنابة إلى الحق وعدم الإصرار على الباطل والتمادي فيه، وهي تعمل كذلك على استثارة بواعث الإيمان الدافعة إلى الاستقامة على الحق في نفوسهم؛ ولذلك عندما يخطئ يجد نفسه مدفوعاً إلى التوبة والرجوع إلى الحق والصواب مهما كلفه ذلك"[٤].

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، مرجع سابق: ١٤٩/١٠.

(٢)رواه الترمذي، سبق تخريجه ص٥٩

(٣) مسلم: صحيح مسلم، ج٤ (رقم الحديث:٢٧٠٢)، مرجع سابق، ص ٢٠٧٥ .

(٤) عبد الرحمن الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ٦٨١/١.

(٤) على الأسرة أن تعلم الأبناء بأن: "بني آدم خطاءون كثيروا الانحراف عن سواء السبيل كلما كبت بهم الإرادة وضعفت عن ضبط القيادة وانحرفت بهم عجلات مركبة الحياة عن سبيل الهداية لذلك كانوا بحاجة مستمرة إلى تجديد التوبة والإنابة إلى الله... إن الذنوب والمعاصي تبعدهم عن الله والتوبة تردهم وترجعهم إليه" [(١)] . فالتوبة علاج نفسي لأنها تطهر المذنب من مشاعر الذنب الذي يهدد أمنه النفسي ويساعده على تقبل ذاته ويعطيه الأمن والأمان النفسي [(٢)] .

(٥) من التطبيقات التربوية لمبدأ التوبة والرجوع إلى الله ، أن تعمل الأسرة على إفهام الأبناء وتعريفهم بأن الله أعطى الإنسان مبدأ إتاحة الفرصة له إذا أخطأ وعمل المعاصي ، حيث أتاح له مبدأ التوبة والرجوع إلى الله . كما ينبغي إفهام الأبناء أن الإنسان كثير الخطأ ، وأن الله سبحانه غفور رحيم يقبل توبة عباده مهما أخطئوا ومهما عملوا من معاصي، وخاصة إذا اقبلوا عليه بقلب صادق عازم على عدم الرجوع إلى الخطأ ، ومتأكد من قبول الله سبحانه وتعالى لتوبته، وعليهم أن يغرسوا في نفوس أبنائهم عدم اليأس والقنوط من رحمة الله . ومما يمكن أن تعمله الأسرة في تعميق هذا المبدأ هو تعامل الوالدين مع الأبناء إذا أخطئوا ، حيث يحرصون على قبول عذرهم وتشجيعهم على الاعتراف بالذنب والخطأ، لأن الاعتراف بالذنب والخطأ فضيلة، كما يجب على الوالدين أن يحرصوا على إشاعة روح التسامح بين الأبناء، ودعوتهم إلى العفو والصفح وقبول عذر من أخطأ عليهم ، مع إشعارهم بأن الله الذي خلقنا جميعا يعفو ويصفح ويقبل توبة المسيء، مهما حصل منه، وتذكيرهم بأننا جميعا يجب علينا أن نتوب إلى الله وأن نستغفره دائما . لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (سورة الأنفال : ٣٣)

(٦) وعلى الأسرة أن تساعد أبناءها في البعد عن المعاصي والذنوب ، بكل الوسائل والأساليب ، وأن تذكرهم دائما بضرورة الإحساس بمراقبة الله لهم في السر والعلن لأنك مهما عملت من معاصي فإن الله يعلمها ، لذا فالتوبة والاستغفار هي

(١) عبدالرحمن الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ١/ ٦٧٨ .

(٢) محمد محمود محمد: علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، ط٣ ،دار الشروق، ١٤١٦هـ، ص٤٠٦.

الدواء الشافي بإذن الله لجميع الذنوب والمعاصي وهذا يزيد من ثقتهم في أنفسهم، ويقلل شعورهم بالذنب الذي يؤدي إلى اضطراب نفسياتهم وشعورهم بالهم والضيق . كما أن الوالدين ممكن أن يستفيدوا من أسلوب القصص في تعميق مبدأ التوبة في نفوس أبنائهم ، كسرد قصص التائبين من الأنبياء والصالحين ، كما يرشدونهم إلى قراءة الكتيبات الخاصة بقصص التائبين من الذين كانوا على المعاصي فعرفوا الحق وعادوا له، وذلك كما بينه الله لنا من قصة نبيه يونس عليه السلام، عندما تاب وعاد إلى الله وسبح الله في بطن الحوت فغير الله حاله فتاب عليه قال تعالى ﴿ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾(سورة القلم)

(٧) تعليمهم أن الاعتراف بالخطأ فضيلة، والإقلاع عن الذنب ميزة عظيمة، كما بين لنا في قصة أصحاب الجنة عندما أخطئوا وجههم أوسطهم لتوبة والاستغفار قال تعالى ﴿ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾(سورة القلم)

(٨) وعلى الأسرة الاهتمام بتعويد الأبناء على التسبيح والتوكل على الله عز وجلّ عن طريق القدوة وأن تلقّنهم الأحاديث والآثار الواردة فيهما وأن تكون متابعة وموجهة لهم حتى يعتادوا ذلك فتصبح عندهم عادة لصيقة بهم لا يستريحون إلا بالقيام بهما وغيرهما من العبادات [1] .

(٩) ومن التطبيقات التربوية تعويد النشء على تقديم مشيئة الله سبحانه عند عزمهم على أي أمر فإذا قالوا سوف نفعل كذا نلزمهم بقول (إنشاء الله)، وذلك لأن الله ذكر لنا في قصة أصحاب الجنة أنهم عزموا على صرم ثمرها ولم يقدموا مشيئة الله قال تعالى ﴿ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (سورة القلم) أي ولا يقولون إنشاء الله"[2]

(١) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية: ص ٣٨١.

(٢) الحسن البغوي: معالم التنزيل، ج٨ ص١٨٤

المبحث الثاني
التطبيقات التربوية للمضامين الأخلاقية والاجتماعية

تمهيد

إن استخراج مضامين التربية الأخلاقية والاجتماعية من سورة القلم ، والعلم بها ، لا يكفي في التحلي بالأخلاق الحميدة ، والعادات الطيبة ، أو استئصال الأخلاق الذميمة ، ما لم تطبق تلك التعاليم الأخلاقية الحسنة عملياً في أرض الواقع ، وتمارس فعلياً ، للتحلّي بحسن الخُلق ، حتى تتكون لدى النشء ملكات راسخة ، وتصبح سجايا خُلقية تظهر في المعاملات والعلاقات الإنسانية في جميع جوانب حياتهم. وتتجلى التطبيقات التربوية لمضامين التربية الأخلاقية والاجتماعية المستنبطة من سورة القلم من خلال الأسرة والتي يمكن من خلالها ترجمة هذه المضامين إلى واقع ملموس ومثمر. ويمكن تفصيل ذلك فيما يلي:

أولا : التطبيقات التربوية للمضامين الأخلاقية من خلال الأسرة:

"إن بناء الجانب الخُلقي لدي الناشئ المسلم، وغرس الفضائل الخُلقية فيه، من أفضل ما ينبغي أن تعتني به الأسرة المسلمة في تربية الولد ، تربية إسلامية فاضلة مثمرة ، وذلك لأن شخصيته ترتكز عليها مدى الحياة" [(١)].

وهذا صحيح، لأنه لا دين بلا أخلاق، كما أنه لا أخلاق بلا تربية ، وهذا ما ركزت عليه سورة القلم، وقد عرفنا أنه على قول جمهور المفسرين من أوائل ما نزل من القران الكريم، فقد ركزت على التربية الخلقية ، حتى قال عنها ابن تيمية رحمه الله "سورة الخلق الذي هو جماع الدين الذي بعث فيه محمد ﷺ"[(٢)]

والتربية الخُلُقية هي العمل على تنشئة النشء على جميع ما دعا إليه القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة من الفضائل، ولذلك أكدت أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى

---

(١) عائشة عبد الرحمن الجلال: المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم وطرق علاجها : رسالة ماجستير منشورة: مرجع سابق: ص ٢٢٣.

(٢) ابن تيمية دقائق التفسير، مرجع سابق، ٥ / ١٤.

عنها أن خُلق النبي ﷺ كان القرآن . ولحاجة المسلم إلى الالتزام الأخلاقي يجعل النبي ﷺ البناء الأخلاقي هدفاً أساساً من أهداف رسالته فيقول ﷺ: **((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))**[1] . ويعتبر هذا الحديث جامعاً لكل معنى الصلاح والخير، والدين والفضل، والمروءة والإحسان.

وفي هذا التوجيه التربوي العظيم من النبي الكريم ﷺ، فوائد تربوية عظيمة، وذلك لبيان أن المنهج التربوي الإسلامي يجمع التوجيه الديني والخُلقي في كافة مكوناته وجوانبه.

فالأسرة المسلمة لا تهتم بغرس الأخلاق الحميدة في نفوس النشء فحسب، "بل تعمل على نبذ الصفات الذميمة والرذائل الخُلقية، التي قد تزاحم، وتصارع الأخلاق الحسنة بشتى الوسائل والأساليب الممكنة" [2] كما في حديث عمرو بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ أنه قال: **((كنت غلاماً في حجر النبي ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصَّحْفَة، فقال لي رسول الله ﷺ: يا غلام سمِّ الله تعالى وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك، فما زالت تلك طعمتي بعدُ))** [3] .

وعلى الأبوين تحمل المسؤولية الكبرى في تربية الأولاد تربية حسنة، وتنشئة أخلاقهم الفاضلة وتهذيب آدابهم وعاداتهم، ووقايتهم من الانحراف الخُلُقي؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة النحل: ٩٠). ويستفاد من هذه الآية تربوياً أهمية الاهتمام بغرس الفضائل الخُلقية، وإزالة الأخلاق الذميمة، ووقاية النشء من الأخلاق الفاسدة، وعلي الأبوين أن لا يكتفيا بالتربية النظرية بالتوجيه والإرشاد والتشجيع فحسب، بل عليهما أن يترجما ذلك تطبيقياً بالتدريب والممارسة والتعويد. ويمكن للأسرة تطبيق المضامين الأخلاقية الواردة في سورة القلم من خلال التالي:

---

(١) رواه أحمد بن حنبل في المسند، سبق تخريجه ص ٧٨.

(٢) أحمد بن سعيد الغامدي: المسئوليات التربوية للأسرة المسلمة: مرجع سابق: ص ١٣٠.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، ج٦، (رقم الحديث: ٥٣٧٦) كتاب الأطعمة: باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، ص ٤٧٠

(١) من التطبيقات التربوية للمبادئ الأخلاقية الفاضلة التي دعت وحثت عليها السورة، هو أن تكون الأسرة على يقين من أن الأخلاق الفاضلة هي نتيجة وثمرة طيبة "من ثمرات الإيمان الراسخ والتنشئة الدينية الصحيحة ... فالطفل منذ نعومة أظفاره حين ينشأ على الإيمان بالله، ويتربى على الخشية منه والمراقبة له، والاعتماد عليه، والاستعانة به ، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع .. تصبح عنده الملكة الفطرية، والاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة، والاعتياد على كل خلق فاضل كريم ..لأن الوازع الديني الذي تأصل في ضميره، والمراقبة الإلهية التي ترسخت في أعماق وجدانه ، والمحاسبة النفسية التي سيطرت على تفكيره وإحساساته .. كل ذلك بات حائلا بين الطفل وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة المرذولة ، والتقاليد الجاهلية الفاسدة ..بل إقباله على الخير يصبح عادة من عاداته ، وتعشقه المكارم والفضائل ويصير خلقا أصيلا من أبرز أخلاقه وصفاته ..وحينما تكون التربية للطفل بعيدة عن العقيدة الإسلامية، مجردة من التوجيه الديني، والصلة بالله تعالى عز وجل..فإن الطفل - لا شك - يترعرع على الفسوق والانحلال، وينشأ على الضلال والإلحاد، بل سيتبع نفسه هواها، ويسير خلف نوازع النفس الأمارة، ووساوس الشيطان وفقا لمزاجه وأهوائه وأشواقه الهابطة."[١]

(٢) على الأسرة المسلمة أن تؤصل مبدأ القدوة الحسنة في نفوس الأولاد منذ الصغر، لأن ذلك سبب في التحلي بالأخلاق الحميدة والأعمال الجميلة والتخلي عن الأخلاق الذميمة. قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب:٢١) . ثم إن أول قدوة للأولاد في الأسرة هما الوالدان لأن كل تصرف يصدر منهما يراه الأبناء أنه هو الصحيح وما سواه خطأ، وذلك لأن "طبيعة الطفل هي محاولة تقليد الذين يحبهم ويحترمهم ويتقمص شخصيتهم مثل الوالدين، فالطفل يقلد أباه في كل شيء، في لبسه وجلسته وغير ذلك" [١] . وهذا صحيح لأن "الولد مهما كان استعداده للخير عظيماً ومهما كانت فطرته نقية سليمة فإنه لا يستجيب لمبادئ الخير وأصول التربية الفاضلة ما لم ير

---

[١] عبدالله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٣٣.

(٢) عبد الرحمن البابطين: أساليب التربية الإسلامية: مرجع سابق، ص ١٤.

المربي في ذروة الأخلاق وقمة القيم والمثل العليا، ومن السهل على المربي أن يلقن الولد منهجاً من مناهج التربية، ولكن من الصعوبة بمكان أن يستجيب الولد لهذا المنهج حين يرى من يشرف على تربيته ويقوم على توجيهه، غير متحقق بهذا المنهج وغير مطبق لأصوله ومبادئه" [1] . إذن لا قيمة في توجيه وإرشاد وتشجيع في علم وقول لا يترجم إلى عمل قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (سورة الصف:٢) .

(٣) على الأبوين تدريب الأطفال على جميع الصفات الخُلقية الفاضلة، وإيجاد وسط أسري تربوي متحلي بكافة الأخلاق الإسلامية الفاضلة، ويبتعد عن الأخلاق المذمومة الواردة في سورة القلم، وهذا التعويد والممارسة هو الذي يصقل في الطفل حب الأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الأخلاق المذمومة . يقول الماوردي رحمه الله في بيان أهمية التدريب والممارسة الأخلاقية بأن: "الأدب مكتسب بالتجربة، أو مستحسن بالعادة، ولكل قوم مواضعة، وكل ذلك لا ينال بتوقيف العقل، ولا بالانقياد للطبع، حتى يُكتسب بالتجربة والمعاناة ويستفاد بالدُّرْبَة والمعاطاة" [2] .

(٤) ويجب على الأسرة تعويد أبنائها حسن الخلق كما كان عليه الرسول ﷺ، من خلق عظيم والذي ابتدأت به سورة القلم، قبل النهي عن بعض الصفات السيئة، حيث مدحه الله جل وعلا في مطلع السورة بسبب حسن خلقه قال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة القلم) ، فيجب على الأسرة تعليم أبناءها خلق الرسول ﷺ، وتوضيح لهم مكان عليه ﷺ من خلق الرحمة واللين، والكرم والتواضع، وحسن تعامله مع أصحابه والسؤال عنهم، وكيف كان تعامله مع زوجاته، وكيف كان تعامله مع جيرانه، وكل ما كان عليه ﷺ من أخلاق عظيمة بسببها مدحه الله في هذه السورة.

وفي ذلك يستفيد المربين أمرين.

١- غرس محبة الرسول ﷺ في قلوب النشء لأنه من كانت هذه أخلاقه وصفاته استحق المحبة المطلقة.

---

(١) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ج٢، ص٦٣٣.

(٢)علي بن محمد الماوردي: أدب الدين والدنيا،دار الريان ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ، ص ٢٢٦.

٢- جعله قدوة لنشء فإذا انطبع حبه في قلوبهم، تعلقت به وجعلوه قدوة لهم في جميع أعمالهم.

(٥) وعلى الأسرة تحقيق المضمون التربوي لخُلق الصبر الوارد في سورة القلم والذي يعتبر عامّاً في جميع أنواع الصبر بين أفرادها، قال تعالى: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ وحكم الله يشمل جميع أنواع الصبر الوارد ذكرها في البحث، فيجب على الأسرة تحقيق مضمون الصبر وذلك من خلال الأمور التالية:

أ- أن تبين الأسرة للأولاد فضيلة الصبر وأهميته وجزيل ثوابه، ليرغبوا فيه قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾. (الزمر: ١٠).

ب- وأن يصبر الأبوان على بعضهما في الحياة الزوجية والأسرية، وفي تحمل العملية التربوية المنوطة بهما، لينشأ الأولاد في جوٍّ يسوده التسامح والصبر على أذى الآخرين، والمحبة والوئام.

(٦) ومن التطبيقات التربوية لمبدأ الصبر هو أن يكون الوالدان قدوة حسنة لأبنائهم في التحلي بالصبر، وخاصة أثناء التعامل مع بعضهم البعض داخل المنزل وخارجه ، والتحلي بالصبر مع الآخرين أياً كانوا، وعلى الوالدان ألاّ يبديان أي مظهر من مظاهر عدم الصبر أمام الأبناء، ففي هذا التصرف تعويد للأبناء على عدم التسرع والتسخط والجزع، وعلى احترام الناس وعدم سبهم وسوء الظن بهم . ومما يمكن أن تعمله الأسرة لتحقيق مبدأ الصبر هو أن تستغل الأسرة المصائب والنكبات التي تمر عليها أو تمر على أحد من أقاربها، بتعريف أبناءها بالتصرف والتحرك السليم لمواجهة تلك المواقف والمصائب، وذلك بتعريفهم بأنه ينبغي للمسلم أن يصبر ويصمد، وأن لا يجزع على ما حل به من مصائب وضرر، وتفهيمهم أن الضرر والمصيبة من الله سبحانه وتعالى، وكذلك النفع وإزالة الكرب من الله سبحانه وتعالى ، وفي هذا كله وسيلة قوية لدفع الإنسان إلى اجتياز المصيبة بكل صبر وإيمان وبذلك يتحقق الأجر والثواب له بإذن الله تعالى . يقول مبيض : " بالقدوة الحسنة وذلك بأن لا يتبرم الوالدان من أوضاعهما المادية أو من ضيق يحل بالأسرة، وإذا أصيبوا بمصيبة وتجلدوا أمام أولادهم أعطوهم درسا مفيدا في الصبر . أما إذا نفذ صبرهم وجزعوا وبكوا تأثر الأولاد بجزعهم وشاركوهم البكاء ، وإن

تجملوا بالصبر انعكس ذلك على كافة أفراد الأسرة . وإن صبرت الأم على غلاظة جارتها، عودت بنتها على الصبر، وإن تضايقت من جارتها سارعت بنتها بالتبرم والضيق وتصرفت أمام جارتها تصرفا غير مناسب . بالإضافة إلى صبر التلاميذ وتعويدهم على المذاكرة والاجتهاد . "[٢] كما أن سر قصص الصابرين الوارد بعض منها في البحث، على الأبناء وما نالهم من الخير في عاقبة الصبر، يساعد على التحلي بهذا الخلق العظيم، فيجب على المربين ألا يهملوا جانب القصة في تربية النشء على الصبر.

دور الأسرة في انتزاع الأخلاق الذميمة:

على الأسرة أن تحذّر أولادها من الأخلاق الذميمة، والسلبية الواردة في سورة القلم، والتي تؤدي بهم إلى الوقوع في الكفر والانحرافات السلوكية، مما يؤدي إلى إفساد أخلاقهم الحسنة عليهم، وهذه الصفات التي نهى الله عنها في سورة القلم، هي أخطر الصفات الذميمة على الإطلاق التي تسبب تفكك المجتمع، وإشاعة العداوة والبغضاء بين أفراده فيجب تخصيصها بالتحذير وتنفير النشء منها أشد تنفير وبكل الوسائل والطرق المتاحة وهذه الصفات هي:

(١) كثرة الحلف

قال تعالى ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (القلم) كما ذكرت من خطر هذه الصفة على الفرد والمجتمع، مما تسببه من مهانة للإنسان بتجرئه على الله سبحانه وتعالى، وما تسببه من التساهل في تعظيم الله وضياع حقوق الناس، فأنه يجب على الأسرة تحذير أبناءهم من كثرة الحلف، وعمل الأسباب التي تمنعهم من التجرؤ على الله ومن ذلك:

- عدم تحليفهم دائما، فكثير من الآباء يسرع في تحليف ابنه عندما يشك فيه فيحلف الابن حتى لو كان كاذبا وذلك حتى يهرب من العقاب.
- غرس تعظيم الله في قلوبهم، وتبيين لهم العقاب الذي يناله من يحلف بالله كاذبا، وتحذيرهم من اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في نار جهنم.

(٢) الغيبة والنميمة

---

[٢] محمد سعيد مبيض ، أخلاق المسلم وكيف نربي أبناءنا عليها، مرجع سابق ، ص ١٩٩- ٢٠٠ .

قال تعالى ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ (القلم) كما سبق ذكره من أقوال المفسرين أن المقصود بها الغيبة والنميمة، فقد حذر الله منهما لخطرهما العظيم على المجتمع، وما تسببه من إشاعة العداوة والبغضاء بين أفراده، وتمزق العلاقات الإنسانية، وهاتين الصفتين من أسوء الأخلاق على الإطلاق ولذلك حذر الله منهما في أكثر من موضع، ومنها ما ورد في سورة القلم وهي من أول ما نزل من القران، فيجب على الوالدين التحذير منهما، ومنع أبناءهم من ممارستها ومن ذلك:

- عدم اغتياب أحد أمامهم لأن هذه الصفات تنتقل بالتوارث من الآباء إلى أبنائهم.
- عدم السماح لهم باغتياب، أحد من زملائهم أو إخوتهم، وزجرهم إذا فعلوا ذلك، ومعاقبتهم بالعقوبات المناسبة.
- منعهم من نقل الكلام على وجه الإفساد، حتى لو كان ما نقلوه صحيح، فيجب عدم التبيين لهم حسن ما قالوا، وان هذه خلق سيئ يجب الابتعاد عنه، وأنه يجب ذكر الناس في الخير.
- يجب عدم استخدام الأبناء كجواسيس على بعض، حتى لا يتعودوا على الغيبة والنميمة، فيستحسنوا هذه الصفات فتصبح خلق دائما لهم.

(٣) منع الخير والبخل:

لقد جاء التحذير في سورة القلم من صفة البخل ومنع الخير، قال تعالى ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة القلم). وكما ورد في قصة أصحاب الجنة عندما أرادوا أن يمنعوا المساكين من ثمر جنتهم، فعاقبهم الله على ذلك، فيجب على الأسرة تعويد أبناءهم على الإنفاق وبذل الخير ومساعدة الناس، وذلك بالتطبيق العملي كأن نعطيهم مال أو صدقة فيوزعونها على الفقراء والمساكين، ونعطيهم هدايا كي يهدونها لزملائهم في المدرسة أو أصدقائهم، وإخوانهم، فأن ذلك يربي في نفوسهم حب الخير والإنفاق منذ الصغر ويكسر ما طبعة عليه نفوس البشر من حب الاستئثار بالمال.

كما يجب تحذيرهم من صفة البخل وإبعادهم عنها، وذكر الأدلة والقصص التي تحذر من البخل وتنفر منه، وأن المال الذي يمسك ولا ينفق في سبيل الله فإنه مهدد بالتلف والهلاك، وأن المال مال الله جعله بأيدينا ليرى أننفقه في سبيله أم نبخل به، فيجب غرس هذه المبادئ وتعميقها في نفوس الناشئين منذ الصغر فذلك يحقق لهم التكافل والتعاون، ويقوي أواصر الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم.

(٤) الغلظة وسوء الخلق:

الغلظة والجلافة هي من أسوء الصفات الشخصية التي قد يتصف بها الفرد فقد جاء التحذير منها في سورة القلم قال تعالى ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ (القلم). فيجب على الأسرة تحذير أبناءهم من هذه الصفة وزجرهم عنه، وتعويدهم منذ نعومة أظفارهم على القول الطيب، وحسن الألفاظ وتحبيبهم بذلك، ومكافأتهم عليه، وتعويدهم على المزاح المؤدب، ومعاملتهم بالرفق واللين، والابتعاد عن الشدة والغلظة حتى تنطبع صفاتهم على تلك الأخلاق الحميدة فتصبح ديدنهم، وملازمة لهم وسمة من سماتهم.

كما يجب تحذيرهم من صفة الغلظة والشدة، وأنها لا تأتي بخير وأنه ما كان الرفق في شيء ألا زانة وما كان الشدة في شيء إلا شانه.

(٥) الاستعجال والغضب:

قد جاء التحذير من صفة الاستعجال والغضب، وذلك في قصة نبي الله يونس عليه السلام وكما ورد في قصته من أنه ذهب مغاضبا مستعجل أمر ربه، فوقع في الخطأ فعاقبه الله جل وعلا، بأن التهمه الحوت، فجاء تحذير رسول الله ﷺ من مشابهته في هذه الصفة قال تعالى ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ (القلم) كما بينت في ثنايا البحث خطر صفة الاستعجال والغضب، وأنهما يوقعان صاحبهما في إشكالات كثيرة، ومصائب لا حصر لها، فدائما صاحبهما يكون الندم رفيقة، وكثيرا ما يفوته من الخير بسبب استعجاله وغضبه. فيجب على الأسرة تعويد أبناءه على الحلم والأناة، والابتعاد عن العجلة والغضب، فإنها لا تأتي بخير أبدا.

فيجب تعويدهم على الهدوء والسكينة في القول والعمل، وتعويدهم على التثبت في أقوالهم، والتريث بتصرفاتهم، والتعامل بكل حكمة وعقلانية بأفعالهم سواء مع الناس أو مع الحيوانات وحتى مع الآلات التي يستخدمونها.

كما يجب عدم التصرف أمامهم بعجلة حتى في الأمور البسيطة، وعدم حثهم على الاستعجال في الأمور وإعطائهم الوقت الكافي كي ينجزوا أعمالهم.

كما يجب نهيهم وزجرهم عن صفة الغضب لأنها من أسوء الصفات على الإطلاق وأنها طريق إبليس إلى قلب الإنسان، فإنه ينال من الغضبان ملا يستطيع إن يناله من الشخص المتعقل الذي يملك نفسه عند الغضب.

كما يجب على الوالدين عدم معاقبة أبناءهم أثناء الغضب لأن ذلك قد يتسبب في إيلامهم، ويجب عدم مناقشتهم أثناء الغضب من الطرفين، لأن ذلك قد يسبب في مشادة فتصدر ألفاظ قد تجرح مشاعر الأولاد أو ألفاظ غير لائقة قد يتربى النشء عليها فتصبح من صفاته.

(٦) الحسد:

قال تعالى ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ (سورة القلم) كما بينت سابقاً بأن بعض المفسرين ذكر أنها نزلت في الحسد، عندما أراد كفار قريش إصابة النبي ﷺ بالعين، وكما بينت خطر صفة الحسد على الأفراد والمجتمعات، وأنها من صفات إبليس الرجيم، وذنبه العظيم الذي بسببه طرد من الجنة، كما أنه أول ذنب عصي الله به في الأرض، حيث تسبب بقتل هابيل أخيه قابيل، فأصبح من النادمين.

فيجب على الأسرة تحذير أبناءها من صفة الحسد وانتزاعه من قلوبهم، وعدم التهاون بهذه الصفة ومراقبة تصرفاتهم، حتى لا يتسرب إلى قلوبهم، فيسبب لهم الشقاوة في الدنيا والآخرة.

ومن التطبيقات التربوية التي تستطيع الأسرة من خلالها أن تجنب أبناءها خلق الحسد أن يعمل الوالدان على تحقيق العدل بين الأبناء والمساواة بينهم في كل شيء حتى في القبلات والهدايا وتوجيه الكلام إليهم، وأن يرشدوهم إلى ضرورة أن يرحم بعضهم البعض، ويخاف بعضهم على البعض، وأن ينتشر بينهم مبدأ الإيثار والحب والتعاون، فكل هذه الأخلاق مبددة للحسد، كما أن على الأبوين أن يعملا على إزالة كل ما يؤدي إلى الحسد "فإذا كان مجيء الوليد الجديد يشعره فقدان محبة أبويه وعطفهما ..فعلى الأبوين أن يسعيا جهدهما في إشعاره أن هذه المحبة باقية على مدى الأيام . وإذا كان رَمْيُ الأبوين له بالغباوة، والألفاظ القارعة .. يؤجج في صدره نيران الحقد والحسد .. فعلى الأبوين أن ينزّها ألسنتهما عن التقريع المؤلم، والكلمات الجارحة ..وإذا كان تفضيل أحد الأولاد عليه في معاملة أو عطاء .. يغيظه ويولّد في نفسه ظاهرة الحسد .. فعلى الأبوين أن يحققا بين الأولاد العدل والمساواة .. وهكذا يجب على المربين والآباء

والأمهات أن يكونوا حذرين كل الحذر من أن يتعرض الولد لآفة .. الحسد ..حتى تكتمل شخصيته ، وينشأ إنسانا سوياً في ظلال التربية الصالحة." [1]

كما أنه يجب على المربين تجنب هذه الصفة حتى يكون قدوة حسنة لأبنائهم في الابتعاد عن صفة الحقد والحسد، يقول محمد سعيد: " للقدوة أثر حسن في الاعتياد على البعد عن الحقد والحسد ، فكلما ابتعد الأولياء عن الحقد والحسد كلما ابتعد الأولاد عنهما . كما يجدر بالأولياء متابعة سلوك الأولاد حتى إذا ظهرت بادرة من حقد أو حسد سارع أحد الوالدين لمعالجتها، ونصح الأولاد بالابتعاد عنها، وشرح أثرها السيئ على الفرد والمجتمع، ويمكننا أن نحاور الولد الحسود لزملائه المجدين فنقول له : هل تحب أن تكون مثل فلان، إذن اسلك الطريق الذي سلكه، طريق الجد والدأب والاستمرار بالدراسة، وإذا أخطأ ولد مع آخر فيحسن أن نعوده الاعتذار، وأن نعود الآخر قبول العذر، لأنه من اللؤم أن نرفض اعتذار أحد. أو أن نحمل في أنفسنا شيئا نحوه، فكل إنسان معرض للخطأ، والكريم هو من يعترف بالخطأ ويعتذر عنه، والأكرم منه هو من يقبل العذر. وأن نقف في وجه الحاقدين والشامتين والحاسدين فننصحهم بالصفح، وتناسي الإساءة لأنه أهدأ للنفس، وأرضى للرب، وأكرم في نظر الناس وخيرهما الذي يبدأ بالسلام والصفح." [2]

أن أسهل ما يمكن أن تستخدمه الأسرة في تصحيح وإصلاح الأخلاق والسلوك الخاطئ، أن يكون عن طريق النقد البنّاء المثمر، كقولها لمن يكذب أو يظلم من أفراد الأسرة: ما هذا من صفات الصالحين، أو هذا غير مقبول، وأن تثنى على السلوك الصحيح كقوله النبي ﷺ لأشج عبد القيس ((**إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**)) [3]

على الأبوين أن يستخدما أسلوب الرفق واللين، وعدم المبالغة في اللوم والنقد في معالجة الأخلاق الذميمة عند الأبناء، لأن القسوة والشدة الزائدة تؤدي إلى تربية عكسية يقول ابن خلدون: "من كان مرباه بالعسف والقهرِ من المتعلمين أو المماليك أو الخدَم، سطا به القهرُ وضيَّق على النفسِ في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه إلى

---

(١) عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، ج١ ، مرجع سابق،ص٢٥٦.

(٢) محمد سعيد مبيض: أخلاق المسلم وكيف نربي أبناءنا عليها ، مرجع سابق، ص٢٥٩.

(٣) مسلم: صحيح مسلم، ج١ ، (رقم الحديث١٧) كتاب الإيمان: باب الأمر بالإيمان بالله تعالى، ص٤٨

الكسل وحُمِل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلّمه المكْر والخديعة لذلك، وصارت به هذه عادة وخُلقاً، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدّن" [1].

يجب على الأسرة أن تشرك أفرادها في القضايا المنزلية والأسرية، وأن تأخذ بمشورتهم، وأن تعودهم التأني وعدم الاستعجال في الأمور إلا على بينة وعلم. وعليها أن تتدرج في تصحيح أخطائهم، وأن تتأكد من أسباب الخطأ قبل اتخاذ القرار.

على الأسرة أن توضح لأفرادها أن التثبت والتأني لمعرفة الحقائق العلمية ضرورة أولية من ضروريات التفكير البناء المؤدي إلى نماء العقل.

ثانيا: التطبيقات التربوية للمضامين الاجتماعية من خلال الأسرة:

إعداد الأبناء من النواحي الاجتماعية:

يعتبر الوالدين أول المربين لأبنائهم وعليهم تقع مسؤولية التربية الاجتماعية، وهذا الدور التربوي هو من الأهمية بمكان، حتى إذا ما أخفق الوالدان فيه من الصعب أن يعوض، وعلى الوالدين أن يخلقوا جواً عائلياً تحييه المحبة والاحترام، فالأسرة إذا هي المدرسة الأولى للفضائل الاجتماعية التي لا غنى عنها لأي مجتمع، فالتربية تعود بالدرجة الأولى على الأسرة وتتطلب مساعدة المجتمع بأكمله، فعلى الأسرة تقع المسؤولية، الكبرى في بناء شخصية الطفل، وهي في المجتمع بمثابة القلب في الجسد، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع كله، وإذا فسدت فسد المجتمع، وقد أوجب الإسلام على الوالدين أن يُربوا أطفالهم تربية سليمة تقيهم من الهلاك والانحرافات والمعاصي المؤدية إلى النار، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (سورة التحريم: الآية ٦).

فيجب على الوالدين مراعاة أن تقوم تربية الطفل وتعليمه على الفهم والوعي بحاجاته، والأخذ في الاعتبار بمطالب نموه ونضج قدرته، كما ينبغي على الوالدين أيضاً مراعاة أن تعليم السلوك الاجتماعي عملية بطيئة تعتمد على أسلوب التدرج، وأن الطفل مُعرَّض لأن يصيب ويخطئ، ومن ثم فإن موقف الوالدين من سلوك الطفل واتجاهاتهما نحوه تشكل عنصراً أساسياً في التربية الاجتماعية.

---

(١) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون: مرجع سابق: ص ٤٦٣.

فيجب على الأسرة إتباع خطوات لتحقيق أهداف التربية الاجتماعية وهي:

١- تنمية إدراك الأبناء لذواتهم ولقدراتهم، ولمجالات اهتماماتهم وإيجاد فرص يستطيعون فيها التعبير عن قدراتهم.

٢- إكساب الأبناء مهارات اجتماعية تتناسب مع نمط ديمقراطي (كيفية إدارة النقاش، مفاوضات واتخاذ قرارات... الخ) وتمكينهم من ممارسة عملية ديمقراطية ووظائف قيادية.

٣- دعم انتماء الأبناء إلى مجتمعهم وبيئتهم وبلدهم وتنمية محبته في قلوبهم، وتقديم ما بوسعهم لمجتمعهم.

٤- تربية الأبناء على قبول المختلف عنهم، سواء في الأفكار أو في التقاليد والعادات، وتقوية التسامح والاحترام المتبادل والتعايش بسلام مع الآخرين.

٥- تربية الأبناء على الاستقلالية في الرأي وعدم التبعية العمياء وتنمية التفكير الناقد المبني على أسس صحيحة بدون تعصب.

كما يجب على الآباء غرس الفضائل والشمائل والصفات الحسنة عند الأبناء حتى ينشأ هؤلاء الأبناء وهم في صحة نفسية وجسدية واجتماعية وأخلاقية، وعندما تقدم الأسرة أبناء بهذه المواصفات فإنما هي تقدم وتسدي للمجتمع خدمة عظيمة، فلولا الأفراد الأصحاء بدنيا وعقليا واجتماعيا ودينيا وأخلاقيا لما نهض المجتمع ولما أصبح مجتمعا قويا منتجا، معتمدا على سواعد أبنائه وقدراتهم. إذن تبدأ المسؤولية والأهمية من الأسرة، فالأسرة التي تربي أبنائها وتنمي قدراتهم وتغرس في نفوسهم حب الخير وحب الناس وحب العمل وحب الوطن والتمسك بالأخلاق والشمائل الإسلامية، والدفاع عن الوطن من الأعداء والحاسدين إنما هي تقوم ببناء هذا المجتمع بناء قويا متماسكا، أما تلك الأسرة التي لا تهتم بأبنائها ولا تقوم بدورها التربوي، ولا تنشئهم تنشئة اجتماعية سليمة إنما هي تهدم المجتمع، فنقول إن الاهتمام ببناء الأسر وبناء المجتمع يبدأ من الاهتمام بالأطفال وتربيتهم وتنشئتهم تنشئة سليمة، سواء الذكور أم الإناث.

فيجب على الأسرة القيام بدورها الاجتماعي كما جاء في سورة القلم في قصة أصحاب الجنة التي تحكي أهمية التكافل الاجتماعي وإعطاء الفقراء من أموالهم وتقديم الطعام والثمار لهم، فيجب على الأسرة تعويد أبناءها على هذا المنهج وتفقد الأسر الفقيرة، وتقديم المعونات لهم ومساعدتهم عند الحاجة، حتى يتربوا على البذل

والعطاء ومساعدة المحتاجين ولا يفعلوا ما فعله أصحاب الجنة الوارد في السورة، والذين خالفوا منهج أبيهم وعزموا على منع الفقراء من ثمر جنتهم فدمرها الله عليهم.

لان ذلك التكافل يحقق لهم ولمجتمعهم السلامة والأمن ويمنع وقوع كثير من الجرائم، وينزع العداوة والبغضاء من القلوب، ويقوي أواصر الأخوة والمحبة بين أفراد المجتمع المسلم.

كما ينبغي على الأسرة الانتباه لما لرفقة والصُّحبة من تأثير، وتربية عكسية كما صح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **((الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل))** [1] . وروى أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: **((لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ))**[2] .

فإذا علمت الأسرة قوة تأثير الرفقة على النشء، وان الابن يتأثر برفاقه سلبا أو إيجابا، فيجب عليها اختيار الرفقة الصالحة لأبنائها وعمل الأسباب اللازمة لذلك، كما يجب عليها تجنيبهم الصحبة الفاسدة، وإبعاده عن رفاق السوء وتحذيرهم منهم لأنهم لا يجلبون لهم ألا كل سوء ولا يعلمونهم إلا ما هو ضار وإنهم، في دينهم ودنياهم.

فيجب على الأسرة حث أبناءها على مصاحبة الكرام والمحافظة على صدقتهم، وحسن معاشرتهم، وتعليمهم على حب الإثار على أنفسهم، والوقوف بجانب أصدقائهم في وقت الشدة والمحنة، وفي وقت الفرح والمناسبات، كما يجب تدريب الأبناء على حسن معاشرة أصدقائهم ولقائهم بوجه طلق، يعودهم إذا مرضوا، ويسأل عنهم إذا غابوا، وان يعفو عنهم إذا أخطئوا ويتسامح معهم، لأن ذلك يقوي روابط الصداقة بالصالحين ويحببهم فيهم ويزيد من ثقتهم ببعض.

---

(١) أبي داود: سنن أبي داود: كتاب الأدب، ج٥، (رقم الحديث٤٨٣٢) باب من يؤمر أن يجالس، ص١٦٨- صحيح: صححه الألباني: صحيح سنن أبي داود، ج٣، ص٩١٧، رقم الحديث: ٤٠٤٦.

(٢) أبي داود :سنن أبي داود: كتاب الأدب، ج٥، (رقم الحديث:٤٨٣٣) باب من يؤمر أن يجالس، ص١٦٨- صحيح: صححه الألباني: صحيح سنن أبي داود، ج٣، ص٩١٧، رقم الحديث: ٤٠٤٥.

المبحث الثالث

التطبيقات التربوية للأساليب التي جاءت في السورة

إن استخدام الأساليب التربوية المتعددة والمتنوعة، المستنبطة من سورة القلم استخداماً حسناً، سبب أصيل في نجاح عملية التربية الإسلامية، لأننا إذا أردنا تحقيق أيّ منهج تربوي، فلا بد من إيجاد عدة أساليب تربوية متنوعة من أجل أن تقبل النفوس على ذلك المنهج، ولذلك فإن القرآن الكريم قد استخدم أساليب كثيرة ومتنوعة في سبيل تربية الإنسان في جميع مجالات الحياة، كما انتهج النبي ﷺ هذه الأساليب في إبلاغه الرسالة، وفي تعامله مع أصحابه ﷺ، ومع زوجاته، بل مع الناس جميعاً.

وهذه الأساليب ليست مثالية في الذهن، ولا خيالية في التصور، وإنما هي واقعية يمكن تطبيقها على أرض الواقع، وترجمة كلماتها إلى مواقف تربوية مثمرة ونافعة، وعباراتها إلى سلوكيات وأخلاق فاضلة ملموسة ومؤثرة.

وتتجلى التطبيقات التربوية للأساليب التربوية المستنبطة من سورة القلم من خلال الأسرة والتي يمكن ترجمة هذه الأساليب إلى واقع ملموس.

فقد تحتاج الأسرة إلى عدة أساليب تربوية متنوعة تتقوى بها في أداء مهامها التربوية، في تنشئة أبنائها تنشئة صحيحة سليمة لتحقق الأهداف التربوية المنشودة. فعلى الأسرة أن تستخدم الأسلوب المناسب، في الوقت المناسب، وفي المرحلة المناسبة، وأن تُنوع فيها لما في ذلك من فوائد تربوية فعّالة في التأثير على نفوس أفرادها، وسورة القلم مع قصرها إلا أنها حفلت بعدة أساليب تربوية هامة مثل أسلوب القدوة وأسلوب القصة وأسلوب الترغيب والترهيب وأسلوب الحوار، وهذا التنوع له فوائد عظيمة يجب على المربي إدراكها وهي:

١- أنّ تنوّع الأساليب التربويّة أهميّة كبيرة في العمليّة التربويّة.

٢- على المربّي أن ينظر في واقع حال المتربّي، والأسلوب الأمثل الذي يؤثّر فيه.

٣- على المربّي أن ينوّع من الأساليب التربويّة؛ لأنّ النفس قد تملّ من الطريقة الواحدة المكرّرة.

أولا: التطبيقات التربوية لأسلوب التربية بالقدوة الحسنة

يجب على الأبوين أن يكونا قدوة لأولادهما، في الإيمان بالله وتقواه في السر والعلن، والمحافظة على شعائر الدين، والتحلي بالأخلاق الحميدة، واجتناب الأخلاق السيئة، والرفق والتعامل به مع جميع الناس، بل مع الحيوانات أيضاً، وتقديم يد المساعدة والإحسان إلى الجيران والأقارب والزملاء والرحمة بهم، وذلك لأن الطفل يتأثر وجدانياً وانفعالياً بنوع المعاملة التي يتلقاها من قبل الأسرة التي يعيش فيها.

ويجب على الآباء التحلي بالأخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة التي أمر الله بها وترك الأخلاق السيئة والصفات المذمومة التي نهى الله عنها، لأن الأخلاق الحسنة والقيم الفاضلة تنتقل بالتوارث من الآباء إلى الأبناء فتجد الابن يقلد والديه في كل شيء فهو يسير على نهجهم ويقتدي بأخلاقهم، وهذه فطرت الله التي فطر الناس عليها ولذلك فإن صلاح الأبناء مترتب على صلاح آبائهم على الأغلب.

كذلك يجب على الأسرة توضيح لأبنائهم القدوة الصالحة التي يجب عليهم أن يقتدوا بها، وأعظم قدوة للمسلمين هو الرسول الكريم ﷺ، فيقتدوا بأخلاقه وصفاته، ويتبعوا سيرته، ويسيروا على نهجه القويم.

ثم يجب تعليمهم من يكون قدوة لهم من الصالحين والأخيار والكرام وأصحاب الكرم والجود وأصحاب الشجاعة والتضحية من أبطال المسلمين المتقدمين ومن أخيارها المتأخرين.

كما يجب على الأسرة تحذير أبنائها من القدوة السيئة، وألا يقتدوا بأصحاب الأخلاق السيئة والمبادئ الهدامة، وأصحاب الظلال والهوى سواء كان من أصدقائهم المقربين أو كان من الممثلين والمغنيين أو من الكفار الجاحدين، وألا ينخدعوا بمظاهرهم الخلابة وحضارتهم الفاتنة، مما أنفتن به شباب اليوم فقلدوهم في كل شيء في لبسهم وأشكالهم وطريقة كلامهم، مما أذاب شخصية الشباب المسلم وهويته،

وهذا هو الخطر العظيم الذي يجب على المتربين أن يتنبهوا له، وخاصة الأسرة فعليها تقع المسؤولية الأولى في تجنيب أبناءها القدوة السيئة، والتحذير منها وتحبيب القدوة الحسنة والحث على إتباعها.

ثانيا: التطبيقات التربوية لأسلوب القصة

أن القصّة تشدّ القارئ أو المستمع إليها من خلال مواقفها المتعددة والمختلفة فهي تؤثر على عواطف الإنسان، فتكوّن لديه ميول نحو فئة أو أفراد أو سلوك معيّن، وبالتالي يتقمّص شخصياتهم، ويُقلّد سلوكهم.

فعلى الأبوين أن يستغلا القصص القرآنية والنبوية في تهذيب نفوس الأطفال وتنمية وَعَيهم الديني والخُلقي مما يجعلهم يعيشون أحداثها بما فيها من مواقف تربوية عظيمة، وفوائد تعليمية جمّة.

كما إنه على الأسرة أن تختار بعض القصص المناسبة لإثارة الخوف من الله تعالى في نفوس أفرادها، لينزجروا عن المعاصي، يقول ابن كثير رحمه الله: "أي إنما يقص خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده لينزجروا عن المحارم والمآثم" [1].

وعلى الأبوين "استغلال مشاعر الأطفال نحوهما، والاستفادة منها في توجيه طاقاتهم إلى حب الله تعالى ورسوله عليه السلام، وتحسين أخلاقهم ومعاملة الناس بالرفق واللين والرحمة. وذلك يكون من خلال تقديم القصص ذات العبر والموعظة الحسنة والنصح لهم في أوقات مناسبة، وعند الحاجة، وبدون إكثار." [2]

ومن الجدير بالذكر أن يزوّد الأبوان أبناءهما بالقصص التي تحكي جميع الجوانب الإيمانية والتعبدية وكذلك الأخلاق الفاضلة وعاقبتها الحسنة وسر القصص التي تحذر من الصفات المذمومة وعاقبتها السيئة كما جاء في سورة القلم من قصة أصحاب الجنة.

كما يجب على الأسرة أن تعلم أن أسلوب التربية بالقصة من أنجح الأساليب التربوية فهو من منهج القران الكريم، فقد وردت القصص بالقران الكريم بكثرة ملفته، وأنه

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: مرجع سابق: ٤/٦٣.

(٢) نصر بن محمد الصنقري: موسوعة الأجيال المسلمة، مرجع سابق، ص ١١٠.

أيضا منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في تربية أصحابه وتعليمهم الأخلاق الفاضلة، وحسن التعامل مع الناس، والرفق واللين والكرم والجود فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **((بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش، مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه؛ فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا: يا رسول الله! وإن لنا في البهائم أجراً؟. قال: في كل كبد رطبة أجر))**[1]

فيجب على الأسرة استخدام أسلوب القصة في تربية أبنائها فهو أقرب لإيصال المعلومة إلى أذهانهم، وأقوى لربطها في واقعهم، وأكثر تثبيتا لها في عقولهم، وأن العزوف عن هذا الأسلوب أضعف من تربية الأسرة لأبنائها وقلل من شأنها، وأصبحت تربية الأسرة فيها شيء من الملل والنمطية وعدم تقبل الأبناء لها، وعدم لانصياع لأوامرها واجتناب نواهيها.

كما يجب على الأسرة الانتباه لميزات القصة التربوية الناجحة كما جاء في سورة القلم وبينته سابقا، وهو أن تبدأ بأسلوب تشويق وشد للانتباه، وربط القصة بالواقع حتى تكون أقرب لذهن، وذكر القصة القصيرة المفيدة ذات المواقف التربوية المراد توضيحها، ويجب الابتعاد عن سرد القصص الطويلة المملة، كما يجب عدم تشعب القصة في التفاصيل التي لا فائدة منها، لأن ذلك كله يسبب الملل وتشتت الأفكار فلا تؤدي القصة الغرض المنشود منها.

ثالثا: التطبيقات التربوية لأسلوب الترغيب الترهيب

يجب أن "تستخدم الأسرة أسلوب الترغيب والترهيب في إعداد شخصيات أفرادها إعداداً متزناً يقوم على الموازنة بين الخوف والرجاء، ويحرك ما في نفوسهم من مكامن الخير، ويحميهم من التردي في حيل الشيطان، ويغرس العقيدة الإسلامية في قلوبهم، ويربي عواطفهم الربانية" [2]. "والأفضل أن تغلب الأسرة جانب الترغيب لأنه أسلوب إيجابي، وأثره باقٍ، ويعتمد على استثارة الرغبة الداخلية. أما الترهيب فهو أسلوب سلبي

(١) البخاري، الجامع الصحيح، ج٥، (رقم الحديث: ٦٠٠٩): كتاب الأدب، ص٥٣٨.

(٢) خليل بن عبد الله الحدري: التربية الوقائية في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٨٢.

ونتائجه محدودة، ويعتمد على الخوف" [1] . وذلك لما جبلت عليه النفوس من حُبّ المدح والإحسان إليها والظهور والنفور من العقاب والتشديد. ومع ذلك فإنه لا يستغنى عنه في عملية التربية، فهو كالدواء الذي قليله يفيد وكثيرة يضر.

كما يجب على الأسرة ألا تفرط في استخدام أسلوب الثواب والعقاب فيربي لدى النشء صفت الطمع أو الهلع والخوف، كما يجب عليها توضيح الأمور التي تستحق الثواب والأمور التي تستحق العقاب، وذلك قبل استخدام هذا الأسلوب، لأن المقصود ليس استخدام الثواب والعقاب بقصد النفع أو الضر أنما تحقيق الثمرة المرجوة منهما وهو فعل الأمور الحسنة، واجتناب الأمور السيئة.

كما يجب على الأسرة عدم المساواة بين المحسن والمسيء من أبناءها فهذا يفقدهم أهمية فعل الأمور الحسنة، ويقلل من خطر فعل الأمور السيئة.

كما يجب على الأسرة أن تجعل الثواب والعقاب مقارب لحجم العمل الذي قام به أي تطبق قاعدة الجزاء من جنس العمل التي وردت في سورة القلم وبينت ذلك بالتفصيل في ثنايا البحث.

رابعا: التطبيقات التربوية لمبدأ الحوار :

الحوار يعد أهم ركيزة في بناء حرية التعبير ، وهو من أهم التطبيقات التربوية لها ، لذا فأغلب التطبيقات التربوية لحرية التعبير يمكن أن تكون تطبيقات عملية لمبدأ الحوار ، وإضافة لذلك فإن المتتبع للسيرة النبوية يجد أن أفضل من عمل على تطبيق الحوار التربوي هو النبي محمد ﷺ ، والنماذج التي تدل على ذلك كثيرة ، وقد سبق ذكر قصة الفتى الذي يستأذن النبي ﷺ في فعل الزنا ، فأجرى معه حوارا استطاع معه أن يقنع الفتى بالعدول عن ذلك ، فهذا الحوار النبوي عالج انحرافا سلوكيا خطيرا ، وبهذا فإن التطبيق العملي للحوار في ذلك هو أن نقتدي بالنبي ﷺ ونجعل الحوار أسلوبا تربويا رائعا في حل المشاكل التي تعترض سبيل الأسرة ، ونجعله عنوان التفاهم الأسري سواء بين الزوجين أو بين الأبناء أو بينهم جميعا . لذا فإن أهم شيء في تطبيق الحوار في الأسرة هو أن يؤمن الوالدان بأهمية الحوار وفائدته في الأسرة .

(١) بلقيس إسماعيل داغستاني: التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، مرجع سابق، ص ٨٩.

ومما يمكن أن تعمله الأسرة لتطبيق مبدأ الحوار فيها أن يكون الوالدين قدوة صالحة في حوارتهم الزوجية ، وكذلك في حواراتهم مع أبنائهم، ومع الجيران وغيرهم، كما يجب على الأسرة أن تفهم وتراعي جيدا الآداب الخاصة بالحوار وأساليبه.

ولتطبيق مبدأ الحوار يمكن أن تعمل الأسرة على مناقشة أبناءهم عما فعلوه من أعمال بعد نهاية اليوم الدراسي، وعما فعلوه في تسوقهم في السوق، وعما فعلوه في الإجازة، أيضا الحوار معهم فيما يقعون فيه من مشكلات وأخطاء، ومحاولة طرح الحلول لهذه المشكلات، بمشاركتهم والإجابة عن استفساراتهم وعدم إهمالها لأن ذلك يعودهم على الحوار وإيجاد الحلول الصحيحة لما يواجهون من مشكلات في المستقبل.

ومما يساعد على تفعيل الحوار هو التشجيع المادي والمعنوي، وذلك بأن يعطى كل من أحدث هذا اليوم حوار أو تحدث مع أي شخص حوافز تشجيعية مادية أو معنوية.

أيضا العلاقات الجيدة بين الوالدين وأبنائهم توجد نوعا من التآلف بينهم فلا يخاف الابن من حواره مع والده، ولا البنت في حوارها مع أمها ، وسيجدون من يسألونه ويحاورنه عما يخلج في صدورهم، وهذا يريح الأبناء نفسيا ويشعرهم بالطمأنينة والراحة.

كما يجب على الأسرة استخدام تقنيات الحوار، وتعليمها لأبنائهم، وتعويدهم على حسن الاستماع، وتقبل أراء الآخرين، كما يجب تعويدهم على الحور الهادئ المتزن، الخالي من الصخب ورفع الصوت، والتعنت والإصرار على الرأي بدون تمحيص وتدقيق وسماع لوجهة نظر الآخرين.

كما يجب استخدام تقنيات الحوار الواردة في السورة، فيجب تحديد الهدف المراد من الحوار حتى لا يتحول إلا جدل لا فائدة منه، كما يستحسن استخدام طريقة طرح الأسئلة كما ورد في السورة، فقبل البدء بالحوار اختيار الأسئلة اختيارا صحيحا بحيث أن الإجابة عليها توصل إلى نتيجة إيجابية قد تحل إشكاليات كثيرة تكون عالقة في ذهن المتلقي.

كما يجب على الوالدين عدم الملل من استخدام هذا الأسلوب بسبب عدم قناعة أبنائهم بالنتائج التي يريدونها من الحوار، فيجب إعطائهم فرصة للتفكير ومراجعة الأمور المتحاور عليها في أذهانهم، وتكرار الحوار عليهم مرات عديدة بأساليب مختلفة

كما ورد ذلك في القران العظيم والسنة النبوية المطهرة، وفي النهاية اقتنع الناس بصدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأمنوا بالله وحده.

كما يجب على الأسرة التحلي بالصبر في عملية الحوار كما أمر الله رسوله في سورة القلم، لأن الحوار يحتاج إلى صبر جميل فلا يغضب الآباء على أبنائهم عند الحوار ولا يجب عليهم الانفعال، أو التضجر لأن ذلك قد ينهي الحوار أو يصل به إلى طريق مسدود، وقد يبني بين الأبناء وآبائهم حواجز كبير، تجعلهم يبتعدون عن المحاورة مرة أخرى معهم، أو تنفرهم من هذا الأسلوب طيلة حياتهم.

الخاتمة

وتشمل ما يلي:

أولا : النتائج

ثانيا: المقترحات

ثالثا: التوصيات

خاتمة الدراسة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وتوفيقه يُتوصل إلى الغايات، وبمنّه وكرمه تُنجز الأعمال، أحمده سبحانه وتعالى أولاً وآخراً على ما تفضل به وأنعم عليّ من نعمة طلب العلم الشرعي حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، تحقيقاً لقوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة القصص: آية ٧٠).

وأصلي وأسلم على النبي المصطفى خير البرية أجمعين، الذي كان خُلقه القرآن محمد ابن عبد الله ﷺ وعلى آله وصحبه الكرام وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فإن من كمال نعمة الله تعالى وتوفيقه لي إتمام هذه الدراسة التي حاولت فيها استنباط مضامين تربوية عظيمة من سورة القلم، والتي شكلت وحدة مترابطة، ومنهجاً تربوياً متكاملاً لتربية الإنسان المسلم في شتى جوانب التربية الإسلامية من مضامين تربية إيمانية، وتعبدية، وأخلاقية، واجتماعية، وأساليب تربوية متنوعة، وختمت ذلك بتطبيقاتها التربوية، وكيفية توظيفها من خلال الأسرة، لتكون أقرب للفهم والعمل، مؤدية إلى الفائدة والنفع.

وكما تضمنت الدراسة الحديث عن سورة القلم ومكانتها وسبب نزولها، وتفسير آياتها معتمدا على كتب التفسير المشهور، وكما تضمنت الدراسة الجوانب الايمانية والتعبدية في السورة والآثار التربوية الناجمة عن تطبيقها، وما تعود به من الصلاح للفرد والمجتمع، كذلك بينت الدراسة عظم أخلاق الرسول ﷺ ، وجزائه الكبير الغير ممنون على هذا الخلق العظيم، وصبره على أذى المشركين، والمنهج الإلهي لدفاع عنه من التهم التي وجهها له كفار قريش، ثم بينت أخطر الصفات على الفرد والمجتمع وهي التي نهى الله عنها وحذر رسوله منها في سورة القلم، وهي الكذب وكثرة الحلف بالباطل، والغيبة والنميمة ومنع الخير والشح، والغلظة والجلافة، والاشتهار بالشر والحسد، والعجلة والغضب، وبينت الدراسة خطرها على تفكك المجتمع وسبل الوقاية منها، ثم بينت الدراسة أهم الأساليب وأنجحها في التربية الإسلامية، والتي وردت بالسورة وهي

أسلوب التربية بالقدوة الحسنة وأسلوب القصة وأسلوب الترغيب والترهيب وأسلوب الحوار، وخصائص كل أسلوب ومميزاته وطريقة تطبيقه.

ثم تناول الباحث التطبيقات التربوية المستنبطة من سورة القلم وتوظيفها من خلال الأسرة والدور التربوي العظيم الذي تقوم به هذه المؤسسة من أجل تحقيق تربية إسلامية ناجح، يعود أثرها على الفرد والمجتمع بالخير والصلاح.

وبعد هذه الجولة في رحاب سورة القلم وما تضمّنتها من معالم تربوية يتضح لنا أنّ الله عزّ وجلّ لم يخلق الإنسان - الذي هو محور العمليّة التربويّة - عبثاً، بل خلقه لغاية شريفة، ألا وهي عبادته وحده دون سواه، وقد خلقه سليم الفطرة متميّزاً بخصائص لا تتوافر في غيره من المخلوقات، وقد زوّده بأدوات كسب العلم.

وقد حرصت هذه السورة المباركة كمثيلاتها من سور القرآن على إيجاد نموذج خاص من الإنسان، ألا وهو الإنسان الصالح المحب للخير الداعي إليه الساعي في سبيله، المتحمّل للأذى في طريق الدعوة إليه، المحقق للعبادة قولاً وعملاً واعتقاداً، السالك طريق العلم النافع، الحريص على العمل الصالح، الملتزم بالإتباع، الرافض للابتداع، المتحلّي بالإخلاص وصدق النيّة في كلّ أمر من أمور حياته، المتحلّي بالأخلاق الفاضلة، الذي يضع حسناته خلف ظهره، وسيئاته نصب عينيه.

كما حرصت هذه السورة وكمثيلاتها من سور القرآن على تكوين المجتمع الفاضل الذي تسوده السعادة والوئام، وحذرت من كل الصفات التي قد تؤثر على قوة تماسكه وترابطه.

وفيما يلي بيان الأهم نتائج الدراسة وبعض التوصيات والمقترحات:

أولا: نتائج الدراسة

لقد أوصلنا البحث في خضم هذه السورة المباركة، وبناء على معطيات فصول الدراسة، إلى استخلاص بعض النتائج والتي من أهمها ما يلي:

(١) أن سورة القلم قد احتوت على العديد من المضامين التربوية، التي تميزت بتعددها وشمولها، فقد احتوت على المضامين العقدية والتعبدية والأخلاقية والاجتماعية، وبعض الأساليب التربوية.

(٢) إن الإسلام حارب فيما حارب الأمية، ورفع من شأن العلم والكتابة، فهذه سورة القلم، وهي من أوائل السور نزولا يقسم الله فيها بالقلم وسطوره، وذلك تعظيما لشأنه، وبيانا لأهميته.

(٣) إن رسول الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام قد تعرض في مسير دعوته إلى الله إلى كثير من الإساءات، ومنها اتهام المشركون له بالجنون، فصبر ونال الأجر العظيم، ونصره الله ودافع عنه، حتى أصبحت كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

(٤) إن المنهج الأمثل لدفاع عن الرسول ﷺ من أي إساءة يبدأ بتوضيح حسن سيرته وعظم خلقه لناس، والتي تتنافى مع أي تهمه قد يرميه بها أعداء الإسلام.

(٥) إن الله مدح رسوله بعظم خلقه، والله لا يمدح رسوله إلا بالشيء العظيم، وهذا يدل على عظم منزلة الأخلاق في الإسلام، وحث المؤمنين على التمسك بها.

(٦) أوضحت الدراسة أن الاتصاف بالأخلاق الذميمة لا يقتصر خطره على صاحبه، وإنما يشمل أمن المجتمع أيضاً وذلك لأنه يؤدي إلى انتشار الظلم، والكذب، والغيبة والنميمة، والمخاصمة ومنع الخير والحسد، وهي أكثر الصفات السيئة على الإطلاق تسبب العداوة والبغضاء، وتمزق وحدة المجتمع وتؤثر على سلامته.

(٧) إن الشح ومنع الخير، سبب لهلاك الأموال سواء حرقا أو إغراقا، أو إتلافا، أو مصادرة، فالممسك لا ينتفع بماله لا في الدنيا ولا في الآخرة، والمنفق يبارك الله له بالدنيا ويجزاه الجزاء الأوفى في الآخرة.

(٨) إن أكبر عوائق الصبر اليأس والغضب والاستعجال، وهي التي وقع بها نبي الله يونس عليه السلام، فلامه الله على ذلك، ونهى رسوله ﷺ عن مشابهته في ذلك.

(٩) للتكافل آثار تربوية عظيمة ليس على الفرد فقط، بل يتعدى الفرد إلى المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا الأمر يتحقق بداية بتربية الأفراد على قيمة التكافل والتراحم، وتحقيق هذا المعنى على الفرد داخل مجتمعه الصغير، فإذا ما تحقق التكافل بين الأسر انتشر في المحيط العام للمجتمع.

(١٠) إن العزم المصمم مما يؤخذ به الإنسان، لأن أصحاب الجنة عزموا على حرمان المساكين من ثمر جنتهم فحرمهم الله منها، وذلك يدل على أهمية النية في دين الإسلام.

(١١) بينت الدراسة أن سورة القلم تشمل الكثير من الأساليب التربوية المتنوعة، والتي تؤدي إلى تطوير المناهج التعليمية والارتقاء بمستوى النشء تعليمياً وتربوياً، ومن الأساليب التي شملتها السورة: أسلوب القدوة الحسنة،وأسلوب القصة، وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب الحوار.

(١٢) أن المثل الأعلى والقدوة الأولى، لكل مسلم هو الرسول ﷺ بصفاته العلى وأخلاقه العظمى، فقد بلغ منتهى العصمة والكمال البشري، فمن النافع لنشء دراسة سيرته، ومعرفة أخلاقه، وتعاملاته مع أصحابه وأعداءه، ومع زوجاته والآل بيته، ومع الناس جميعا.

(١٣) إن للقصة دور كبير في ترسيخ العقيدة في نفوس النشء، وشد انتباههم، وتيسير المفاهيم الصعبة عليهم، وسرد القصص من أفضل الوسائل التربوية وأكثرها فاعلية في تنمية القيم لدى الأطفال، فهي تعتبر أحد الأساليب والوسائل المستخدمة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

(١٤) عند سرد قصة أصحاب الجنة في سورة القلم كانت بغرض التربية، فكانت قصة قصيرة غير متشعبة لم تدخل بالتفاصيل كثيرا، وتحتوي على أسلوب تشويق، وكانت مناسبتها واضحة، مرتبطة بواقع كفار قريش المضروب الهم المثل بها، ولذلك كانت جديرة بأن يكون لها تأثير عظيم على المتلقي.

(١٥) إنه يكفي إيراد جزء من القصة إذا كانت معلومة للمتلقي وإذا كان يؤدي الغرض المنشود منه.

(١٦) إن الله لن يساوي بين المحسن والمسيء، وأن أسلوب الترغيب والترهيب لا غنى لأحد من البشر عنه، حتى الأنبياء والمرسلين، لأن النفس البشرية فطرة على حب اللذة والثواب، كما فطرة على بغض المشقة والعقاب.

(١٧) إن قاعدة الجزاء من جنس العمل مما اختصت به الشريعة الإسلامية، فقد وردت هذه القاعدة في سورة القلم واضحة جلية.

(١٨) أن الحوار من أهم أساليب التربية الإسلامية، فقد ورد في القران الكريم والسنة النبوية المطهرة، وحاور الله سبحانه وتعالى كفار قريش في سورة القلم، بطريقة طرح الأسئلة والمناقشة، فهو وسيلة من الوسائل التي تحرر الإنسان من الانغلاق والانعزالية وتفتح له قنوات للتواصل يكتسب من خلالها المزيد من المعرفة والوعي.

(١٩) أن الحوار بطريقة طرح الأسئلة الهادفة المنظمة، يختصر الوقت على المتحاورين ويبعدهم عن الجدل الذي لا فائدة فيه، كما يقرب الأفكار، ويشد انتباه المتحاور حيث يستعد للإجابة على الأسئلة، حتى يصل إلى النتيجة المرجوة.

(٢٠) أن تطبيق المضامين التربوية المستنبطة من سورة القلم في محيط الأسرة قولا وعملا يؤدي إلى نجاح الآباء والأمهات في العملية التربوية وتقويم السلوك

ثانيا: التوصيات

بناءً على ما أسفرت عنه نتائج هذه الدراسة فإنه من الضروري تقديم التوصيات والمقترحات، التي يمكن أن تسهم في تعزيز المضامين التربوية المتضمنة في سورة القلم والأخذ بها في عين الاعتبار وموضع التطبيق، وهي كما يلي:

(١) الاهتمام بالقرآن الكريم تلاوة وحفظا وتفسير آياته وتدبر معانيه، وأن يكون هو المنهج الذي نسير عليه في حياتنا الدينية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية، وذلك حتى يكون المجتمع أكثر أمنا وأمانا وعزة وعلوا ونصرا بإذن الله تعالى.

(٢) على القائمين على المؤسسات التربوية بدءً بالأسرة، والمسجد والمدرسة، وانتهاءً بالمجتمع بشكل عام العمل على تطبيق المضامين التربوية التي وردت في سورة القلم، وذلك لأن في تطبيقها من فوائد كثيرة وخير عظيم في الدنيا والآخرة.

(٣) أن تهتم الأسرة بتنشئة أبنائها منذ صغرهم على ضرورة التمسك بالإسلام قولا وفعلا في العقيدة والعبادة والأخلاق ، وهذا لا يتم إلا بالممارسة العملية والقدوة الحسنة لهذه الجوانب من قبل الوالدين، وأيضا على الأسلوب المتبع من قبل الوالدين في تحبيبهم بها وتنفيرهم من سيئ العقائد والأخلاق، وأيضا على متابعتهم الدقيقة للأبناء.

(٤) من أهم الوصايا لكل مسلم التزود بتقوى الله في السر والعلن، فهي خير الزاد في الدنيا للوصول إلى الدار الآخرة بأمان.

(٥) يجب أن يربى الطفل المسلم على صفات الرسول ﷺ كالشجاعة والأمانة وصدق الحديث والرحمة، ولين الجانب، والكرم والجود وحسن الخلق، ويربى على محبته ﷺ ويفتخر به بأنه أفضل الأولين والآخرين، وصاحب الخلق العظيم.

(٦) يوصي الباحث من يقوم بالدفاع والنضال أمام من يسئ إلى رسول الإسلامﷺ بأن يستعرض حسن سيرته وعظم أخلاقه، كما جاء ذلك في سورة القلم لأن في ذلك أكبر رد على من يتهمه بالباطل.

(٧) ينبغي أن يكون القائمون على تربية الطفل خير من يتصف بالأخلاق الحميدة والصفات النبيلة، لأنهم القدوة الصالحة لأبنائهم في سلوكهم ومعاملاتهم للمحافظة على تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف.

(٨) على مخططي المناهج مراعاة الأخلاق الإسلامية عامّة، وما جاء منها في سورة القلم خاصة، وتضمينها في المناهج الدراسية.

(٩) يوصى الباحث المربين التحذير من الأخلاق المذمومة الوارد النهي عنها في سورة القلم، وهي الكذب وكثرة الحلف بالباطل، والغيبة والنميمة، والشح ومنع الخير، والغلظة والحسد، والاستعجال والغضب، فهي أخطر الصفات على الفرد والمجتمع.

(١٠) يوصي الباحث الوالدين الحذر من تفضيل الأبناء على بعض، أو استخدامهم في التجسس، أو نقل حديث السوء، لأن ذلك يسبب العداوة والبغضاء بينهم، وينمى كثير من الصفات السيئة في نفوسهم، ومن أخطرها الحسد والغيبة والنميمة والكذب.

(١١) يوصي الباحث بتفعيل مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم، وتعويد الأبناء علي ممارسته عمليا وإشراكهم في المواقف الإنسانية، وعلي المربين جميعا أن يعنوا ببث روح العطاء لدى الناشئة، وتأكيد قيمة الإيثار لديهم، ليشبوا وقد تعودوا على ذلك، فمن شبَّ على شيء شاب عليه.

(١٢) يوصى الباحث المربي بأن يستخدم في توصيل ما يريده للمتلقين، وسائل مختلفة، ومتعددة، تعتمد على أساليب التربية الإسلامية، وخاصة أسلوب القدوة والقصة والترغيب والترهيب وأسلوب الحوار، الواردة في سورة القلم.

(١٣) الاهتمام بأسلوب التربية بالقصة القرآنية والنبوية، لما لهذا الأسلوب من قدرة على جذب الانتباه، وتحبيب الشخص الذي يحكي القصة للطفل إليهم، كما يوصى الباحث بضرورة اختيار مجموعة قصص هادفة ومؤثرة، تقوم بغرس القيم المثلى والأخلاق العليا في نفوس المتربين.

(١٤) على الأسرة أن تقوم بدورها التربوي في تطبيق المضامين التربوية في جميع مجالات الحياة، كما يجب على المربين التأكد من إعداد الأسرة إعداد جيدا وأنها قادرة على القيام بدورها التربوي على أكمل وجه، وتقديم المساعدة لها في ذلك، لأن الأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع وصلاحها صلاح للمجتمع ككل وفسادها فساد للمجمع وتفكك لترابطه.

ثالثا: المقترحات

في ضوء هذه الدراسة يقترح الباحث على الباحثين والدارسين ما يلي:

(١) يقترح الباحث مواصلة البحوث التربوية المتعلقة في دراسة النصوص القرآنية والنبوية، واستنباط المضامين والمبادئ التربوية منها ،نظرا لاشتمالهما على الكثير من المضامين والقيم الشاملة لجميع جوانب الحياة، ومن ثم تكوين موسوعة عن المضامين التربوية المستنبطة من سور القرآن الكريم.

(٢) كما يقترح الباحث إجراء دراسة تروية أخرى على سورة القلم واستنباط المضامين والمبادئ التربوية، وتطبيقها في البيت والمدرسة والمجتمع، لأنها مليئة بالمضامين القيمة التي لا يمكن لأي دراسة أن تعطيها كامل حقها من البحث والاستنباط والتطبيق.

(٣) يقترح الباحث إجراء دراسة على الأساليب التربوية في جميع سور القران كل أسلوب على حدة، لأن ذلك أعمق وأقوى في استنباط الفوائد والتي توصل إلى نتائج مثمرة، تعود بالفائدة على الأوساط التربوية ككل.

(٤) يقترح الباحث على كل دارس وباحث في التربية الإسلامية أن يهتم بالجانب التطبيقي ، ويوضح الكيفية التي يمكن من خلالها الوصول إلى الأهداف التربوية الإسلامية وفق خطوات عملية إجرائية مقننة، يستفيد منها كل من يطلع على الدراسة.

(٥) دراسة الجوانب التربوية والاجتماعية والسياسية المستنبطة من قصص القرآن الكريم، لأن في قصص القران عبرة عظيمة وهدى ورحمة لأولي الألباب، وذلك في جميع مجالات الحياة فمن هذا المنطلق يجب دراستها دراسة تفصيلية تربوية منهجية.

(٦) يقترح الباحث اجراء دراسات تطبيقية على الأسرة السعودية ومدى تطبيقها لأساليب التربية الإسلامية.

(٧) يقترح الباحث إجراء دراسات تربوية على الأسرة لمعرفة المشكلات التي تواجهها في تربية أبناءها وطرق علاجها في ضوء التربية الإسلامية.

وفي الختام أسأل الله العلي العظيم، أن أكون قد وُفقت وأصبت فيما كتبت، وأن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما جهلنا.

والله أسأل للجميع العلم النافع والعمل الصالح والإخلاص في القول والعمل والفلاح في الدنيا والآخرة، أنه ولي ذلك والقادر عليه، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل. والله أعلم،،،،،،،،،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع

أولا: علوم القران الكريم:

١. أبـي بكـر الجزائـري، أيسـر التفاسـير لكـلام العلـي القـدير، مكتبـة العلـوم والحكم، ص١٦٦٣.

٢. أحمد ابن تيمية، دقائق التفسير، بيروت، مؤسسة علوم القرآن.، ط٢، ١٤٠٤هـ .

٣. إسماعيل عماد الدين ابن كثير: تفسير القران العظيم، راجعه: خالد محمد محرم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٨هـ.

٤. جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٨هـ.

٥. جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٣م .

٦. ـــــــــــــــــــ، أسـرار ترتيـب القـران، تحقيـق عبـدالقادر احمـد، دار الاعتصام، جده، ط٢، ١٣٩٨هـ.

٧. الحسن البغوي، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبدالله النمري، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ.

٨. شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٩. عائض القرني، التفسير الميسر جزء تبارك، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٠. عبد الحق ابن عطية، المحرر الوجيز، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م،.

١١.عبدالرحمن ناصر السعدي:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ ط٤، ص٨٨٧.

١٢.عمر بن علي بن عادل، اللباب في علم الكتاب، تحقيق عادل أحمد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.

١٣.فخر الدين محمد الرازي: مفاتيح الغيب،دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

١٤.محمد الشوكاني، فتح القدير، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٣م.

١٥.محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية، ١٩٨٤م.

١٦.محمد القرطبي،الجامع لأحكام القران، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ.

١٧.محمد أمين الشنقيطي: أضواء البيان، في إيضاح القران بالقران، عالم الكتب بيروت، (د.ت).

١٨.محمد أيوب ابن الضريس: فضائل القران، دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٤٠٨هـ.

١٩.محمد بن احمد الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: رضا فرج الهمامي، ، المكتبة العصرية ،بيروت. (د.ت)

٢٠.محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن،بيروت، مؤسسة الرسالة،

١٤٢٠ هـ.

٢١.محمد بن جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل،دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٨هـ.

٢٢.محمد بن يوسف ابن حبان: البحر المحيط في علم التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ .

ثانيا: السنة النبوية وعلومها

٢٣.أحمد ابن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ.

٢٤.أحمد بن ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١، دار السلام، الرياض، ١٤٢١هـ.

٢٥.احمد بن الحسين البيهقي: شعب الأيمان، تحقيق: محمد السعيد زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ

٢٦.سليمان بن الأشعث أبو داود: سنن أبي داود، دار الحزم، بيروت، ١٤١٨هـ.

٢٧.فضل الله الجيلاني: فضل الصمد في توضيح الأدب المفرد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م

٢٨.محمد أبو عبدالله الحاكم: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

٢٩. محمد بن إسماعيل البخاري: الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٣٠. محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع الصحيح، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار بن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٣١. محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي:: تحقيق أحمد محمد شاكر و آخرون، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت).

٣٢. محمد بن يزيد بن ماجه: سنن ابن ماجه، تحقيق، دار الفكر، بيروت، (د.ت)

٣٣. محمد ناصر الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط٣، بيروت المكتب الإسلامي.

٣٤. ـــــــــــــــ: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ط٤، بيروت، المكتب الإسلامي.

٣٥. ـــــــــــــــ: صحيح الأدب المفرد، مطابع الإرشاد الحديثة، حمص، ١٣٨٨هـ

٣٦. ـــــــــــــــ: صحيح سنن ابن ماجه، مكتبة التربية، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ

٣٧. ـــــــــــــــ: صحيح سنن أبي داود، مكتبة التربية، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ.

٣٨. ـــــــــــــــــــ: صحيح سنن الترمذي، مكتبة التربية، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ

٣٩.مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت).

٤٠.يحي بن شرف النووي: صحيح مسلم بشرح النووي،دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ.

٤١.ـــــــــــــــــــ: الأذكار، المكتبة الثقافية ، بيروت ، (د . ت).

ثالثا: المعاجم واللغة

٤٢.أحمد بن محمد الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،المكتبة العلمية،بيروت.

٤٣.أحمد فارس: معجم مقاييس اللغة،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٢هـ .

٤٤.إسماعيل حماد الجوهري: الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار الملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٤٥.أنيس إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، دار التراث العربي، مصر، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٤٦.جمال الدين محمد بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٧.الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن،تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار الفكر،بيروت، (د.ت).

٤٨.الشريف محمد الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٤٩.مجد الدين محمد الفيروزبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ.

٥٠.محمد أحمد الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، دار القومية العربية للطباعة، مصر.

٥١.محمد عبد الرؤوف المناوي، : التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار المفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠هـ.

رابعا: الكتب العربية

٥٢.إبراهيم الديب: أسس ومهارات بناء القيم التربوية وتطبيقاتها في العملية التعليمية، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، ١٤٢٧هـ.

٥٣.إبراهيم سعد الدوسري: الجانب الخلقي من سورة القلم،دار الحضارة لنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٤هـ .

٥٤.ابن رجب: جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

٥٥.أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، المكتبة العصرية، صيدا، ط٤، ١٤٢٠هـ.

٥٦.أحمد أبو هلال وآخرون: المرجع في مبادئ التربية، دار الشروق،عمان، ١٩٩٣م.

٥٧.أحمد بن سعيد الغامدي: المسئوليات التربوية للأسرة المسلمة، ط١، مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٥هـ.

٥٨.أحمد تقي الدين ابن تيمية: الحسنة والسيئة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)

٥٩.ـــــــــــــــــ: العبودية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ.

٦٠.ـــــــــــــــــ: مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبدالله محمد قاسم النجدي، مكتبة المعارف، الرباط، (د.ت).

٦١.ـــــــــــــــــ: مكارم الأخلاق، تحقيق عبدالله بدران ومحمد عمر، المكتبة العصرية، ١٤٢٧هـ..

٦٢.أحمد رجب الأسمر: النبي المربي، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٤٢٢هـ، ص ١١٥.

٦٣.أحمد فريد، التربية على منهج أهل السنة والجماعة، الدار السلفية لنشر، الإسكندرية، (د.ت) .

٦٤.إسحاق أحمد فرحان: التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الفرقان، عمان، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٦٥.أكرم ضياء العمري: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، دار أشبيليا، الرياض، ١٤١٧هـ.

٦٦.آمنه محمد نصير: الأخلاق في التصور الإسلامي، مكتبة تامر لطباعة، ١٩٨٤م.

٦٧.أمين أبو لاوي، أصول التربية الإسلامية، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٩ هـ.

٦٨.إيمان عبدالمؤمن سعد: الاخلاق في الإسلام، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٦هـ

٦٩.بدرية العثمان: بلاغة القرآن الكريم، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٧٠.بلقيس داغستاني: التربية الدينية والاجتماعية للأطفال، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٣٠هـ.

٧١.جار الله الحداش، المهذب المستفاد لتربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، المكتبة الإسلامية، عمان، ١٤٢١هـ.

٧٢.حسن الحجاجي: الفكر التربوي عند ابن القيّم، دار الحافظ، جده، ١٤٠٨هـ.

٧٣.حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٢هـ.

٧٤.الحسن بن محمد الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار الفكر، بيروت.

٧٥.خالد بن حامد الحازمي: أصول التربية الإسلامية، دار الزمان، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٧٦.ـــــــــــــــ: مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمة، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٢٥هـ.

٧٧.سعد بن فالح المغامسي: التربية الايمانية وأثرها في تحصين الشباب من الانحراف، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ.

٧٨.سعيد بن فالح المغامسي، التربية بالحوار مع الشباب وأثرها في تحصينهم من الانحرافات الفكرية والسلوكية، مدار الوطن، الرياض، ١٤٢٥هـ.

٧٩.سلمان بن فهد العودة: أدب الحوار، الرياض: العبيكان، ١٤٢٤هـ.

٨٠.سهام مهدي جبّار: الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، المكتبة العصرية، بيروت.

٨١.شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥هـ.

٨٢.صالح بن حمد العساف: المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٨٣. صالح بن عبد الله بن حميد: أصول الحوار وآدابه، جدة، دار المنارة، ١٤١٥هـ.

٨٤.صالح بن علي الشهري: مقدمة في التربية الإسلامية، الدار الصولتية لتربية، الرياض، ١٤٢٤هـ.

٨٥.صالح عبد الرحمن فوده: المرشد في كتابة البحوث التربوية، دار المنار، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ.

٨٦.طارق بن علي الحبيب: كيف تحاور، ط٩، مؤسسة الجريسي للنشر والتوزيع، الرياض.

٨٧.عبدالحميد الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٤م.

٨٨.عبدالحميد الهاشمي: الرسول العربي المربّي، ط٢، دار الهدى للنشر، الرياض، ١٤٠٥هـ.

٨٩.عبدالرب نواب، الدعوة إلى الله تعالى، دمشق، دار القلم، ١٤١٠هـ.

٩٠.عبدالرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

٩١.عبدالرحمن البابطين: أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل ، دار القاسم ، الرياض،ط٢ ، ١٤١٨هـ.

٩٢.عبدالرحمن السعدي: المجموعة الكاملة، مركز صالح الثقافي، الرياض، ١٤١٢هـ .

٩٣.عبدالرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية،دار الفكر، بيروت،ط٣، ١٤٢٥هـ.

٩٤.ـــــــــــــــــ: التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٩٥.عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي: صيد الخاطر، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٨هـ.

٩٦.عبدالرحمن حبنكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط١، ١٣٩٩هـ.

٩٧.ـــــــــــــــــ : أسس الحضارة الإسلامية، دار القلم، دمشق، ١٤٠٢هـ.

٩٨.عبدالرزاق بن عبد المحسن البدر. زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه: دار كنوز اشبيليا للنشر، ط٢، ١٤٢٧هـ.

٩٩.عبدالرضى محمد، نبي الإسلام ،الرياض، الدار العالمية للكتب الإسلامية، ١٤١٩هـ .

١٠٠. عبدالعزيز السلمان: الكواشف الجلية في معاني الوسطية، مؤسسة مكة لطباعة، ١٤١٣هـ.

١٠١. عبدالكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، دار الفكر العربي القاهرة، ١٩٧٤م .

١٠٢. عبدالكريم زيدان: أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩,١٤٢٢هـ

١٠٣. عبدالله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، القاهرة، ط٤، ١٤٢٦هـ .

١٠٤. عبدالمهيمن طحان: زاد الدعاة، دار المنارة، جدة، ١٤١١هـ.

١٠٥. عبدربه السيد الحافظ، بحوث في قصص القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢م.

١٠٦. عفيف عبدالفتاح طبارة: روح الدين الإسلامي، دار العلم، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.

١٠٧. علي ابن أحمد ابن حزم، الأخلاق والسير، تحقيق د. الطاهر أحمد مكي، مصر دار المعارف، ١٩٨١م .

١٠٨. علي خليل أبو العينين: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم: دار الفكر العربي، القاهره، ١٩٨٠م.

١٠٩. علي مصطفى خليل أبو العينين: القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ.

١١٠. عماد محمد عطية: التربية الإسلامية، مصادرها وتطبيقاتها، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥هـ.

١١١. علي بن محمد الماوردي: أدب الدين والدنيا، ط١، دار الريان ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ.

١١٢. المبارك بن محمد ابن الأثير، : النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٣هـ.

١١٣. محب الدين أحمد أبو صالح: أساسيات في طريق التدريس العامة (مفاهيم – خطوات – مهارات – أنشطة)، دار الهدى للنشر والتوزيع : الرياض، ١٤٠٩هـ.

١١٤. محمد إبراهيم الحمد: الإيمان باليوم الآخر، ط٢، دار بن حزم، الرياض، ١٤٢٣هـ.

١١٥. محمد إبراهيم الحمد: التوبة وظيفة العمر، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤٢١هـ.

١١٦. محمد ابن سحنون: آداب المعلمين، مراجعة وتعليق: محمد العروسي المطوي، تونس، ١٣٩٢هـ.

١١٧. محمد أبي بكر ابن القيّم: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩هـ.

١١٨. ـــــــــــــــ: الفوائد: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٠٤هـ.

١١٩. ـــــــــــــــ: الفوائد: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المكتبة العصرية بيروت، ١٤٢٩هـ

١٢٠. ـــــــــــــــ: مدارج السالكين، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٦هـ.

١٢١. محمد أبو بكر ابن العربي: أحكام القرآن، تحقيق: علي البجاوي ، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د . ب) ، ١٣٧٧هـ .

١٢٢. محمّد الهاشمي: شخصيّة المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنّة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٤، ١٤١٠هـ.

١٢٣. محمد بن صالح العثيمين: شرح العقيدة الواسطية، ط٥، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٩هـ.

١٢٤. محمد بن صالح العثيمين،مكارم الأخلاق، دار الغد الجديد، ١٤٢٦ه، مصر.

١٢٥. محمد بن علاء الدين ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية،المكتب الإسلامي،بيروت، ١٣٩٩هـ.

١٢٦. محمد بن علي أبي طالب المكي: قوت القلوب،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ

١٢٧. محمد سيد طنطاوي: أدب الحوار في الإسلام، مصر: نهضة مصر، ٢٠٠٢ م.

١٢٨. محمد عبد الله الدويش: تربية الشباب الأهداف والوسائل،ط١، دار الوطن للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٣هـ.

١٢٩. محمد عبد المنعم خفافجي: الإسلام والحضارة الإنسانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د.ت).

١٣٠. محمد عبدالباقي الزرقاني، شرح الزرقاني ، دار الفكر، بيروت (د.ت).

١٣١. محمد عبدالرحمن الدخيل، مدخل إلى أصول التربية الإسلامية، مركز طيبة

لطباعة، المدينة المنورة، ١٤١٨هـ.

١٣٢. محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٢هـ.

١٣٣. محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٦م.

١٣٤. محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشرق، القاهرة، ١٤١٥هـ.

١٣٥. محمد متولي الشعراوي، الحسد، المكتبة العصرية، ١٤٢٩هـ.

١٣٦. محمد محمود محمد: علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، ط٣، دار الشروق، ١٤١٦هـ،

١٣٧. محمد مكي: البيان في أركان الإيمان، دار نور المكتبات، جده، ١٤١٩هـ.

١٣٨. محمد منير مرسى: أصول التربية وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠م.

١٣٩. محمود الشريف، القصة في القران، دار مكتبة الهلالي، بيروت، (د.ت)

١٤٠. محمود محمد شلتوت، من توجيهات الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط ٦، ١٣٩٩هـ.

١٤١. مقداد يالجن: مناهج البحث وتطبيقاتها في التربية الإسلامية، دار عالم الكتاب، ط١، الرياض، ١٤١٩هـ.

١٤٢. ـــــــــــــــ: التربية الأخلاقية الإسلامية، ط٢، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٧هـ.

١٤٣. مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٣هـ.

١٤٤. نصر بن محمد الصنقري: موسوعة الأجيال المسلمة، ط١، دار الإيمان، الإسكندرية، (د.ت).

١٤٥. هبة الله بن الحسن الطبري: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تحقيق د. أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، ط ٤، ١٤١٦هـ .

١٤٦. وهبة الزحلي، القصة القرآنية هداية وبيان، دار الخير، بيروت، ١٤١٣هـ.

خامسا: الرسائل العلمية

١٤٧. إبراهيم عبدالشكور بشناق: بعض المضامين التربوية في سورة الحديد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.

١٤٨. أحمد بن حكمة بشير: المضامين التربوية المستنبطة من سورة الزخرف، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٧هـ.

١٤٩. أحمد سعيد الغامدي، : العلاقات الإنسانية في الفكر الإداري الإسلامي

ومضامينها وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة قسم الإدارة التربوية والتخطيط، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة١٤٠١هـ.

١٥٠. تشروني إبراهيم أباه: المضامين التربوية المستنبطة من سورة الزمر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.

١٥١. حسين بن علي العمري: بعض الأساليب التربوية المستنبطة من تعامل الرسول ﷺ لاسيما مع زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وآثارها التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ.

١٥٢. خالد الحازمي، التوجيه الإسلامي للتنشئة الخلقية بين الأسرة والمجتمع رسالة دكتوراه، غير منشورة: الجامعة الإسلامية: المدينة المنورة: المملكة العربية السعودية.

١٥٣. خليل بن عبد الله الحدري: التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها: رسالة ماجستير منشورة قسم التربي الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ.

١٥٤. شمس العالم كبير، أساليب معالجة الأخطاء السلوكية من منظور الشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.

١٥٥. عائشة عبد الرحمن الجلال: المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم وطرق علاجها: رسالة ماجستير منشورة، دار المجتمع، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ.

١٥٦. عمر بن العربي أمنشار: المضامين التربوية المستنبطة من سورة النمل، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدعوة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.

١٥٧. مليحة عبدالله الحارثي، تفسير سورة القلم، سالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية للبنات بجدة، ١٤٠٢هـ.

سادسا: الدوريات

١٥٨. إدريس علي الطيب: الغفلة في القران الكريم، أسبابها وأثارها وطرق علاجها، مجلة دراسات دعوية، العدد(٤) ، ٢٠٠٧م

١٥٩. موسى أبو حوسة: قراءة في التربية الاجتماعية الإسلامية، المجلة الثقافية، العدد(٢٥).